إتحاف الإخوان
بدروس رمضان
٦٠ ستون درسا للصائمين

جمع وإعداد
أبي عبد الله حسين بن علي شرف الدين الشراعي

تقديم فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن يحيى البرعي

مكتبة ابن تيمية
للنشر والتوزيع

أبي عبد الله حسين بن علي شرف الدين الشراعي
إتحاف الإخوان بدروس رمضان

إتحاف الإخوان
بدروس رمضان
٦٠ ستون درسا للصائمين
جمع وإعداد
أبي عبد الله حسين بن علي شرف الدين الشراعي

تقديم فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن يحيى البرعي

مكتبة ابن تيمية
للنشر والتوزيع
إب - شارع العدين الخلفي - أمام جامع عمر بن عبد العزيز
هاتف: ٠٤٤٠٧٠١٥ - ٧١١٩٤٤٧٤٦ - ٧٧٧٧٤٤٧٥٢

إتحاف الإخوان
بدروس رمضان

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ

سِتُّونَ دَرْسًا لِلصَّائِمِينَ

لِتُلْقَى عَلَى المُصَلِّينَ بَعدَ صَلَاتَي الظُّهْرِ وَالعَصْرِ

جَمْعُ وَإِعْدَادُ

أَبِيْ عَبْدِ اللهِ حُسَينِ بنِ عَلِيِّ شَرَفِ الدِّينِ الشَّرَاعِي

تقديمُ فضيلةِ الشَّيخ

عبدِ العزيز بن يحيَى البُرَعِي

دَارُ الحَدِيثِ ـ اليَمَن ـ إِبْ ـ مَفْرَقُ حُبَيْش

مقدمة شيخنا العلامة عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلهِ وَصَحبهِ وَسَلَّم، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَشهدُ أَنَّ مُحمدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد اطلعت على كتاب **«إتحاف الإخوان بدروس رمضان»** الذي ألفه الأخ الفاضل المبارك/ **حسين بن علي شرف الدين الشراعي**، وقرأت جزءًا كبيرًا منه إلقاءًا في دروس بعد الظهرِ والعصرِ في شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٣٨ في دار الحديث في مَفْرَقِ حبيشٍ، والكتاب نافع بإذن الله، وقد وفَّر المؤَلِّفُ مادةً علميةً، ووعظيةً نافعة في دروسِ شهر رمضان في القرى والمدن؛ فهو كتابٌ صالحٌ للنشرِ والتدريسِ والإفادةِ والاستفادة، جزى الله مؤلفه خيرًا، ونفع به، وبارك فيه وفي علمه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه عبد العزيز بن يحي البرعي

مكة حرسها الله

يوم السبت ١٧ جمادى الأولى ١٤٣٩

المقدمة

إِنَّ الحَمدَ لِلهِ، نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَسْتَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

اعْلَمُوا أَنَّ أَحسَنَ الكَلَامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدْيِ هَديُ مُحَمَّدٍ بنِ عَبدِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمورِ مُحدَثَاتُها، وَكلَّ مُحدثَةٍ بدعَة، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةُ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد:

فهذه مجموعة دروس جمعتها من كتب أهل العلم تناسب حال الناس لتلقى عليهم خلال شهر رمضان المبارك لعل الله أن ينفع بها، جمعتها لما رأيت كثيرًا من إخواننا يسأل عن كتاب مناسب في هذا الباب.

وأسأل الله أن يكتب لي الأجر بها.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وذخرًا لي يوم لقاه إنه رؤوف رحيم وبر كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ حسين بن علي بن شرف الدين الشراعي

٢٥ شعبان ١٤٣٨

دار الحديث مفرق حبيش

الدرس الأول: استقبال رمضان

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورًا، وصلى الله على مَنْ بُعِثَ بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره وسلم تسليمًا كثيرًا،

أما بعد:

لقد أظلكم شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقيام، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع فيه الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود فيه الله سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمر الناس بصيامه وأخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **أَنَّ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

شَهْرٌ **«فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؛ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»**.

فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه، والمسابقة فيه إلى الخيرات فهو أيامٌ معدوداتٌ، وفرصٌ سانحاتٌ، وإن اغتنام هذه الأيام لدليلُ الحزم، وإنَّ انتهاز تلك الفرص لعنوانُ العقل؛ ذلكم أن الوقت رأسُ مالِ الإنسان، وساعات العمرِ هي أَنْفَسُ مَا عُنِيَ الإِنسَانُ بِحِفْظِهِ؛ فكل ساعة من سَاعَاتِ عُمُرِكَ قابلةٌ لأن تضعَ فيها حَجَرًا يَزْدَادُ بِهِ صَرْحُ مَجْدِكَ ارْتِفَاعًا، وَيَقْطَعُ بِهَا قَوْمُكَ فِي السَّعَادَةِ بَاعًا أَو ذِرَاعًا.

أَتَـــى رَمَضَـــانُ مَزرَعَـــةُ العِبَـــادِ ... لِتَطْهِـــيرِ القُلُـــوبِ مِـــنَ الفَســـادِ

فَـــأَدِّ حقوقَـــهُ قَـــولًا وَفِعْـــلًا ... وَزادَكَ فَاتَّخِـــذْهُ لِلمَعَـــادِ

فَمَـــنْ زرعَ الحُبُـــوبَ ومـــا سَـــقَاها ... تَأَوَّهَ نادمًـــا يـــومَ الحَصَـــادِ

ولقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبشر أصحابه بقدوم رمضان كما خرجه الإمام أحمد والنسائي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ: " قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ».

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشياطين من أين يشبه هذا الزمان زمان.

هذا الشهر من وفقه الله لصيامه وقيامه رزق التقوى وهي أغلى ما يحرص عليه المؤمنون، فإن التقوى هي رأس مال المؤمنين وهي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة، فبالتقوى تكون السعادة وبها يكون الأمن وبها تَنْمُو الأُلْفَةُ وَتَزْدَادُ المَوَدَّةْ بينَ المُؤمِنينَ، وَبهَا يَكونُ الرِّضَا وبها يَكْتُبُ اللهُ النَّصْرَ لِلمُؤمِنينَ وَيَعِدُهُم بِالتَّمكِينِ، ثُمَّ بِهَا يَكونُ مَوعِدُهُم الجَنَّةُ وَالرِّضْوَانُ ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣].

لقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يستقبلون هذا الشهر بشوق ولهف واستعداد للعبادة وكانوا يدعون الله أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه أن يتقبله منهم، كانوا يصومون أيامه ويحفظون صيامهم عما يبطله أو ينقصه من اللغو واللهو واللعب والغيبة والنميمة والكذب، وكانوا يحيون لياليه بالقيام وتلاوة القرآن، كانوا يتعاهدون فيه الفقراء والمساكين بالصدقة والإحسان وإطعام الطعام وتفطير الصوام، كانوا يجاهدون فيه أنفسهم بطاعة الله ويجاهدون أعداء الإسلام في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله فقد كانت غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون على عدوهم في اليوم السابع عشر من رمضان، وكانت غزوة فتح مكة في العشرين من رمضان حيث دخل الناس في دين الله أفواجًا وأصبحت مكة دار إسلام.

فيا معشر المسلمين، اغتنموا هذا الشهر العظيم، وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادات

والقربات، وسارعوا فيه إلى الطاعات؛ فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده، يتسابقون فيه بالطاعات، ويتنافسون فيه بأنواع الخيرات.

فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات، وقراءة القرآن الكريم بالتدبر والتعقل، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام.

وقد «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ**».

فَاقْتَدُوا بِهِ رحمكم الله في مضاعفة الجود والإحسان، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام.

أيها المسلمون، روى الإمام الطبراني وحسنه الألباني عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم**».

وإن هذا الشهر نفحة من تلك النفحات العظيمة، وفرصة لاغتِنامِ الخيرِ وأَيّ غنيمة، فتعرضوا لنفحة رحمة الله لتفوزوا بالأجر وتغنموا الخير.

مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ: إن هذا الشهر ميزان للعام كله فمن استقام فيه فيرجى له أن يوفق سائر عامه.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «**فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِأَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَوْمًا يَتَفَرَّغُونَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَيَتَخَلَّوْنَ فِيهِ عَنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِبَادَةٍ، وَهُوَ فِي الْأَيَّامِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ فِي الشُّهُورِ، وَسَاعَةُ الْإِجَابَةِ فِيهِ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ. وَلِهَذَا مَنْ صَحَّ لَهُ يَوْمُ جُمُعَتِهِ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ جُمُعَتِهِ، وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ، وَمَنْ صَحَّتْ لَهُ حَجَّتُهُ وَسَلِمَتْ لَهُ، صَحَّ لَهُ سَائِرُ عُمْرِهِ، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ مِيزَانُ الْأُسْبُوعِ، وَرَمَضَانُ مِيزَانُ**

الْعَامِ، وَالْحَجُّ مِيزَانُ الْعُمْرِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ»[١].

اللَّهُمَّ وفقنا لاستغلال شهر رمضان فيما يرضيك ويقربنا إليك واجعلنا فيه من المقبولين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «زاد المعاد» (١/٣٨٦).

الدَّرْسُ الثَّانِي: فَضَائِلُ شَهْرِ رَمَضَانَ

الحَمدُ للهِ الغَنِيِّ الحَمِيدِ، العَزِيزِ المَجِيدِ، وَأَشهدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو العَرشِ المَجِيد، الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، وَأَشهدُ أَنَّ مُحمدًا عَبدُه وَرَسولُهُ المَبعوثُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوحِيدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا. **أَمَّا بَعدُ:**

فإن لشهر رمضان وصيامه فضائل كثيرة نذكر بعضًا منها في هذا الدرس فمن فضائل شهر رمضان:

١ ـ أن الله تعالى أنزل فيه القرآن كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢ ـ أن صيامه أحد أركان الإسلام العظام كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ... وَذَكَرَ مِنهَا: ... وَصِيَامِ رَمَضَانَ»**.

٣ ـ أنه تصفد فيه الشياطين ومردة الجن.

٤ ـ أنه تفتح فيه أبواب الجنة.

٥ ـ أنه تغلق فيه أبواب النار.

ودليل ما تقدم ما أخرجه الشيخان مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»**.

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: **«فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ»** أي: تقريبًا للرحمة إلى العباد؛ ولهذا جاء في بعض الروايات: **«أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ»**، وَفِي بَعْضِهَا: **«أَبْوَابُ السَّمَاءِ»**.

وقوله: **«وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ»**.

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: تبعيدًا للعقاب عن العباد.

وقوله: **«وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»** أي: شدت بالسلاسل حقيقة، والمراد مسترقو السمع منهم

المردة.

٦ ـ أن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ – ٣].

٧ ـ أنه ينادي فيه مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.

٨ ـ أنه لله عتقاء من النار في كل ليلة من ليالي رمضان.

ودليل ما تقدم ما أخرجه الترمذي وغيره وحسنه الألباني من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»**.

٩ ـ أن الأعمال الصالحة تضاعف فيه لفضيلة الزمان وشرفه.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «اللطائف»: واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»**، وفي رواية: **«فإنه أفضل»**، وكذلك روي: **«أن الصيام يضاعف بالحرم»**.

وفي الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«عمرة في رمضان تعدل بحجة»**، أو قال: **«حجة معي»**.

فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام لشرف زمانه وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها، وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر منها: شرف العامل عند الله، وقربه منه، وكثرة تقواه كما يضاعف أجر هذه الأمة على

أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر[(١)]. اهـ بتصرف واختصار.

١٠ ـ أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

١١ ـ أن من قامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

١٢ ـ أن من قام ليلة القدر وهي في رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

ودليل ما تقدم ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَن قَامَ لَيلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ»** وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ بَعضَهُ.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للصيام، والقيام، وأن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يردَّ كيدهم أعدائهم في نحورهم، وأن يفرج عنا وعن المسلمين في كل مكان.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «لطائف المعارف» ص(١٥١).

الدرس الثالث: فضائل الصيام

الحمد لله الملك القهار العزيز الجبار الرحيم الغفار مقلب القلوب والأبصار مقدر الأمور كما يشاء ويختار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبرئ قائلها من الشرك بصحة الإقرار وتبوئ قائلها دار القرار وتنجيه من النار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البدر جبينه إذا سر استنار واليُمْنُ يمينه إذا سئل أعطى عطاء من لا يخشى الإقتار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تبلغهم في تلك الأوطان نهاية الأوطار وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فاعلموا أن الصوم من أفضل العبادات وأَجَلِّ الطاعات، جاءت بفضله الآثار، ونقلت فيه بين الناس الأخبار.

فمن فضائل الصوم: أن الله كتبه على جميع الأمم وفرضه عليهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولولا أنه عبادة عظيمة لا غنى للخلق عن التعبد بها لله وعما يترتب عليها من ثواب ما فرضه الله على جميع الأمم.

ومن فضائل الصوم في رمضان: أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، يعني إيمانًا بالله ورضًا بفرضيَّة الصوم عليه واحتسابًا لثوابه وأجره، ولم يكن كارهًا لفرضه ولا شاكًّا في ثوابه وأجره، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: **«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»** رواه مسلم.

ومن فضائل الصوم: أن ثوابه لا يتقيد بعدد معين، بل يُعْطَى الصائم أجره بغير حساب، فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ**

ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**.

وهذا الحديث الجليل يدل على فضيلة الصوم من وجوه عديدة:

الأول: أن الله اختص لنفسه الصوم من بين سائر الأعمال؛ وذلك لشرفه عنده ومحبته له وظهور الإخلاص له سبحانه فيه؛ لأنه سر بين العبد وبين ربه، لا يطَّلع عليه إلا الله، فإن الصائم يكون في الموضع الخالي من الناس متمكِّنًا من تناول ما حرم الله عليه بالصيام فلا يتناوله؛ لأنه يعلم أن له ربًا يطَّلِع عليه في خلوته، وقد حرم عليه ذلك فيتركه لله خوفا من عقابه ورغبة في ثوابه، فمن أجل ذلك شكر الله له هذا الإخلاص، واختص صيامه لنفسه من بين سائر أعماله؛ ولهذا قال: **«يدع شهوته وطعامه من أجلي»**.

الثاني: أن الله قال في الصوم: **«وأنا أجزي به»**، فأضاف الجزاء إلى نفسه الكريمة؛ لأن الأعمال الصالحة يضاعف أجرها بالعدد، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أما الصوم فإن الله أضاف الجزاء عليه إلى نفسه من غير اعتبار عدد، وهو سبحانه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

والعطيَّة على مِقْدَارِ مُعطيها فيكون أجر الصائم عظيمًا كثيرًا بلا حساب، والصيام صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة من الجوع والعطش وضعف البدن والنفس، فقد اجتمعت فيه أنواع الصبر الثلاثة، وتحقَّقَ أن يكون الصائم من الصابرين، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

الثالث: أن الصوم جُنَّة أي: وقاية وستر يقي الصائم من اللغو والرفث، ولذلك قال: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**»، ويقيه أيضًا من النار، ولذلك روى جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصيام جنة يَسْتَجِنُّ بها العبد من النار**» رواه أحمد.

الرابع: أن خَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنها من آثار الصيام فكانت طيبة عند الله سبحانه ومحبوبة له، وهذا دليل على عظيم شأن الصيام عند الله حتى إِنَّ الشَّيءَ المَكْرُوهَ المُسْتَخْبَثَ عِندَ النَّاسِ يَكونُ مَحْبُوبًا عند الله وطيبًا لكونه نشأ عن طاعته بالصيام.

الخامس: أن للصائم فرحتين: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، أما فرحه عند فطره فيفرح بما أنعم الله عليه من القيام بعبادة الصيام الذي هو من أفضل الأعمال الصالحة، وكم من أناس حرموه فلم يصوموا، ويفرح بما أباح الله له من الطعام والشراب والنكاح الذي كان مُحَرَّمًا عليه حال الصوم.

وأما فرحه عند لقاء ربه فيفرح بصومه حين يجد جزاءه عند الله تعالى مُوَفَّرًا كاملًا في وقت هو أحوج ما يكون إليه حين يقال: «**أين الصائمون ليدخلوا الجنة من باب الريَّان الذي لا يدخله أحد غيرهم**»؟

ومن فضائل الصوم: أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ**»، قَالَ: «**فَيُشَفَّعَانِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

ومن فضائل الصوم: أن الله أعد لأهله بابًا خاصًا بهم في الجنة فَعَن سَهْل بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِرْمِذِيُّ، وَزَادَ: «**وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا**».

ومن فضائل الصوم: أن من ختم له به دخل الجنة فَعَن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: **«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَمِن فَضَائِلِ الصَّومِ: أَنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: **«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»**. ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: **«عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ»** رَوَاهُ أَحْمَدُ والنَّسَائِيُّ.

ومن فضائل الصوم: أنه يباعد صاحبه عن النار فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»**. رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ.

وفضائل الصوم كثيرة وعديدة ولكن لا تتحقق هذه الفضائل إلا لمن قام بالصوم على الوجه الذي شرعه الله وتأدب بآداب الصائمين وحفظ صومه مما ينقصه أو يبطله.

والله المسئول أن يوفقنا لما يحب ويرضى اللّهُمَّ احفظ صيامنا واجعله شافعًا لنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الدرس الرابع: من أحكام الصيام

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد[1]:

فإن صيام رمضان أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ – ١٨٥].

وَأَخْرَجَ الشَّيخَانِ مِن حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.

وقد أجمع المسلمون على فرضيَّة صوم رمضان إجماعًا قطعيًا معلومًا بالضرورة من دين الإسلام، فمن أنكر وجوبه فقد كفر، فَيُسْتَتَاب فإن تاب وأقر بوجوبه وإلا قُتِلَ كافرًا

---

(١) ملخص من «مجالس شهر رمضان» ص(١٩) وما بعدها.

مُرْتَدًّا عن الإسلام.

وقد كان فرضَ صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة، فصام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع سنين.

وكان فرض الصيام على مرحلتين:

المرحلة الأولى: التخيير بين الصيام والإطعام مع تفضيل الصيام عليه.

المرحلة الثانية: تعيين الصيام بدون تخيير، فعن سَلَمَةَ بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«لما نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة : ١٨٤].**

كان من أراد أن يفطر ويفتدي ـ يعني فَعَلَ ـ حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها، يعني بها قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة : ١٨٥].

فأوجب الله الصيام عَيْنًا بدون تخيير» متفق عليه.

ولا يجب الصوم حتى يثبت دخول الشهر، فلا يصوم قبل دخول الشهر لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

ويُحْكَم بدخول شهر رمضان بواحد من أمرين:

الأول: رؤية هلاله لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا رَأَيتُمُ الهِلَالَ فَصُومُوا»** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ولا يشترط أن يراه كل واحد بنفسه، بل إذا رآه من يثبت بشهادته دخول الشهر وجب الصوم على الجميع.

ويُشترط لقبول الشهادة بالرؤية أن يكون الشاهد بالغًا عاقلًا مسلمًا موثوقًا بخبره لأمانته وبصره، فأما الصغير فلا يثبت الشهر بشهادته لأنه لا يُوثَق به وأَوْلَى منه المجنون، والكافر لا يثبت الشهر بشهادته أيضًا ومن لا يُوثَق بخبره بكونه معروفًا بالكذب أو

بالتسرع أو كان ضعيف البصر بحيث لا يمكن أن يراه فلا يثبت الشهر بشهادته للشك في صدقه أو رجحان كذبه.

وإذا ثبت دخول الشهر ثبوتًا شرعيًّا فلا عبرة بمنازل القمر؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّق الحكم برؤية الهلال لا بمنازله فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الأمر الثاني: مما يُحْكَم فيه بدخول الشهر: إكمال الشهر السابق قبله ثلاثين يومًا؛ لأن الشهر القمري لا يمكن أن يزيد على ثلاثين يومًا، ولا ينقص عن تسعة وعشرين يومًا، وربما يتوالى شهران أو ثلاثة إلى أربعة ثلاثين يومًا، أو شهران أو ثلاثة إلى أربعة تسعة وعشرين يومًا، لكن الغالب شهر أو شهران كاملة والثالث ناقص، فمتى تم الشهر السابق ثلاثين يومًا حُكِمَ شرعًا بدخول الشهر الذي يليه وإن لم يُرَ الهلال؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

وعند البخاري: «**فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيكُم فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**».

وبهذه الأحاديث تبَيَّن أنه لا يصام رمضان قبل رؤية هلاله، فإن لم يُرَ الهلال أُكْمِلَ شعبانُ ثلاثين يومًا، ولا يصام يوم الثلاثين منه سواء كانت الليلة صحوا أم غيما لقول عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ صَامَ يَوْمَ الشَّكِّ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أَخرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَعَلَّقَهُ البُخَارِيُّ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لاتباع الهدى، وجنِّبْنا أسباب الهلاك والشقاء، واجعل شهرنا هذا لنا شهر خير وبركة، وأعنا فيه على طاعتك، وجنِّبْنا طرق معصيتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الدرس الخامس: مبطلات الصيام [١]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فيقول الله تعالى: ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ذكَرَ الله في هذه الآيةِ الكريمةِ أُصُولَ مُفَطِّراتِ الصومِ وذكَر النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في السُّنَّةِ تمامَ ذلك.

والمُفَطِّرَاتُ ستة أنْواع:

الأول: الجماعُ: وهو إيلاجُ الذَّكَرِ في الْفَرْجِ، وهو أعْظَمُها وأكْبَرُها إثمًا، فمَتَى جامع الصائمُ بطَل بصومُه فَرْضًا كان أوْ نَفْلًا، ثم إنْ كان في نهارِ رمضانَ والصومُ واجبٌ عليه لَزِمه مع القضاءِ الكفارةُ المغلَّظةُ وهي عتقُ رقبةٍ مؤمنةٍ، فإنْ لم يَجِدْ فصيام شهرينِ متتابعين لا يُفْطِرِ بينهما إلاَّ لعُذْرٍ شرعيٍّ كأيَّام العيدين والتشريقِ أو لعُذْرٍ حسِّيٍّ كالمَرَضِ والسفر لغيرِ قصدِ الْفِطْر، فإنْ أفطَرَ لغيرِ عذرٍ ولو يومًا واحدًا لزمه استِئْنافُ الصيامِ مِنْ جديدٍ ليحصلَ التتابُع، فإن لَم يستطعْ صيامَ شهرينِ متتابعين فإطعامُ ستِّين مسكينًا لِكُلِّ مسكينٍ نِصفُ صاع، وقدره كيلو ونصف من الْبُرِّ الجيِّد ويجزئ عنه الرز أيضًا، وفي صحيح مسلم أن رجلًا وقع بامرأتِهِ في رمضانَ فاستَفْتَى النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن ذلك فقال: «**هَلْ تجدُ رقبةً؟ قال: لا. قال: هل تستطيعُ صيامَ شهرين؟ ـ يعني متتابعين كما في الروايات الأخْرَى ـ قال: لا. قال: فأطْعِمْ ستين مِسْكينًا**»، وهو في الصحيحين مطولًا.

---

(١) ملخص من «مجالس شهر رمضان» ص (٩٧) وما بعدها بتصرف يسير، وزيادة.

الثاني: إنزالُ المنيِّ باختياره: بتقبيل أو لمسٍ أو استمناء أو نحو ذلك؛ لأنَّ هذا مِنَ الشَّهْوةِ الَّتِي لا يكونُ الصوم إلاَّ باجتِنَابها كما جاء في الحديث الْقُدْسيِّ: **«يَدَع طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجْلِي»** رواه البخاري.

فأمَّا التقبيلُ واللَّمْس بدونِ إنْزالٍ فلا يُفَطِّرُ، لمَا في الصحيحين من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«أنَّ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان يُقَبِّلُ وهو صائمٌ ويباشر وهو صائمٌ، ولَكِنَّه كان أمْلَكَكُمْ لإربِه»**.

لكن إنْ كان الصائمُ يخشى على نفْسِه من الإنزالِ بالتقبيلِ ونحوِه أو مِنَ التدَرُّج بذلك إلى الجماعِ لعدمِ قوَّتِهِ على كَبْحِ شَهْوَتِهِ فإنَّ التقبيلَ ونَحْوَه يحرم حينئذٍ سَدًا للذَّريعةِ، وَصونًا لصيامه عن الفسادِ؛ ولذلك أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتوضأ بالمبالغة في الاستنشاق إلا أن يكون صائمًا خوفًا من تسرب الماء إلى جوفه.

وأمَّا الإنزالُ بالاحتلام أو بالتَّفْكير المجرَّدِ عن العمل فلا يُفَطِّر لأنَّ الاحتلامَ بغيرِ اختيارِ الصائم.

وأمَّا التفكيرُ فمعفوٌ عنه لقولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ الله تَجَاوزَ عن أمَتِي ما حدَّثَتْ به أنْفُسَهَا ما لم تَعْمَلْ أوْ تتكلمْ»** متفق عليه.

لكن يجب أن لا يسترسل الإنسان مع التفكير، حتى يقع في المحظور.

الثالث: الأكلُ أو الشربُ: وهو إيصالُ الطَّعامِ أو الشراب إلى الْجَوْف من طريقِ الْفَمِ أو الأنفِ أيًّا كان نوعُ المأكولُ أو المَشروب، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والسَّعُوط في الأنْفِ، كالأكل والشرب لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث لَقِيط بن صبرة: **«وبالِغْ في الاستنشاقَ، إلاَّ أن تكون صائمًا»** رواه الخمسة وصححه الترمذي.

فأما شم الروائح فلا يفطِّر لأنه ليس للرائحة جرم يدخل إلى الجوف.

الرابع: ما كان بمَعْنَى الأكْلِ والشربِ **وهو شيئان:**

أحَدُهما: حَقْنُ الدَّمِ في الصائمِ مثل أن يُصابَ بنزيفٍ فيُحقنَ به دمٌ فيفْطِرُ بذلك لأن الدَّمَ هو غايةُ الغِذاءِ بالطَّعامِ والشرابِ، وقد حصل ذلك بحقن الدَّم فيه.

الثاني: الإبُر المغذِّيةُ الَّتِي يُكتَفَى بها عن الأكل والشرب فإذا تناوَلها أفْطَر لأنها وإنْ لم تكن أكْلًا وشربًا حَقِيْقةً، فإنَّها بمعناهُما، فَثَبَت لها حُكمهما.

فأمَّا الإبرُ غير المُغَذِّيةِ فإنَّها غيرُ مُفَطِّرةٍ سواءٌ تَنَاولها عن طريق العَضَلاتِ أو عن طريق العُرُوقِ حَتَّى ولو وجدَ حرارتها في حلْقِهِ فإنَّها لا تُفْطِّرَ لأنها ليست أكلًا ولا شُربًا ولا بمعناهما، فلا يثْبت لها حُكمهما، ولا عِبْرةَ بوجودِ الطَّعْمِ في الحلْقِ في غير الأكل والشربِ، ولذا قال فُقَهاؤنا: لو لَطخَ باطنِ قَدمِهِ بِحَنْظَلٍ فوجد طعْمَه في حلقِه لم يُفْطِر، **وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رِسالةِ **«حقيقةُ الصيامِ»**: ليس في الأدلة ما يَقْتضي أنَّ المُفَطِرَ الَّذِي جَعلهَ الله ورسوله مُفَطِّرًا هو ما كَانَ واصِلًا إلى دماغٍ أو بَدنٍ أوْ ما كان داخِلًا مِنْ مَنْفَذٍ أو واصِلًا إلى جوفٍ ونحْو ذَلِك من المعاني التي يجعلُها أصحابُ هذه الأقاويل هي مَنَاطَ الْحُكْمِ عند الله ورسولِه.

قال: وإذا لم يكنْ دليلٌ على تعليق الله ورسولِه الْحُكْمَ على هذا الْوَصفِ، كان قولُ القائلِ: إنَّ الله ورسوله إنَّما جعلا هذا مُفَطِّراً لِهذَا قولاً بلا عِلمٍ. انتهى كلامِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الخامسُ: التَّقَيُّؤ عَمْدًا: وهو إخراجُ ما في المَعِدةِ من طعام أو شرابٍ عن طريق الْفَم، لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ ذَرَعه الْقَيءُ فليس عليه قضاءٌ ومَن استقاء عمدًا فلْيَقض»** رواه الخمسة إلا النسائيَّ وصححه الحاكم.

ومَعْنَى ذرعه: غَلَبَهُ، وَيُفطرُ إذا تَعَمَّد القَيءَ إما بالفعل كَعَصْرِ بَطْنِهِ أَو غَمْزِ حَلْقِهِ أو بِالشم مثل أن يشم شيئًا ليقيء به أو بالنظر كأن يتعمد النظر إلى شيء ليقيء به فيُفْطِرُ بذلك كلِّه، أمَّا إذَا حصلَ القيءُ بدونِ سببٍ منه فإنَّه لا يَضرُّ، وإذا راجت مَعِدتُهُ لَمْ يلزمْه مَنْعُ القَيءِ لأنَّ ذلك يَضُرُّه ولكنْ يتركُه فلا يحاولُ القيءَ ولا منْعَه.

السادس: خروجُ دمِ الْحَيْضَ والنِّفَاسِ، لقولِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَرْأةِ **«أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ»**؟ فمتى رأتْ دمَ الْحَيْض أو النِّفاس فَسدَ صومُها سَواءٌ في أوَّل

النهارِ أمْ في آخرِهِ ولو قبل الغُروبِ بَلَحظةٍ وإنْ أحَسَّتْ بانتقال الدَّمِ ولم يَبْرُزْ إلاَّ بعد الغروبِ فصومُها صحيحٌ.

ويحرمُ على الصائمِ تناوُلُ هذه المفُطِّراتِ إن كان صَومُه واجبًا كصومِ رمضان والكفارةِ والنَّذْرِ إلا أن يكون له عذرٌ يبيح الفطرَ كسفرٍ ومرضٍ ونحوهما؛ لأن من تلبَّس بواجبٍ لزمه إتمامُه إلا لعذرٍ صحيح، ثم إن من تناولها في نهارِ رمضانَ لغيرِ عذرٍ وجب عليه الإمساكُ بقيةَ اليوم والقضاءُ وإلا لزمه القضاء دونَ الإمساك. أما إن كان صومُه تطوعًا فإنه يجوز له الفطرُ ولو بدون عذر لكن الأولى الإتمام.

إخــواني، حافظُوا على الطَّاعات، وجانبُوا المعاصيَ والمحرَّمات، وابتهلوا إلى فاطرِ الأرض والسموات، وتعرَّضُوا لنفحاتِ جودِه فإنَّه جزيلُ الْهبات.

واعلموا أنه ليسَ لكم من دُنْياكم إلا ما أمضَيْتُموه في طاعةِ مولاكم.

فالْغَنِيْمةَ الغنيمةَ قبلَ فواتِ الأوَان، والمرابَحَةَ المرابحةَ قبل حُلولِ الخُسْران.

اللَّهُمَّ وفِّقْنَا لاغتنامِ الأوقات، وشغْلِها بالأعمالِ الصالحات.

اللَّهُمَّ جُدْ علينا بالْفضلِ والإحسان، وعاملنا بالعفوِ والغُفْران.

اللَّهُمَّ يَّسرْنَا لليُسرى، وجنِّبْنا العُسْرى واغْفِرْ لنا في الآخِرةِ والأولى.

اللَّهُمَّ ارزقنا شفاعةَ نبيِّنا وأوْردْنا حوضه وأسقِنَا منه شربةً لا نظْمأ بعدَها أبدًا يا ربَّ العالمين.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدِك ونبيِّك محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِه أجمعين.

الدرس السادس: أقسام الناس في الصيام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فقد سبق أنَّ فَرْضَ الصيام كان في أولِ الأمر على مرْحلتين، ثم استقرتْ أحْكامُ الصيامِ فكان الناسُ فيها أقسامًا عَشرَةً:

القسمُ الأوَّلُ: المُسلِمُ البالغُ العاقلُ المقيمُ القادر السالمُ من الموانعِ، فيجبُ عليه صومُ رمضانَ أدَاءً في وقتِه **لدلالةِ الكتاب والسُنَّةِ والإجْماع** على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إذا رأيتمُ الهلالَ فصُوموا»** متفق عليه.

وأجمع المسلمونَ على وُجوبِ الصيامِ أداءً على مَنْ وصفنا.

فأمَّا الكافرُ فلا يجب عليه الصيام ولا يصِحُّ منه لأنَّه ليس أهلاً للعبادةِ.

القسم الثاني: الصغيرُ فلا يجب عليه الصيامُ حتى يبلُغَ لقول النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ: عن النائم حتى يستيقِظَ وعن الصغير حتى يكْبرَ وعن المجنونِ حتى يفيقَ»** رواه أحمدُ وأبو داودَ والنسائيُّ وصححه الحاكم.

لكن يأمره وليُّه بالصومِ إذَا أطاقه تمرينًا لَهُ على الطاعة ليألفَهَا بعْدَ بلوغِهِ اقتداءً بالسلفِ الصالح رضوان الله عليهم.

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يُصَوِّمون أولادهم وهم صغارٌ، ويذهبون إلى المسجد فيجعلون لهم اللعبة من العِهن ـ يعني الصوف أو نحوَه ـ فإذا بكَوا من فقد الطعام

أعطوهم اللعبة يتلهَّون بها.

وكثيرٌ من الأولياءِ اليومَ يغْفُلونَ عن هذا الأمْرِ ولا يأمرونَ أولادَهم بالصيام، بلْ إنَّ بعْضَهم يمنعُ أولادَه من الصيامِ مع رغْبَتهم فيه يَزعُم أنَّ ذلك رحمةً بهم.

والحقيقةُ أنَّ رحْمَتهمْ هي القيامُ بواجب تربيتهم على شعائر الإسلام وتعالِيْمِهِ القَيِّمةِ، فمنْ مَنعهم مِن ذلك أوْ فرَّط فيه كان ظالمًا لهم ولِنَفْسه أيضًا...

نعَمْ إنْ صَاموا فَرأى عليهم ضَررًا بالصيامِ فلا حرجَ عليه في منعهم منه حِيْنئذٍ.

ويَحْصل بُلوغُ الذكر بواحدٍ من أمور ثلاثةٍ:

أحدُها: إنزالُ المَنِيِّ باحتلامٍ أو غيرِهِ.

الثاني: نبَاتُ شَعرِ العَانةِ وهو الشَّعْر الْخشِنُ ينْبُت حوْلَ الْقُبلِ.

الثالثُ: بلوغُ تمامِ خَمْسَ عَشْرةَ سنةً.

ويحصل بلوغُ الأُنثى بما يحْصلُ به بلوغُ الذَكَرِ وزيادة أمرٍ رابعٍ وهو الحيضُ، فمتى حاضتْ الأُنثى فقد بلغتْ، فيجري عليها قلَمُ التكليفِ وإنْ لم تبلُغْ عشر سنينَ.

القسم الثالث: المجنونُ وهو فاقدُ العقل فلا يجبُ عليه الصيام، لما سبق من قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«رفع القلم عن ثلاثة...»** الحديث.

ولا يصحُّ منه الصيام لأنه ليس له عقلٌ يعقل به العبادة وينويها، والعبادة لا تصح إلا بنية لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى»** فإن كان يجن أحيانًا ويُفيقُ أحيانًا لزمه الصيام في حالِ إفاقتِهِ دون حالِ جنونِه، وإنْ جُنَّ في أثناءِ النهارِ لم يبطُل صومُه كما لو أغمي عليه بمرضٍ أو غيره لأنَّه نوى الصومَ وهو عاقلٌ بنيَّةٍ صحيحةٍ.

ولا دليل على البطلان خصوصًا إذا كان معلومًا أنَّ الجنونَ ينْتَابُه في ساعاتٍ مُعيَّنةٍ، وعلى هذا فلا يلزمُ قضاءُ الْيَوْم الَّذِي حصل فيه الجُنونُ، وإذا أفاق المجنونُ أثناء نهار رمضانَ لزمه إمْسَاكُ بقيَّةِ يومِهِ، لأنَّه صار من أهلِ الوجوب، ولا يلزمُهُ قضاؤهُ كالصبيِّ إذا بلَغَ والكافرِ إذا أسْلَمَ.

القسم الرابع: الْهَرِمُ الَّذِي بلَغَ الهذَيَان وسقَط تَمييزُه فلا يجبُ عليه الصيامُ ولا الإطعام عنه لسُقوطِ التكليف عنه بزَوال تمييزِهِ فأشْبهَ الصَّبيَّ قبل التمييزِ، فإن كان يميز أحيانًا ويهذي أحيانًا وجب عليه الصوم في حال تمييزه دونَ حالِ هذَيانِه، والصلاة كالصومِ لا تلزمه حال هذيانه وتلزمه حالَ تمييزِه.

القسم الخامس: العاجزُ عن الصيام عجْزًا مستَمِرًا لا يُرجَى زوالُه، كالكبيرِ والمريض مرضًا لا يُرْجى برؤه كصاحبِ السَّرطانِ ونحوِه، فلا يجب عليه الصيامُ لأنَّه لا يستطيعُه، وقد قال الله سبحانه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

لكن يجب عليه أن يُطعمَ بدلَ الصيامِ عنْ كلِّ يومٍ مسكينًا؛ لأنَّ الله سبحانَه جَعَل الإطعامَ مُعَادلًا للصيامِ حينَ كان التخييرُ بينهُما أوَّلَ ما فُرِضَ الصيامُ فتعيَّن أنْ يكون بدلاً عن الصيامِ عند العَجزِ عنه لأنه معادله.

ويخيَّرُ في الإطعام بين أنْ يُفرِّقَه حبًّا على المسَاكينِ لكُلِّ مسكين كيلو ونصف، وبينَ أنْ يُصلحَ طعامًا فيدعو إليهِ مساكينَ بقدْرِ الأيامِ الَّتي عليه.

قال البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأمَّا الشيخُ الكبيرُ إذا لم يُطقِ الصيام فقَدْ أطعَمَ أنسٌ بعدمَا كَبِرَ عامًا أوْ عامين كُلَّ يوم مسكينًا خُبْزًا ولحمًا، وَأفْطرَ.

وقال ابنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -في الشيخ الكبيرِ والمَرأةِ الكبيرةِ لا يستطيعانِ أنْ يَصُومَا-: فيطعمانِ مكانَ كلِّ يوم مسكينًا. رواه البخاري.

القسم السادس: المسافرُ إذا لم يقْصُدْ بسَفَرِه التَّحيُّلَ على الفِطْرِ، فإن قَصَد ذَلِكَ فالفطرُ عليه حرامٌ والصيامُ واجبٌ عليه حْينئذٍ.

فإذا لَمْ يقصد التَّحيُّلَ فهو مخيَّرٌ بين الصيام والفطر سواءٌ طالتْ مدةُ سفره أمْ قصُرتْ، وسواءٌ كان سفرُه طارِئًا لغَرض أمْ مُسْتَمِّراً، كسَائِقي الطائراتِ وسياراتِ الأجْرةِ لعموم قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا

﴿يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كُنَّا نُسَافر مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمنا الصائم ومنا المفطر، فلَمْ يَعِب الصائمُ على المُفطِر ولا المفْطِرُ على الصائمِ**».

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يَرْونَ أنَّ مَنْ وجَدَ قُوَّة فصَام فإنَّ ذلك حَسَنٌ، ويرونَ أنَّ منْ وجَدَ ضعْفًا فأفْطرَ فإنَّ ذلك حَسَنٌ.

وفي صحيح مسلم عن حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه**».

فإذا كان صاحبُ سيارةِ الأجرةِ يشقُّ عليه الصومُ في رمضانَ في السَّفرِ من أجل الحرِّ مثلًا فإنه يؤخره إلى وقت يبرد فيه الجو ويتيسَّر فيه الصيام عليه.

والأفضل للمسافر فعلُ الأسهلِ عليه من الصيام والْفِطرِ، فإنْ تساويَا فالصَّومُ أفضلُ لأنَه أسْرعُ في إبراء ذمته وأنشط له إذا صامَ معَ الناسِ، لأنه فعلُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلمٍ عن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**خَرَجنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضانَ في حرٍّ شديدٍ، حتى إنْ كان أحَدُنا ليضع يَدَه على رأسِهِ من شدةِ الحرِّ، وما فينا صائمٌ إلاَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبدُالله بنُ رواحة**»، وأفْطرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراعاةً لأصحابِه حينَ بلغه أنَّهمْ شَقَّ عليهِم الصيام، فعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى مكةَ عامَ الفتحِ فصامَ حتى بَلَغ كُرَاعَ الْغميمَ، فصامَ الناسُ معه فقيل له: إنَّ الناسَ قد شقَّ عليهم الصيامُ، وإنَّهم ينظُرونَ فيما فَعْلت، فَدعَا بقَدَحٍ مِن ماءٍ بعد العصر فشَربَ والناسُ ينظرون إليه**». رواه مسلم.

وإذا كان المسافرُ يَشُقُّ عليه الصومُ فإنَّه يفطرُ ولا يصُومُ في السفرِ، ففي حديثِ جابرٍ السابق أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أفْطرَ حينَ شَقَّ الصومُ على الناس قيل له: إنَّ بعض الناسِ قد صَامَ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أولَئِك العُصاةُ، أولئك العصاة**» رواه مسلم.

وإذا قدِم المسافرُ إلى بلدِه في نهارِ رمضانَ مفطِرًا لم يصحَّ صومُه ذلكَ اليومَ، لأنه كان

مُفْطِرًا في أوَّل النهار.

والصومُ الواجبُ لا يصح إلاَّ مِنْ طلُوعِ الفجر.

اللّٰهُمَّ وفقنا لما تحب وترضى وخذ بنواصينا للبر والتقوى وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع: ذكر بقية أقسام الناس في الصيام

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا. **أما بعد:**

فقد تقدم ذكر جملةٍ من أقسام الناس في الصيام ونذكر هنا بقية الأقسام:

القسم السابع: المِريضُ الَّذِي يُرجَى برؤُ مرضِه **وله ثلاثُ حالاتٍ:**

إحداها: أنْ لا يشقَّ عليه الصومُ ولا يَضُرُّه، فيجبُ عليه الصومُ لأنه ليس له عُذْرٌ يُبِيح الْفِطْرَ.

الثانيةُ: أنْ يشقَّ عليه الصومُ ولا يضُرُّه، فيفطرُ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويُكْره له الصوم مع المشقَّةِ، لأنه خروجٌ عن رُخصةِ الله تعالى وتعْذيبٌ لنفسه، وفي الحديث: **«إن الله يُحب أن تُؤتى رُخَصُه كما يكرهُ أن تؤتى معْصِيتُه»** رواه أحمد، وابنُ حبان وابنُ خُزَيمة في صحيحيهما، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإرواء (٥٦٤).

الثالثةُ: أنْ يضُرَّه الصومُ فيجبُ عليه الْفطرُ ولا يجوزُ له الصومُ لقولِه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]، وقولِه: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ولقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ لِنفسكَ عليْك حقًّا»** رواه البخاري.

ومن حقهَا أنْ لا تضرَّها مع وجود رخصةِ الله سبحانه، ولقولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا ضَررَ ولا ضرارِ»** أخرجه ابن ماجه والحاكم.

قال النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهُ طرقٌ يقوِي بعضُها بعضًا.

وإذا حدَث له المرَضُ في أثناءِ رمضانَ وهو صائمٌ وشقَّ عليه إتمامُه جاز له الفطرُ لوجودِ المُبيح للفطر.

وإذا برأ في نهارِ رمضانَ وهو مفطر لم يصحَّ أنْ يصومَ ذلك اليَوْمَ لأنَّه كان مُفطِرًا في أوَّلِ النهار، والصومُ الواجب لا يصحُّ إلاَّ مِنْ طلوع الفجر.

وإذا ثبت بالطِّبِّ أنَّ الصومَ يجلِبُ المرَضَ أو يؤخر بُرأه جاز له الفطرُ محافظةً على صِحَّتِه واتقاءً للمرض.

فإنْ كان يُرْجى زوالُ هذا الخَطر، انْتظَرَ حتى يزولَ ثم يقضي ما أفْطر.

وإنْ كان لا يُرْجى زوالهُ فحكمه حُكمُ القسمِ الخامِسِ يُفطِرُ ويُطْعِمُ عنْ كلِّ يومٍ مسكينًا.

القسم الثامن: الحائضُ فيحرمُ عليها الصيامُ ولا يصحُّ منها لقول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النساءِ: «**ما رأيت مِنْ ناقصاتِ عَقْلٍ ودينٍ أذْهَبَ للُبِّ الرَّجل الحازمِ مِنْ إحداكُنَّ، قُلنَ: وما نقصانُ عقلِنا ودينِنا يا رسولَ الله؟ قال: أَلَيْسَ شَهادةُ المرأةِ مثلَ نصْفِ شهادةِ الرَّجُلِ؟ قُلنَ: بلى. قال: فذلك نقصانُ عَقْلِها، أليس إذا حاضتْ لم تُصلِّ ولَم تُصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك مِنْ نقصانِ دِيْنِها**» متفق عليه.

والحَيْضُ دمُ طبيعي يعتادُ المرأةَ في أيَّامٍ معلومةٍ.

وإذا ظَهَرَ الحيضُ منها وهي صائمةٌ ولو قبلَ الغروبِ بلحْظَةٍ بَطلَ صومُ يومِها ولزِمَها قضاؤه إلاَّ أنْ يكون صومُها تطوُّعاً فقضاؤه تطوُّعٌ لا واجبٌ.

وإذا طهُرتْ من الحيضِ في أثناءِ رمضانَ لم يصحَّ صومُها بقيَّة اليومِ لوجودِ ما يُنافي الصيامَ في حقِّها في أولِّ النهارِ.

وإذا طهرتْ في الليل في رمضان ولو قبْل الفجرِ بلحظة وجب عليها الصومُ لأنها مِنْ أهلِ الصيام وليس فيها ما يمنعُه فوجبَ عليها الصيامُ، ويصحُّ صومُها حينئذٍ وإنْ لم تَغْتَسل إلاَّ بعد طلوعِ الفجر كالجُنبِ إذا صامَ ولم يغْتسِلْ إلاَّ بعدَ طلوعِ الْفجرِ فإنَّه يصحُّ صومُه لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كان النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يصبحُ جُنُبًا من جماعٍ غير احتلامٍ ثم يصومُ في رَمضانَ**» متفق عليه.

والنُّفسَاءُ كالحائضِ في جميع ما تقدَّم.

ويجبُ عليها القضاءُ بعددِ الأيام التي فاتَتْها لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤].

وسُئلت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما بالُ الحائضِ تقضي الصومَ ولا تقضي الصلاة؟ قالتْ: «**كان يصيبُنَا ذلك فنؤمرُ بقضاء الصومِ ولا نؤمرُ بقضاء الصلاة**» رواه مسلم.

القسم التاسع: المرأة إذا كانت مُرضعًا أو حاملًا وخافتْ على نفسِها أو على الولَد من الصَّوم فإنها تفطرُ لحديث أنسِ بن مالك الْكعبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله وضَع عن المسافر شطرَ الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصومَ أو الصيام**» أخرجه الخمسة، وهذا لفظ ابن ماجة.

ويلزمُهَا القضاءُ بِعَدَدِ الأيامِ التي أفطرتْ حِينَ يتيسَّرُ لها ذلك ويزولُ عنها الخوفُ كالمريض إذا بَرِأ.

القسم العاشر: مَن احتاج للْفطرِ لِدفْعِ ضرورةِ غيرِهِ كإنقاذ معصومٍ مِنْ غرقٍ أوْ حريقٍ أو هدْمٍ أوْ نحو ذلك فإذا كان لا يمكنه إنقَاذُه إلاَّ بالتَّقَوِّي عليه بالأكْل والشُّرب جاز له الفِطرُ، بل وَجبَ الفطرُ حِيْنئذٍ لأن إنقاذ المعصوم من الْهَلكَةِ واجبٌ، وما لا يَتمُّ الواجبُ إلاَّ به فهو واجبٌ، ويلزمُه قضاءُ ما أفْطَرَه.

وكُلُّ مَنْ جاز له الفطرُ بسببٍ مما تقَدَّم فإنَّه لا يُنكرُ عليه إعْلانُ فِطْرِهِ إذا كان سبَبُه ظاهراً كالمريضِ والكبير الذي لا يستطيع الصومَ، وأمَّا إن كان سببُ فطره خفيًّا كالحائِضِ ومَنْ أنقَذَ معصومًا من هلَكةٍ فإنه يُفطر سرًّا ولا يعْلِنُ فِطْرَه لئلا يَجُرَّ التهمةَ إلى نَفْسِه ولئلاَّ يَغْتَرَّ به الجاهلُ فيظنُّ أنَّ الفطرَ جائزٌ بدون عُذْر.

نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين في كل مكان، وأن ينصر الحق وأهله، ويخذل الباطل وأهله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن: في أحكام القضاء

الحمدُ للهِ مدبِرِ الليالي والأيام، ومصرف الشهور والأعوام، الملكِ القدُّوس السلام، المُتفرِّدِ بالعظمةِ والبقاءِ والدَّوام، المُتَنزِّهِ عن النقائصِ ومشابهَةِ الأنام وأشهد أن لا إله إلاَّ الله الَّذِي لا تحيطُ به العقولُ والأوهام، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أفضَلُ الأنام صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فإن من رحمة الله تعالى بعباده أن يسر لهم أمور الشريعة وجعل هذه الشريعة مبنية على التيسير والسماحة فلم يكلف العباد ما يشق عليهم ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن ذلك أن من كان ذا عذر شرعي جاز له أن يفطر ويقضي بعد ذلك بعد زوال عذره وللقضاء أحكام شرعية نعرج على أهمها في هذ الدرس.

فبعد أن ذكرنا أقسام الناس في الصيام فيما سبق فكُلُّ من لَزِمه القضاءُ من الأقسام السابقةِ فإنَّه يقْضِي بعددِ الأيامِ التي أفْطر لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤].

فإنْ أفطَر جَميعَ الشهر لزمه جميعُ أيامه، فإن كان الشهر ثلاثين يومًا لزمه ثلاثون يومًا، وإن كان تسعةً وعشرينَ يومًا لزمه تسعةٌ وعشرونَ يومًا فَقْط.

والأوْلَى المُبادَرَةُ بالْقضاءِ من حينِ زوالِ الْعذرِ لأنه أسبقُ إلى الخيرِ وأسْرَعُ في إبراءِ الذِّمَّةِ.

ويجوز تأخيرهُ إلى أن يكونَ بينهُ وبين رمضانَ الثاني بعددِ الأيامِ التي عليه لقولِه تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ومن تمام الْيُسرِ تأخير قضائِها، فإذا كان عليه عشرةُ أيامٍ من رمضان جاز تأخيرها إلى أن يكون بينه وبينَ رمضانَ الثاني عشرة أيامٍ.

ولا يجوز تأخيرُ القضاءِ إلى بعد رمضانَ الثاني بدونِ عذرٍ لقولِ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كان يكونُ عليَّ الصومُ من رمضانَ فما أَسْتطيع أنْ أقضيه إلاَّ في شعبانَ**» رواه البخاري.

ولأنَّ تأخيره إلى بعد رمضانَ الثاني يُوْجبُ أنْ يتراكم عليه الصومُ وربَّمَا يعجزُ عنه أوْ يموتُ، ولأن الصومَ عبادةٌ متكرِّرةٌ فَلْم يَجُز تأخيرُ الأولَى إلى وقتِ الثانيةِ كالصلاةِ، فإن استَمرَّ به العذرُ حَتَّى ماتَ فلا شَيْءَ عليه لأن الله سبحانه أوجَبَ عليه عدَّةً من أيامٍ أُخَرَ ولم يتمكنْ منْها فسقطت عنه كمن مات قبلَ دخولِ شهر رمضانَ لا يلزمُه صومُه، فإن تمكَّن من القضاءِ فَفَرَّط فيه حتى مات صام وليُّهُ عنه جميعَ الأيامِ التي تمكَّنَ من قضائِها، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه**» متفق عليه.

ووَلِيُّهُ وارِثُه أو قريبُه.

ويجوز أنْ يصومَ عنه جماعةٌ بعددِ الأيامِ التي عليه في يوم واحدٍ.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الحسنُ: إن صامَ عنه ثلاثونَ رجلًا يومًا واحدًا جاز، فإن لم يكن له وليٌّ أو كان له وليٌّ لا يريدُ الصومَ عنه أُطعمَ مِنْ تركتِه عن كلِّ يومٍ مسكينٌ بعددِ الأيام التي تمكَّنَ من قضائِها؛ لِكُلِّ مسكينٍ كيلو ونصف من البر الجيد، أو ما يقوم مقامه كالأرز، والتمر، ونحو ذلك.

وإذا أفطر المسلم في رمضان لمرض ومات في مرضه فليس عليه شيء لا قضاء ولا إطعام لأنه معذور ولم يتمكن من القضاء.

وهكذا المسافر إذا مات في السفر أو بعد القدوم مباشرة فلا يجب القضاء عنه ولا الإطعام لأنه معذور شرعًا.

أما من شُفي من المرض وتساهل في القضاء حتى مات أو قدم من السفر وتساهل في القضاء حتى مات فإنه يشرع لأوليائهما ـ وهم الأقرباء ـ القضاء عنهما لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**».

ومن أخر القضاء بدون عذر حتى دخل عليه رمضان الآخر فإنه يأثم بذلك ويلزمه القضاء بعد رمضان الثاني وبعض أهل العلم يلزمه مع ذلك بإطعام مسكين عن كل يوم مع

الصيام وبه أفتى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو آثمٌ على التأخير. والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يغفر لنا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع: أمور لا تفسد الصيام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين ومالك يوم الدين الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رضاه، ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلاح للقلب ولا فلاح إلا في الإخلاص له وتوحيد حبه، الذي إذا أطيع شكر، وإذا عصي تاب وغفر، وإذا دعي أجاب، وإذا عومل أثاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى الآل والأصحاب وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فحديثنا اليوم حول أمور، يظن بعض الناس أنها تضر الصيام، أو تبطله، وليست كذلك، **فأحببنا أن ننبه على ما تيسر منها، فمن ذلك:**

١ـ الكحل:

فالكحل لا يفطر النساء ولا الرجال في أصح قولي العلماء مطلقًا ولكن استعماله في الليل أفضل في حق الصائم، وهكذا ما يحصل به تجميل الوجه من الصابون والأدهان وغير ذلك مما يتعلق بظاهر الجلد.

٢- استعمال معجون الأسنان:

تنظيف الأسنان بالمعجون لا يفطر به الصائم كالسواك وعليه التحرز من ذهاب شيء منه إلى جوفه فإن غلبه شيء من ذلك بدون قصد فلا قضاء عليه وتأخيره إلى الليل أولى لأن له نفوذًا قويًا فقد ينفذ إلى الجوف.

٣ـ قطرة العين والأذن:

قطرة العين والأذن لا يفطر بهما الصائم في أصح قولي العلماء فإن وجد طعم القطور في حلقه فالقضاء أحوط ولا يجب؛ لأنهما ليسا منفذين للطعام والشراب أما القطرة في الأنف

فلا تجوز لأن الأنف منفذ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا»** وعلى من فعل ذلك القضاء لهذا الحديث وما جاء في معناه إن وجد طعمها في حلقه.

٤- نزول المني بالاحتلام والتفكير:

أما الاحتلام والتفكير فلا يبطل الصوم بهما ولو خرج مني بسببهما وعليه أن يغتسل غسل الجنابة إذا رأى الماء وهو المني.

٥- مداعبة الزوجة:

تقبيل الرجل امرأته ومداعبته لها ومباشرته لها بغير الجماع وهو صائم إذا أمن على نفسه، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم، لكن؛ إن خشي الوقوع فيما حرم الله عليه لكونه سريع الشهوة، فعليه الابتعاد عن ذلك.

٦- بلع اللعاب:

اللعاب لا يضر الصوم؛ لأنه يشق التحرز منه، ولم يرد دليل على إبطاله الصوم.

أما النخامة، وهي ما يخرج من الصدر، أو من الأنف، ويقال لها: النخاعة، وهي البلغم الغليظ الذي يحصل للإنسان تارة من الصدر وتارة من الرأس، فالأولى والأقرب أنه لا يفطر بذلك، ولكن عليه الاحتياط لصومه ببصقها وإخراجها وعدم ابتلاعها لقول بعض العلماء بأنها من المفطرات.

٧ـ استعمال الطيب:

لا يفطر به الصائم لأنه ليس بطعام ولا بشراب ولا في حكمهما.

٨ ـ شم البخور مجردًا:

وأما إذا استنشقه فقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنه يفطر بذلك وذهب آخرون إلى أنه لا يفطر به وهو الأقوى، ولكن الأحوط ترك استنشاقه.

٩ـ الإبر غير المغذية:

سواء كانت وريدية أو عضلية وهذا الذي عليه كثير من علماء العصر.

١٠ـ السواك:

سواء كان قبل الزوال أو بعده ولا دليل يصح على التفريق قبل الزوال وبعده وهو مذهب جمهور العلماء لكن إذا كان السواك رطبًا فلا يجوز ابتلاع ماءه أما إذا كان يابسًا فيجوز ابتلاع الريق بعد السواك.

والسواك سنة للصائم في أول النهار وآخره كالمُفْطِرِينَ لقولِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لولا أنْ أشقَّ على أمَّتِي لأَمرْتُهم بالسواكِ عندَ كلِّ صلاةٍ»** رواه الجماعة.

وهذا عَامٌّ في الصائمينَ وغيرِهم في جميع الأوْقاتِ.

١١ـ استعمال بخاخ الربو: لأنه عبارة عن هواء ولا يصل إلى المعدة فلا يفطر باستعماله، وبذلك أفتت الجنة الدائمة، والعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ـ الاغتسال والسباحة:

فلا يضر الصائم ذلك حتى لو دخل ماء إلى جوفه بغير قصد فلا يفطر بذلك بل يجوزُ للصائمِ أنْ يفعلَ ما يخفِّفُ عنه شِدَّة الحرِّ والْعَطشِ كالتَّبَرُّدِ بالماءِ ونحوه لما رَوى مَالكٌ وأبو داودَ عن بعض أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: **«رأيتُ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالْعَرْجِ** ـ اسم موضع ـ **يصبُّ المَاءَ على رأسِهِ وهو صائم مِنَ الْعَطشِ، أوْ من الْحَر»**.

وبلّ ابنُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثَوْبًا فألْقَاه على نفْسِهِ وهو صائمٌ، وكان لأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حجَرٌ منْقُورٌ يشبِهُ الحَوضَ إذا وجدَ الحرَّ وهو صائمٌ نَزلَ فيه وكأنه والله أعلم مملوءٌ ماءً.

وقال الْحَسَنُ: لا بأسَ بالمضمضةِ والتَّبرُّدِ للصائمِ، ذكَرَ هذه الاثارَ البخاريُّ في صحيحِه تعْلِيقًا.

١٣ـ تذوق الطعام للصائم بشرط أن لا يبتلعه: وقد ثبت عند ابن أبي شيبة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: **«لا بأس أن يتطاعم الصائم العسل والسمن ونحوه ويمجه»**.

١٤ـ المضمضةِ والاستنشاقِ:

لَكِنْ لا يُبالغُ في ذلك لأنَّه ربَّما ذهب شيءٌ من الماءِ إلى جوفِه، فعن لَقِيْطِ بن صبرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أسْبِغ الوضوء وخَلِّلْ بينَ الأصابع وبالِغْ في**

الاستنشاق إلاَّ أنْ تكون صائمًا» رواه أبو داود والنسائيُّ وهو حديث صحيح.

نسأل الله تعالى أن يتقبل صيامنا ويغفر ذنوبنا وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، ويذل الشرك والمشركين، وأن يخذل أعداء الدين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدَّرْسُ العَاشِرُ: اغْتِنَامُ الأَوْقَاتِ فِي شَهْرِ الطَّاعَاتِ

الحمد لله الذي شهدتْ له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالإلهية جميع مصنوعاته، وشهدتْ بأنه الله الذي لا إله إلا هو بما أودعها من عجائب صنعته، وبدائع آياته، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلهيته، كما لا شريك له في ربوبيته، ولا مثيل له في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته، والله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن عمر الإنسان رأس ماله فإن استغله فيما ينفعه ويقربه إلى مولاه عاد عليه بالأرباح وإن ضيعه وفرط فيه وأهمل عاد عليه بالأحزان والأتراح.

وإن شهر رمضان موسم عظيم من مواسم التجارة الرابحة مع الله تعالى فإن الأعمال الصالحة فيه تضاعف.

قال الحافظ بن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:** منها:

شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم؛ ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»**. وفي رواية: **«فإنه أفضل»**.

ومنها: **شرف الزمان** كشهر رمضان وعشر ذي الحجة ... وفي الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«عمرة في رمضان تعدل بحجة»** أو قال: **«حجة معي»** اهـ بتصرف

أيها الناس، إن العبد لا يزال في هذه الحياة الدنيا مسافرًا إلى الدار الآخرة فيلزمه أن يتزود لما هو قادم عليه، وإن هذا الشهر فرصة عظيمة، وغنيمة وأي غنيمة لمن أراد أن يتزود

للدار الآخرة قبل ذهاب الليالي والأيام، وانقضاء الشهور والأعوام، فإنه ما من يوم يمر بالعبد إلا يقربه من الآخرة ويباعده من الدنيا.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك.

وقال: ابن آدم إنما أنت بين مطيتين يوضعانك، يوضعك النهار إلى الليل، والليل إلى النهار، حتى يسلمانك إلى الآخرة، فمن أعظم منك يا ابن آدم خطرًا.

وقال: الموت معقود في نواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم.

قال داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها، فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك.

وكتب بعض السلف إلى أخ له: يا أخي يخيل لك أنك مقيم، بل أنت دائب السير، تساق مع ذلك سوقًا حثيثًا، الموت موجه إليك، والدنيا تطوى من ورائك، وما مضى من عمرك، فليس بكار عليك يوم التغابن.

سبيلك في الدنيا سبيل مسافرٍ ... ولا بد من زاد لكل مسافرِ
ولا بد للإنسان من حمل عدة ... ولا سيما إن خاف صولة قاهرِ

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته.

وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول، فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي، أخذت بما مضى وبما بقي، وفي هذا المعنى يقول

بعضهم:

وإنَّ امـرأً قـد سـارَ سـتينَ حجـةً إلى منهـلٍ مـن وردهِ لقريـبُ

قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه، سارت به وإن لم يسر، وفي هذا قال بعضهم:

ومـا هـذه الأيامُ إلا مراحـلٌ يحـث بهـا داعٍ إلى المـوت قاصـدُ

وأعجـبُ شـيءٍ - لـو تأملـتَ - أنَّهـا منـازلُ تطـوى والمسـافرُ قاعـدُ

وقال آخر:

أيا ويـحَ نفسـي مـن نهـارٍ يقودهـا إلى عسـكرِ المـوتى وليـلٍ يـذودها

قال الحسن: لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار، وتقريب الآجال، هيهات قد صحبا نوحًا وعادًا وثمودًا وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فأصبحوا أقدموا على ربهم، ووردوا على أعمالهم، وأصبح الليل والنهار غضين جديدين، لم يبلهما ما مرا به، مستعدين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى.

وكتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد؛ فقد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام.

نسـير إلى الآجـال في كـل لحظـة وأيامنـا تطـوى وهـن مراحـلُ

ولم أرَ مثـلَ المـوتِ حقًـا كأنَّـه إذا مـا تخطتـه الأمـاني باطـلُ

ومـا أقـبح التفـريط في زمـنِ الصبـا فكيـف بـه والشـيبُ للـرأسِ شـاملُ

ترحَّـلِ مـن الـدنيا بـزادٍ مـن التقـى فعمـرُك أيامٌ وهـن قلائـلُ[1]

فيا معشر المسلمين، اغتنموا أيام هذا الشهر المبارك ولياليه، فهي فرصة عظيمة، إذا

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢/٣٨٢).

ذهبت لا تعود، والمحروم من حرم خيره وفضله.

اللَّهُمَّ فقهْنا في ديْنِنا وارزقْنا العمل به، وثبِّتنَا عليه وتوفَّنَا مؤمِنين وألْحِقنَا بالصالحين، وأصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

واغفر لنا ولِوالِدِينا ولجميع المسلمينَ برحمتِك يا أرحم الراحمينَ وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجْمعينَ.

الدرس الحادي عشر: من حكم الصيام

الحمدُ للهِ الَّذِي خلق الخلق من تراب، وفاوت بينهم في العلوم والعقول والآداب، قرَّب أقوامًا، وأبعد آخرين، وأذل من شاء بالمعاصي، وأعز من شاء بالطاعة والتمكين، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له ذو الْعزَّةِ والْقهرِ فكلُّ النفوسِ له ذليلةٌ عانِيَة، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه القائمُ بأمر ربِّه سِرًا وعلاَنِية، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فإن الله تعالى شرع الصيام لحكم عظيمة وغايات حميدة فلم يشرعه تعذيبًا للعباد بترك الشهوات ولكن شرعه لتحقيق تقواه سبحانه وتعالى كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

واختص الله تعالى الصيام لنفسه من بين سائر أعمال العباد فقال في الحديث القدسي: **«الصيام لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»**.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: **«ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»**: فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه وأن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح وهذه أعظم شهوات النفس وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:

منها: كسر النفس: فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها: تخلي القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب، وتعميه، وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر، وتستدعي الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر.

ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه: بإقداره له على ما منعه كثيرًا من الفقراء، من فضول الطعام والشراب والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة

له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سورة الشهوة والغضب ولهذا جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصوم وجاءً؛ لقطعه عن شهوة النكاح. اهـ

ومن حِكَمِ الصيامِ: التَّمرُّنُ على ضَبْطِ النَّفْسِ، والسَّيْطرةُ عليها، والْقوَّةُ على الإمساكِ بزِمَامِهَا حتى يتمكنَ من التحكم فيها وقَوْدِهَا إِلى ما فيه خيرُها وسعادتها، فإنَّ النَّفس أمَّارةٌ بالسوءِ إلا ما رَحِمَ ربي، فإذا أطلقَ المرءُ لنَفْسِهِ عنَانها أوقعتْهُ في المهالك وإذا ملَكَ أمْرَها وسيْطر عليها تمكَّنَ من قيادتِها إلى أعلى المراتب وأسْنَى المَطَالب.

ومنْ حِكَمِ الصيامِ: أنَّه عبادةٌ للهِ تعالى يَتَقَرَّبُ العبدُ فيها إلى ربِّه بتْركِ محبوباتِه ومُشْتَهَياتِه منْ طعام وشرابٍ ونِكاح، فيظْهرُ بذلك صدقُ إيْمانِه وكمالُ عبوديتِه لله وقوةُ مَحَبَّته له ورجائِه ما عنده، فإنَّ الإنسانَ لا يتركُ محبوبًا له إلاَّ لمَا هو أعْظَمُ عنده مِنه، ولما عَلِمَ المؤمنُ أن رضَا الله في الصِّيام بترك شهواته المجبول على محبَّتِها قدَّمَ رضَا مولاه على هواه فتَركها أشدَّ ما يكونُ شوقًا إليها لأنَّ لذتَه وراحةَ نفْسِهِ في تْركِ ذلك لله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك كان كثيرٌ من المؤمنين لو ضُربَ أو حُبسَ على أن يُفْطر يومًا من رمضانَ بدونِ عُذْرٍ لم يُفطِرْ، وهذه الحكمةُ من أبلغ حِكمِ الصيامِ وأعظمِها.

ومنْ حِكَمِ الصيامِ: أنه سببٌ للتَّقْوى كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فإنَّ الصَّائِمَ مأمُورٌ بفعل الطاعاتِ واجتناب المعاصي كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«منْ لَم يَدعْ قول الزورِ والعملَ به والجَهلَ فليس لله حاجةٌ في أنَّ يَدعَ طعامَه وشرابَه»** رواه البخاري.

وإذا كان الصائمُ متلبسًا بالصيامِ فإنَّه كلَّما همَّ بمعصيةٍ تَذكَّر أنَّه صائمٌ فامتَنعَ عنها.

ولهذا أمرَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الصائمَ أنْ يقولَ لمَنْ سابَّه أو شاتَمَه: إِني امْرؤٌ صائمٌ، تَنْبيهًا له على أنَّ الصائمَ مأمورٌ بالإمساك عن السَّبِّ والشَّتْمِ، وتذكيراً لنفْسِه بأنه متلبسٌ بالصيام فيمتنعُ عن المُقابَلةِ بالسبِّ والشتم.

ومنْ حِكَمِ الصيامِ: ما يترتَّبُ عليه من الفَوائدِ الصِّحِّيَّةِ الَّتي تحصل بتقليل الطعامِ وإراحَةِ جهازِ الهضْم لمدةٍ معينةٍ وترسُّبِ بعضِ الرطوباتِ والفضلات الضَّارَّةِ بالجسْمِ وغير ذلك. فما أعظمَ حكمةَ الله وأبلَغَها، وما أنفعَ شرائعَه للخلق وأصلحَهَا.

اللَّهُمَّ فقِّهْنا في دِينك وألهمنا معرفةَ أسرارِ شريعتِك، وأصْلِح لنا شُؤون ديننَا ودنيانا، واغْفِرْ لنا ولوالِدِينا ولجميع المسلمينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى الله وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين [1].

(١) انظر: «مجالس شهر رمضان» ص(٦٤ وما بعدها).

الدَرْسُ الثَّانِي عَشَر: فِي آدَابِ الصِّيَامِ

الحمدُ لله الَّذِي أَرْشَدَ الخلقَ إلى أَكْملِ الآداب، وفتَحَ لهم من خزائنِ رحمتِهِ وجودِهِ كُلَّ باب، أَنَار بصائرَ المؤمنينَ فأدركوا الحقائقَ وطلبُوا الثَّواب، وأَعْمَى بصائرَ المُعْرِضين عن طاعتِهِ فصار بينهم وبين نوره حجاب، هدى أولئك بفضله ورحمته وأضلَّ الآخرين بعدله وحكمته، إن في ذلك لذِكْرى لأولى الألبَاب، وأَشْهدُ أَنْ لا إِله إِلاَّ الله وحده لا شريكَ له، له الملكُ الْعَزيزُ الوَهَّاب، وأَشْهدُ أَنَّ محمدًا عبده ورسولهُ المبعوثُ بأجَلِّ العباداتِ وأَكمَلِ الآداب، صلَّى الله عليه وعلى جميع الالِ والأَصْحَاب، وعلى التابعين لَهم بإِحْسَانٍ إلى يومَ المَآب، وسلَّم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن للصيام آدابًا من تأدب بها حفظ بها صومه مما ينقصه أو يبطله فإن الصائم يتقرب إلى الله بترك المباحات في زمن مؤقت فأولى به أن يترك ما حرم الله عليه على التأبيد.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله في كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»** خرجه البخاري، وفي حديث آخر: **«ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث»**. **وقال الحافظ أبو موسى المديني:** على شرط مسلم.

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام.

وقال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن في السمع مني تصاونٌ ... وفي بصري غضٌ وفي منطقي صمتُ

فحظي إذًا من صومي الجوع والظمأ ... فإن قلتُ: إني صمتُ يومي فما صمتُ

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر**».

وسر هذا: أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وإن كان صومه مجزئًا عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهي عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهي عنه لغير معنى يختص به هذا هو قول جمهور العلماء... ولهذا المعنى والله أعلم ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل فإنه محرم بكل حال لا يباح في وقت من الأوقات. أه بتصرف.

فمن آداب الصيام:

أن يجتنِبَ الصائمُ جميعَ ما حَرَّمَ الله ورسولُه مِنَ الأقوال والأفعالِ، فيجتنبَ الكذبَ وهو الإخبار بخلاف الواقع، وأعظمُه الكذبُ على الله ورسولِه كأنْ يَنْسُبَ إلى الله أو إلى رسولِهِ تحليلَ حرامٍ أوْ تحريمَ حلالٍ بلا علم.

ويجتنبُ الغِيْبَةَ، وهي ذِكْرُكَ أخَاك بما يَكْرَهُ في غَيْبتِهِ، سواءٌ ذكرتَه بما يَكرَه في خِلْقَتِهِ كالأعْرَجِ والأعورِ والأعمى على سبيلِ الْعيْبِ والذَّم، أو بما يَكرهُ في خُلُقِه كالأحْمَق والسفيهِ والفاسِقِ ونحوه.

وسواءٌ كان فيه ما تقُولُ أمْ لم يكُنْ، لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال عن الغِيْبةِ: «**هي ذِكْرُك أخاك بما يكْره، قيل: أفَرأيتَ إنْ كان في أخِي ما أقول؟ قال: إنْ كان فيه ما تقولُ فقد اغتبتَه وإنْ لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّهُ**» رواه مسلم.

ولقد نهى الله عن الغِيبةِ في القرآن وشبَّهها بأبشعِ صورةٍ؛ شبَّهها بالرَّجُل يأكلُ لحمَ

أخيه ميتًا، فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢].

ويجتنبُ النَّمِيْمَةَ وهي نقْلُ كلامِ شخصٍ في شخصٍ إليهِ ليُفْسدَ بَينهما، وهي من كبائِرِ الذنوبِ. قال فيها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يدخلُ الجَنَّةَ نَمَّام»** متفق عليه.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بقَبْرَين فقال: **«إنَّهما ليُعَذَّبانِ وما يُعذَّبان في كبير ـ أي في أمرٍ شاقٍّ عليهما ـ أمَّا أحَدُهما فكان لا يسْتنْزِهُ من البولِ، وأمَّا الآخرُ فكانَ يَمْشِي بالنَّميمة»**.

والنميمةُ فَسَادٌ للفَرْدِ، والمجتَمَع، وتفريقٌ بينَ المسلمين، وإلقاءٌ للعداوةِ بينهم ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠ – ١١].

فمن نمَّ إليكَ نمّ فيك فاحذره.

ويجتنبُ الْغِشَّ في جميع المعاملاتِ من بيعٍ وإجارةٍ وصناعةٍ ورهنٍ وغيرها، وفي جميع المناصحاتِ والمشوراتِ فإنَّ الغشَّ من كبائِرِ الذنوبِ، وقد تبرأ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فاعِلِه فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من غَشَّنَا فليس مِنَّا»**.

وفي لفظٍ: **«من غش فليس مِني»** رواه مسلم.

والغشُّ خديعةٌ وضياعٌ للأمانةِ وفقْدٌ للثِّقَةِ بين الناسِ، وكلُّ كَسبٍ من الغشِّ فإنَّه كسبٌ خبيثٌ حرامٌ لا يزيدُ صاحبَه إلاَّ بُعْدَاً من الله.

ويجتنبُ المَعازِفَ وهي آلاتُ اللَّهْوِ بجميعِ أنواعِها كالْعُودِ والرَّبابةِ والقَانونِ والْكَمنجَةِ والبيانو والْكَمانِ وغيرها فإنَّ هذه حَرَام. وتزدادُ تحريماً وإثماً إذا اقترنت بالْغنَاءِ بأصواتٍ جميلةٍ وأغانٍ مثيرةٍ قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

وقد صَحَّ عن ابن مسعودٍ أنَّه سُئِلَ عن هذِه الآية فقال: والله الذي لا إلهَ غيرُه هو

الغناء.

وصح أيضًا عن ابن عباسٍ وابن عمرَ وذكره ابن كثيرٍ عن جابرٍ وعكرمةَ وسعيدِ بن جُبيْرٍ ومجاهِدٍ.

وقال الْحَسنُ: نزلتْ هذه الآية في الغناءِ والمزامير.

وقد حذَّر النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المَعازفِ وقَرَنَها بالزِّنَا فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ليكونَنَّ من أُمَّتي أقْوَامٌ يستحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمْر والمعازفَ»** رواه البخاري.

فالْحِرُ: الفَرْجُ، والمراد به: الزِنا، ومعنى يستحلون: أي يفعلَونَها فعْلَ المستحِلِّ لها بدونِ مبالاةٍ، وقد وقعَ هذَا في زمِننا فكان مِن الناسِ من يستعملُ هذه المعازفَ أوْ يَسْتَمِعُها كأنَّها شَيْءٌ حلالٌ، وهذا مما نجحَ فيه أعداء الإسلام بكيدهم للمسلمين حتى صدوهم عن ذكر الله ومهامِّ دينهم ودنياهُم، وأصْبَحَ كثيرٌ منهم يستمعون إلى ذلك أكْثر مما يستمعونَ إلى قراءةِ القرآنِ والأحاديثِ وكلام أهْلِ العلم المُتضمِّنِ لبيانِ أحْكامِ الشريعةِ وحِكَمِها.

فاحذورا أيها المسلَمونَ نواقضَ الصومِ ونواقِصَهُ، وصُونُوه عن قول الزُّورِ والعملِ به.

قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«من لم يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به والجهلَ فليس لله حاجةٌ في أنْ يَدَع طعامَهَ وشرابَه»**.

اللَّهُمَّ احفظْ علينا دينَنَا. وكفَّ جوارحَنا عما يُغْضبُك.

واغفرْ لنا ولِوالِدينا ولجميع المسلمينَ برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمينَ.

وصلَّى الله وسلَّم على نَبِيَّنَا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين[(١)].

---

(١) انظر: «مجالس شهر رمضان» (٦٧).

الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَر: فِي مُسْتَحَبَّاتِ الصِّيَامِ

الحمدُ لله مُبلِّغِ الراجِي فوقَ مأمُولِه، ومُعْطِي السائلِ زيادةً على مسؤولِه، نحمدُه على نيلِ الهُدَى وحصولِه، ونقِرُّ بوحدانيَّتِهِ إقرارَ عارفٍ بالدَّلِيل وأصُوله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده، تنبئ عن صدقه في قيله، وصلِّ الله وسَلم على نبينا محمدٍ عبدِه ورسولِه وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فإن للصيام مستحباتٍ كثيرة ينبغي للصائم أن يحرص عليها فمنها:

١ـ السُّحُورُ: وهو الأكلُ في آخِرِ الليل سُمِّي بذلكَ لأنَّه يقعُ في السَّحَرِ فقد أمَرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به فقال: **«تَسحَّروا فإن في السحورِ بركةً»** متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَصْلُ ما بَيْنَ صيامِنَا وصيامِ أهلِ الكتابِ أكْلةُ السَّحَر»**.

وأثْنَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سَحُورِ التَّمرِ فقال: **«نِعْمَ سَحُورُ المؤمنِ التمرُ»** رواه أبو داود.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«السُّحُور كله بركةٌ فلا تَدَعُوْه ولو أن يجرع أحدكم جرعةً من ماءٍ فإن الله وملائكتَه يُصلُّون على المُتسَحِّرين»** رَوَاهُ أَحمَدُ.

وَيَنْبَغِي للمتسحر أنْ ينْويَ بِسُحُوره امتثالَ أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقْتداءَ بفعلِهِ، ليكونَ سُحُورُه عبادةً، وأنْ ينويَ به التَّقَوِّيَ على الصيام ليكونَ له به أجرٌ.

والسُّنَّةُ تأخيرُ السُّحورِ ما لَمْ يخْشَ طلوعَ الْفَجْرِ لأنَّه فعلُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن قتادة عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزَيْدَ بن ثابتٍ تسحَّرَا فلَّما فرغا من سُحُورهما قام نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصلاةِ فصلَّى، قُلنا لأنس: كَمْ كان بين فراغِهما من سُحُورهما ودخولهما في الصلاةِ؟ قال: قَدْرُ ما يقْرأ الرجلُ خَمسين آيةً. رواه البخاري.

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ بلاَلًا كان يؤذِّنُ بلَيْل، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُوا واشرَبُوا حتى يُؤذِّنَ ابن أمِّ مكتومٍ فإنَّه لا يؤذنُ حتى يطلُعَ الفجْرَ»** رواه البخاري.

وتأخيرُ السُّحور أرفْقُ بالصائِم وأسْلَمُ من النومِ عن صلاةِ الفجرِ.

وللصائم أن يأكلَ ويشربَ ولو بَعْد السُّحورِ ونيَّةِ الصيام حتى يَتيقَّنَ طلوعَ الفجر، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويحكم بطلوعِ الفجرِ إما بمشاهَدَتِهِ في الأُفقِ أو بخَبَرٍ موثوقٍ به بأذانٍ أو غيرِه، فإذا طلع الفجرُ أمْسَكَ وينوي بقلبِه ولا يَتلفَّظ بالنيةِ لأنَّ التلفظ بها بدعةٌ.

٢ـ ومن آداب الصيام المستحبةِ: تعجيلُ الفُطور إذا تحقق غروبُ الشَّمْسِ بمُشَاهدتِها أو غَلَب على ظنِّه الغروبُ بخبرٍ موثوقٍ به بأذانٍ أو غيرِه، فعن سَهْلِ بنِ سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يَزالُ الناسُ بخيْرٍ ما عَجَّلُوا الفِطْرَ»** متفق عليه.

والسنَّة أنْ يفطِرَ على رُطَبٍ، فإن عُدِم فتمْر، فإنْ عُدِم فَمَاء، لقول أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفطِرُ قبلَ أن يُصَلِّيَ على رُطباتٍ، فإنْ لَمْ تكنْ رطبات فَتَمَرَات، فإن لم تكن تمرات حَسَا حَسَواتٍ من ماءٍ»** رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

فإن لم يجد رُطَبًا ولا تمرًا ولا ماءً أفْطَر على ما تَيسَّر من طعام أو شرابٍ حلال. فإنْ لم يجد شَيْئًا نَوى الإفطار بقلبِه ولا يمص إصْبَعَه أو يجمع ريقَه ويَبلعه كما يفعلُ بعضُ العَوَامِّ.

٣ـ ومن آدابِ الصيامِ المستحبةِ: كثرةُ القراءةِ والذكرِ والدعاءِ والصلاةِ والصدقة.

ففي صحيح ابن حبَّان عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»**.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«أجْوَد الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن. فَلَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ يَلقاهُ جبريلُ أجْوَدُ بالْخيرِ من الريحِ المُرسلةِ»**.

وكان جُوْدُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمعُ أنْواعَ الجُودِ كُلَّها من بذْلِ الْعِلْمِ والنَّفْسِ والمالِ لله عَزَّ وَجَلَّ في إظهارِ دينِه وهداية عبادِه وإيْصالِ النَّفْعِ إليهم بكُلِّ طريقٍ من تعْليم جاهِلِهم وقضاءِ حوائِجِهم وإطعام جائِعهم.

وكان جودُه يتضاعَفُ في رمضان لِشَرَفِ وَقتِهِ ومضاعَفَةِ أجْرِهِ وإعانَةِ العابدين فيه على عبادتهم والجمع بين الصيام وإطعامِ الطعام وهما مِنْ أسْبابِ دخولِ الجنَّةِ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: **«مَنْ أصبح منْكُمْ اليومَ صائمًا؟»** فقال أبو بكر: أنا. قال: **«فمَنْ تبعَ منكم اليومَ جِنازةً؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فمَنْ أطعم منكم اليومَ مسكينًا؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فمَنْ عادَ منكم اليومَ مريضًا؟»** قال أبو بكر: أنا. قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَا اجتمعْنَ في امرأ إلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ»**.

٤ـ ومن آداب الصيام المستحبةِ: أنْ يَسْتحضِرَ الصائمُ قدْرَ نعْمة الله عليه بالصيام حيثُ وفَّقَه له ويَسَّره عليه حتى أتمَّ يومَه وأكْملَ شَهْره، فإنَّ كثيرًا من الناسِ حُرمُوا الصيامَ إمَّا بموتِهِم قبل بلوغِهِ أو بعجْزهم عنه أو بضلالهم وإعْرَاضِهِم عن القيام به، فَلْيَحْمدِ الصائمُ ربَّه على نعمةِ الصيامِ التي هي سببٌ لمغفرةِ الذنوب وتَكْفير السيئاتِ ورفْعةِ الدرجاتِ في دارِ النعيم بجوارِ الربِّ الكريم.

إخـواني، تأدبُوا بآداب الصيام، وتَخلَّوا عن أسْباب الغضب والانتقام، وتَحلوا بأوْصاف السَلَف الكرام، فإنَّه لن يُصْلِحَ آخر هذِه الأمة إلاَّ ما أصلَحَ أوَّلها منَ الطاعَة واجتنابِ الآثام.

اللَّهُمَّ جَمِّل بواطِنَنَا بالإخلاصِ لك، وحَسِّنْ أعمالَنا باتِّباع رسولِكَ والتأدُّب بآدابه، اللَّهُمَّ أيْقِظْنا من الغَفَلات، ونجِّنا من الدَّركات، وكفِّر عنَّا الذنوبَ والسَيِّئات، واغْفِرْ لَنَا ولوالِدِينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِه أجمعينَ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ: مِن أَخْطَاءِ الصَّائِمِينَ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن هناك أخطاء عديدة يقع فيها كثير من الصائمين وينبغي لكل مسلم التفطن لها ومعرفتها حتى يكون صومه صحيحًا وعمله متقبلًا وأجره موفورًا وسنذكر شيئًا من تلك الأخطاء في درسنا هذا بعون الله تعالى فمنها:

١- من الأخطاء: استقبال بعض المسلمين لهذا الشهر الكريم بالمبالغة في شراء الأطعمة والمشروبات بكميات هائلة بدلًا من الاستعداد للطاعة والاقتصاد ومشاركة الفقراء والمحتاجين.

٢- من الأخطاء: تعجيل السحور، وهو ما يقع من بعض الصائمين، فمن الناس من يسهر ثم يتسحر في منتصف الليل ثم ينام وهذا فيه تفريط في أجر كثير، لأن السنة في ذلك أن يؤخر المسلم سحوره ليظفر بالأجر المترتب على ذلك لاقتدائه بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- ومن الأخطاء: تعمد الشرب أثناء أذان الفجر، وهذا بفعله قد أفسد صومه إذا كان المؤذن دقيقاً في توقيته للأذان.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الأذان لصلاة الفجر إما أن يكون بعد طلوع الفجر أو قبله، فإن كان بعد طلوع الفجر فإنه يجب على الإنسان أن يمسك بمجرد سماع الأذان لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إن بلالًا، يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»** فإن كنت تعلم أن هذا المؤذن لا يؤذن إلا إذا طلع الفجر فأمسك بمجرد أذانه.

٤- ومن الأخطاء: ترك صلاة التراويح في أول ليلة من رمضان، وهذا خطأ فإنه بمجرد رؤية هلال رمضان يكون المسلم قد دخل في أول ليلة من ليالي رمضان فمن السنة أن يصلي التراويح مع جماعة المسلمين في المسجد في تلك الليلة.

٥- ومن الأخطاء: ما يفعله بعض الناس من ترك الشارب أو الآكل في نهار رمضان ناسيًا

يأكل ويشرب حتى يفرغ من حاجته.

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من رأى مسلمًا يشرب في نهار رمضان، أو يأكل، أو يتعاطى شيئًا من المفطرات الأخرى، وجب الإنكار عليه؛ لأن إظهار ذلك في نهار الصوم منكر ولو كان صاحبه معذورًا في نفس الأمر، حتى لا يجترئ الناس على إظهار محارم الله من المفطرات في نهار الصيام بدعوى النسيان[(١)].

٦- **ومن الأخطاء:** جهل بعض الناس بمفطرات ومفسدات الصيام مما يقع فيه البعض خاصة مع بداية رمضان، وهذا خطأ عظيم، فمن الواجب على الصائم أن يعرف قبل رمضان مبطلات ومفسدات الصيام، حتى يتحرز من الوقوع فيها.

٧- **ومن الأخطاء:** تحرج البعض من استعمال السواك في نهار رمضان، وربما ظن أن استعمال السواك يفطر، وهذا خطأ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يخص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصائم من غيره.

٨- **ومن الأخطاء:** ترك بعض النساء الصيام إذا طهرت قبل الفجر ولم تتمكن من الغسل لضيق الوقت، فإنها تمتنع عن الصيام بحجة أن الصبح أدركها وهي لم تغتسل من الحيض، ومن طهرت قبل الفجر وجب عليها الصيام، ولا يضر تأخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر.

٩- **ومن الأخطاء الشائعة:** ظن كثير من الناس أن الذي يتزوج في رمضان يجوز له أن يفطر هو وزوجته عدة أيام من رمضان وهذا خطأ فادح فالذي يتزوج في رمضان هو كغيره ممن تزوج في غير رمضان لا فرق بينهما ومن جامع زوجته في نهار رمضان سواء تزوج في رمضان أو غيره وجب عليه عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن كان عاجزا

---

(١) «مجلة الدعوة» (١١٨٦).

أطعم ستين مسكينًا.

١٠- ومن الأخطاء: تطيب بعض النساء إذا خرجن لصلاة التراويح، كذلك عدم التستر الكامل وما يحصل أيضًا من رفع الأصوات في المساجد، فلذا يجب على المرأة المسلمة أن تحرص على اجتناب ذلك لتسلم من الإثم المترتب على تلك الأفعال.

١١- ومن الأخطاء: تأخير بعض الصائمين صلاتي الظهر والعصر عن وقتيهما لغلبة النوم، وهذا من أعظم الأخطاء قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٥].

١٢- ومن الأخطاء: تأخير الافطار، فمن السنة أن يعجل الصائم إفطاره متى تأكد من دخول الوقت لما ورد عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»** متفق عليه.

١٣- ومن الأخطاء: انشغال بعض المسلمين في العشر الأواخر من رمضان في شراء الملابس والحلوى وتضييع أوقات فاضلة فيها ليلة القدر التي قال الله فيها: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٣].

وما يتبع ذلك من انشغالهم عن القيام والتهجد من السهر في الأسواق الساعات الطويلة في التجول والشراء، وهذا أمر مؤسف يقع فيه الكثير من المسلمين، وكان ينبغي عليهم اتباع سنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه **«كان إذا دخل العشر الأواخر شد المئر وأيقظ أهله وأحيا ليله»**، هكذا كان دأب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

١٤- ومن الأخطاء: تحرج بعض المرضى من الإفطار والإصرار على الصيام مع وجود المشقة، وهذا خطأ فالحق ﷻ قد رفع الحرج عن الناس وقد رخص للمريض أن يفطر، ويقضي بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

١٥- ومن الأخطاء: عدم تعويد الصبيان والفتيات على الصيام لصغر السن، والمستحب تعويدهم على الصيام قبل البلوغ فيؤمرون به للتمرين عليه، خاصة إذا أطاقوه لما ورد عن الربيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كنا نصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه، ذاك حتى يكون عند الإفطار**» متفق عليه.

١٧- ومن الأخطاء: إهدار الأوقات الفاضلة من نهار رمضان في متابعة المسابقات الفضائية وما يصاحب ذلك من الموسيقى والغناء والمسلسلات المائعة.

وهذا بلا شك يضعف الإيمان، ويضيع على الصائم أجورًا عظيمة يجب اغتنامها في هذا الشهر الكريم، وكيف يستبدل المسلم ما هو أدنى بما هو خير؟

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يعيننا على أداء العبادة على الوجه الذي يرضاه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الخَامِسَ عَشَرَ: آفَاتُ السَّهَرِ فِي رَمَضَانَ وَالانْشِغَالُ بِمُشَاهَدَةِ التِّلْفَازِ

الحمد لله الذي أصبحت له الوجوه ذليلة عانية، وحذرته النفوس مجدة ومتوانية، وعظ فذم الدنيا الحقيرة الفانية، وَشَوَّقَ إلى جنة قُطُوفُهَا دَانِيَة، وَخَوَّفَ عِطَاشَ الهَوَى أَنْ يُسْقَوْا مِن عَينٍ آنِيَة، وأشهد أن لاَ إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن من الآفات التي ابتلي بها كثير من المسلمين أنهم غيروا نظام يومهم خصوصًا في شهر رمضان فقد جعلوا الليل نهارًا والنهار ليلًا، فهم يسهرون طويلًا، وقد يكون هذا السهر على لهو محرم كمشاهدة المسلسلات، والتمثيليات المبنية على الكذب، بل والاستهزاء بالدين، وأهله فكم من أوقات تهدر، وليال فاضلة تضيع أمام تلك الشاشات، وفي متابعة تلك القنوات التي أفسدت الأخلاق، ودمرت القيم، ونشرت الرذيلة في أوساط الشباب، والشابات وقتلت أوقاتهم، وكم لتلك القنوات من مفاسد فما من خلق رذيل إلا ويحرص أعداء الإسلام على نشره عبر تلك القنوات وما من فكر سيء يتنافى مع دين الإسلام إلا بَثُّوهُ فَحَدِّثْ وَلَا حَرَج عن النتائج السيئة التي نتجت عن متابعة تلك القنوات، ومشاهدة تلك المسلسلات، وهذا من شر البليات، وعظيم المصيبات.

ثم إنه ينتج عن هذا السهر المحرم تضييع الصلوات فينام من يسهر عن صلاة الفجر، ويضيع هذه الفريضة العظيمة فهو قد سهر على محرم، ونام عن فريضة فيا له من شقاء.

بل إن بعض الناس ربما ينام عن عدة صلوات فربما ينام قبل الفجر، ولا يستيقظ إلا قبيل المغرب فينام عن صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر.

وقد نص العلماء على أن من سهر في طاعة كصلاة الليل أو تلاوة القرآن ثم كان سهره سببًا للنوم عن صلاة الفجر فإن سهره يعد محرمًا مع أنه سهر في طاعة لكنها طاعة مستحبة ضيعت عليه طاعة واجبة فكيف بمن يسهر في محرم وينام عن واجب.

فيجب على المسلم أن يحذر من كل ما يجلب له المآثم والسيئات والابتعاد عن الغرور

والغفلات.

إن السهر أمام تلك الفضائيات في رمضان وفي غير رمضان له آثارُه السلوكيةُ المدمرةُ، ومنها: الصد عن سبيل الله، وإضعاف أثر الدين في النفوس، وذلك من خلال ما تبثه من مشاهد فاضحة، وما تطرحه من شبهات كثيرة تطعن في الدين، وتُلْقى عَلَى عُقُولٍ خَوَاء وَأَفْئِدَةٍ هَوَاء.

إنها تعلن التمرد على القيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة والآداب الشرعية، وشيوع العادات السيئة كالاستهانة بمحارم الله، والاستخفاف بشعائر الدين.

ومن مضارها أنها تغرس في قلوب أبناء المسلمين: الإعجابُ بالكفار وتقليدهم في مستهجن عاداتهم من نحو الملبس والهيئة وقصات الشعر، وما إلى ذلك من انتشار الجريمة، وشيوع المظاهر المخلة بالأمن كالقتل والسرقة وتعاطي المخدرات وغيرها من الرذائل وسوء الطباع.

ومن آثار السهر أمام تلك الفضائيات أيضًا: الزهد في الفضيلة والعفاف، وذلك من خلال الافتتان بالمذيعات والممثلات والمغنيات.

إنك ترى العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان، ولقد كان القدماء يحذرون من ذلك.

قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

ولقد دخلوا على رجل من السلف فقالوا: لعلنا شغلناك؟ فقال: أصدقكم كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم.

وكان عثمان الباقلاني دائم الذكر لله تعالى فقال: إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر.

وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندي فتفرقوا لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه ومتى اجتمعتم تحدثتم.

هكذا كان السلف يحفظون أوقاتهم، ويستغلونه فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ففيم

تقضي ليلك ونهارك يا عبد الله؟ وخاصة هذه الليالي الفاضلة في هذا الشهر الفاضل، حيث الصالحون في بيوت الله وفي محاريبهم يتعبدون لله ويدعونه رغبًا ورهبًا؟ هل أنت مثلهم أم أنك تسير حيث يسير ركبان شياطين الإنس والجن في القيل والقال واللهو واللعب، ومشاهدة الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات ومن شاكلهم، حتى إذا أسفر الصباح أصبحت صائمًا مع الصائمين وصارت عبادة الصيام لك مجرد عادة لا عبادة؟

إذا كان هذا حالك عياذًا بالله فما استفدتَ من صيامك؟ وأين استغلالك لوقتك الشريف المبارك الذي أنعم الله به عليك فيما يعود عليك بالنفع والفائدة؟

واعلموا أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة فإن في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة»**.

فكم يضيع الإنسان من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل! وهذه الأيام مثل المزرعة فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبة خرجنا لك ألف، فهل يجوز للعاقل أن يتوقف عن البذر ويتوانى؟ فاتق الله - يا عبد الله- واغتنم وقتك فيما يقربك إلى ربك واحذر أن تستدرج من حيث لا تشعر والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

الأيام تمر مر السحاب، وتمضي السنون سراعًا، وجلنا في غمرة الحياة ساهون، وقل من يتذكر أو يتدبر واقعنا ومصيرنا مع أننا نقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

والمسلم في عمره المحدود وأيامه القصيرة في الحياة قد عوضه الله تعالى بمواسم الخير، وأعطاه من شرف الزمان والمكان ما يستطيع به أن يعوض أي تقصير في حياته إذا وفق لاستغلالها والعمل فيها.

ومن تلك المواسم: شهر رمضان المبارك:

هذه الفرصة العظيمة سانحة في هذا الشهر المبارك حيث تصفو النفوس، وترق القلوب،

فيؤوب العباد إلى ربهم ويقومون بين يديه ركعًا وسجدًا، يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار بدلًا من صرف ساعاته في الضر والآثام.

وليعلم كل منا أنه يساهم بقسط وافر في تردي الحال وتأخر النصر إذا لم ينتهز فرصة رمضان لزيادة رصيده من الصالحات، وتصفية ما عليه من الآثام، حيث هو لبنة في بناء الأمة التي وعد الله بتغيير واقعها إلى أحسن وحالها إلى أفضل إن هم غيروا ما بأنفسهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فما أحوجنا معشر المسلمين كافة إلى وقفة محاسبة، كل منا مع نفسه في هذه الأيام الفاضلة، نراجع أحوالنا ولا سيما من أسرف وفرط في جنب الله ومن قصّر في حق أهله أو حق من ولاه الله رعايته، ومن زلت به القدم وفرط في حقوق إخوانه المسلمين فلم يسلموا من أذاه.

اللّٰهُمَّ أذقنا حلاوة مناجاتك، واسلك بنا سبيل أهل مرضاتك.

اللّٰهُمَّ أنقذنا من دركاتنا، وأيقظنا من غفلاتنا، وألهمنا رشدنا، وأحسن بكرمك قصدنا، اللّٰهُمَّ احشرنا في زمرة المتقين، وألحقنا بعبادك الصالحين. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ: أَهَمِّيَّةُ التَّوْحِيدِ

الحمد لله القوي العزيز الجبَّار، والصلاة والسلام على النبي الكريم المصطفى المختار، وعلى آله وصحبه الأخيار الكرام الأطهار، ومن تبعهم واقتفى أثرهم ما تعاقب الليل والنهار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العظيم الغفار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد الأبرار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فَإِنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»** كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟.

فَجَوَابُ الْأُولَى بِتَحْقِيقِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ " أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً [1].

وتوحيد الله تعالى هو أول دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ومن أجل التوحيد أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

---

(١) «زاد المعاد» (٣٦/١).

﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ومن أجل هذا التوحيد خلق الله ﷻ الخلق يقول ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولهذا التوحيد أمر رسول الله ﷺ بأن يقاتل الكفار روى الشَّيخَان عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»**.

وكان ﷺ يرسل إلى الناس الرسل يبينون لهم دين الله تعالى، وكان يأمر رسله أن يدعوا الناس أولًا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، روى الإمام البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: **«إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله..»**، والله ﷻ لم يبعث الأنبياء لدعوة الناس إلى توحيد الربوبية؛ لأن الفطر تقر به إجمالًا، بل بعث الرسل لدعوة الناس إلى تحقيق توحيد الألوهية وعبادة الله وحده ﷻ لا شريك له.

واعلموا- رحمكم الله - أن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن الأدلة على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، ومن الأدلة على هذا قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

فهذه الآية في حق غير التائبين، لا يُغفر لهم الشرك لأنه أعظم ذنب عصي به الله، وما دون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى إن شاء غفر وإن شاء عذب، ولأجل فضل التوحيد لا يخلد أحد من المسلمين في النار.

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن حُرمت عليه الجنة فإنه يكون خالدًا في النار أبدًا لأن الآية في الشرك الأكبر.

وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

أي: لا أحد أضل من هذا المشرك الذي يدعو من دون الله، فدلت الآية على أن الشرك هو أعظم الضلال وأعظم الذنوب.

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»** قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»** قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تزاني حليلة جارك»**. فدل الحديث على أن أعظم الذنوب عند الله الشرك، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد استقر عندهم العلم بعظم ذنب الشرك، لقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إن ذلك لعظيم»**.

واعلموا- رحمكم الله- أن التوحيد هو أول واجب على المكلفين ودليله قوله ﷻ: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه: ١٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾ أي وحدني وقم بعبادتي من غير شريك.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

واعلموا- رحمكم الله - أنه لما كان الشرك الأكبر ينافي الوحيد ويوجب لمن مات عليه

دخول النار والخلود فيها والحرمان من الجنة، وأنها لا تحقيق السعادة إلا بالسلامة منه ينبغي لكل مؤمن أن يخاف منه أعظم الخوف وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ويسأل الله العافية منه كما يفعل الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق، فهذا الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

أي: اجعلني وَبَنِيَّ في جانب عن عبادة الأصنام وباعد بيننا وبينها؛ فإذا كان خليل الرحمن الذي كسر الأصنام بيده اشتد خوفه على نفسه وعلى بنيه من الشرك فغيره أولى بالخوف من الشرك.

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.

وقد خاف نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أُمته من الشرك وحذرهم من الوسائل التي توصل إليه.

فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خشِي أَن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

فيجب على المسلم أن يفرد ربه في جميع أنواع العبادة كالصلاة والصيام والدعاء والذبح والنذر والرغبة والرهبة والمحبة والخوف والرجاء وغير ذلك.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه وأن يحيينا على توحيده ويميتنا عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ: فَضْلُ الصَّلَاةِ وَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا مَعَ الجَمَاعَةِ

الحمدُ للهِ المُوفِقِ الْمُعِينِ، إياهُ نعبدُ وإياهُ نستعينُ، منجزِ الوعدِ بالنصرِ لعبادهِ المؤمنين، منزلِ السكينةِ على الصابرين المخلصين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لآثارهم في نُصْرَة الدين إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فاعلموا أنه لا ريب أن الصلاة قرة عُيون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، وبستان العابدين ولذة نفوس الخاشعين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين.

هداهم إليها، وعرَّفهم بها، وأهداها إليهم على يد رسوله الصادق الأمين، رحمة بهم، وإكراما لهم، لينالوا بها شرف كرامته، والفوز بقربه لا لحاجة منه إليهم، بل منَّة منه، وتفضَّلا عليهم، وتعبَّد بها قلوبهم وجوارحهم جميعًا، وجعل حظ القلب العارف منها أكمل الحظين وأعظمهما؛ وهو إقباله على ربِّه سبحانه، وفرحه وتلذذه بقربه، وتنعمه بحبه، وابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام له بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده، وتكميله حقوق عبوديته ظاهرًا وباطنًا حتى تقع على الوجه الذي يرضاه ربه سبحانه.

والصلاة وُضعت لاستعمال الجوارح جميعها في العبودية تبعًا لقيام القلب بها وهذا رجلٌ عرَف نعمة الله فيما خُلق له من الجوارح وما أنعم عليه من الآلاء، والنعم، فقام بعبوديته ظاهرًا وباطنًا واستعمل جوارحه في طاعة ربِّه، وحفظ نفسه وجوارحه عمَّا يُغضب ربه ويشينه عنده.

وجعل سبحانه وتعالى الصلاة سببًا موصلًا إلى قُربه، ومناجاته، ومحبته والأنس به.

وما بين الصلاتين تحدث للعبد الغفلة والجفوة والقسوة، والإعراض والزَّلات، والخطايا، فيبعده ذلك عن ربه، وينحّيه عن قربه، فيصير بذلك كأنه أجنبيا من عبوديته، ليس من جملة العبيد، وربما ألقى بيده إلى أسر العدو له فأسره، وغلَّه، وقيَّده، وحبسه في سجن نفسه

وهواه.

فحظه ضيق الصدر، ومعالجة الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات، ولا يدري السبب في ذلك.

فاقتضت رحمه ربه الرحيم الودود أن جعل له من عبوديته عبودية جامعة، مختلفة الأجزاء، والحالات بحسب اختلاف الأحداث التي كانت من العبد، وبحسب شدَّة حاجته إلى نصيبه من كل خير من أجزاء تلك العبودية.

فبالوضوء يتطَّهر من الأوساخ، ويُقدم على ربِّه متطهرًا، والوضوء له ظاهر وباطن:

فظاهره: طهارة البدن، وأعضاء العبادة.

وباطنه وسرّه: طهارة القلب من أوساخ الذنوب والمعاصي وأدرانه بالتوبة؛ ولهذا يقرن تعالى بين التوبة والطهارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وشرع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمتطهِّر أن يقول بعد فراغه من الوضوء أن يتشهد ثم يقول: «**اللَّهُمَّ اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين**».

فكمَّل له مراتب العبدية والطهارة، باطنًا وظاهرًا، فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة.

فشرع له أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله عز وجل، والوقوف بين يديه، فلما طهر ظاهرًا وباطنًا، أذن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه وبذلك يخلص من الإباق.

وبمجيئه إلى داره، ومحل عبوديته يصير من جملة خدمه، ولهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام عبودية الصلاة الواجبة عند قوم والمستحبة عند آخرين) [(١)].

---

(١) ما بين القوسين من كلام الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه أسرار الصلاة.

والصلاة هي لبركن الثاني أركان الإسلام ومبانيه العظام كما في الصحيحين من حديث ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.

وهي من أعظم أسباب مغفرة الذنوب كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«أرأيتُم لو أنَّ نهراً بِبابِ أحدِكم يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمسَ مرات، هل يبقى من دَرَنِه شيء؟»** قالوا: لا يبقى من دَرَنِهِ شيء. قال: **«فكذلك مثلُ الصلواتِ الخمس، يمحو الله بهنَّ الخَطايا»**.

وأخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«تَحتَرِقون تَحتَرِقون، فإذا صلَّيتم الصُّبحَ غَسَلَتْها، ثم تَحترِقون تحترقون، فإذا صلَّيتم الظهْرَ غَسَلَتْها، ثم تَحترقون تَحترقون، فإذا صلّيتم العصرَ غَسَلتْها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صلَيتم المغربَ غسلتْها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صلّيتم العشاءَ غَسَلَتْها، ثم تَنامون فلا يُكتَب عليكم حتى تستَيْقظوا»**.

والصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فقد ثبت عند الطبراني من حديث عبد الله بنِ قُرْطٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«أولُ ما يحاسب به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فإنْ صَلَحَتْ؛ صَلَحَ سائرُ عَملِه، وإنْ فسدتْ؛ فَسَدَ سائرُ عملِه»**.

وهي نور للعبد كما عند مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«الصَّلَاةُ نُورٌ»**.

ويجب على المسلم أن يحافظ عليها في أوقاتها مع جماعة المسلمين فإن صلاة الجماعة تضعف على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِن صَلَاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»**.

وفيهما أيضًا مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا،**

وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ».

وترك الصلاة مع الجماعة من صفات المنافقين ولقد توعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتخلفين عن الجماعة بتحريق بيوتهم كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا يصلى بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»**.

ومِنَ الصائمين مَنْ يتهاونُ بصلاة الجماعةِ مع وُجوبها عليه.

وقد أمَرَ الله بها في كتابه فقال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ ـ يعني: أتُّموا صلاتَهم ـ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]. فأمر الله بالصلاةِ مع الجماعةِ في حالِ القتالِ والخوفِ، ففي حالِ الطُّمَأنينةِ والأمنِ أوْلَى. وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجُلًا أعْمَى قال: يا رسولَ الله ليس لي قائدٌ يقودُني إلى المسجدِ. فرخَّصَ له. فلمَّا ولَّى دعاه، وقال: **«هلْ تسمعُ النِّداء بالصلاةِ؟»** قال: نَعَمْ. قال: **«فأَجِبْ»** رواه مسلم.

فلم يُرخِّص له النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تركِ الجماعةِ مع أنه رجلٌ أعمى وليس له قائد فكيف بمن كان صحيحًا لا عذر له.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ: فِي حُكْمِ تَرْكِ الصَّلَاةِ أو التَّهَاوُن بها

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ومذل من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم لقاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فإن الله تعالى جعل الصلاة عمود الإسلام كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**» فمن هَدم هذا العمودَ هُدم عليه بنيانه فمن ترك الصلاة فقد هَدَمَ الدين.

وكذلك جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحد المفرق بين المسلم وغير المسلم هو الصلاة كما في صحيح مسلم من حديث جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بين الرجلِ وبين الشرك والكفرِ تركُ الصلاةِ**».

وأخرج الإمام أحمد من حديث بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ، فمَن تَركها فقد كَفَرَ**».

وقد كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة كما أخرج الترمذي عن عبدِ اللهِ بنِ شَقيق العُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أصحابُ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَرَونَ شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ؛ غيرَ الصلاة.

وأخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن من ترك صلاة واحدة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله كما عند الإمام أحمد من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوصاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر كلماتٍ، قال: «**لا تُشرِكْ بالله شيئاً وإنْ قُتِلتَ وحُرِّقْتَ، ولا تَعُقَّنَّ والدَيْكَ وإنْ أمراك أنْ تخرج من أهلِك ومالِك، ولا تَتْرُكنَّ صلاةً مكتوبةً متعمدًا؛ فإنَّ مَن ترك صلاةً مكتوبةً متعمدًا؛ فقد بَرِئتْ منه ذِمةُ الله، ولا تشربَنَّ خمرًا؛ فإنّه رأسُ كل فاحشة، وإياكَ والمعصيةَ، فإنَّ بالمعصيةِ حَلَّ سخط اللهِ، وإياك والفِرارَ من الزحف، وإنْ هَلَكَ الناسُ، وإنْ أصابَ الناس موت فاثْبُتْ، وأنفِق على أهلك من طَوْلِك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخِفْهم في**

اللهِ».

فإذا كان هذا فيمن ترك صلاة واحدة فكيف بمن ضيع الصلاة بالكلية.

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: مَن ترك الصلاة فلا دينَ له.

ومن الناس من يصوم في رمضان لكنه مع ذلك يترك الصلاة أو يضيع بعض الصلوات ومن صام وترك الصلاة فقد ترك الركن الأهم من أركان الإسلام بعد التوحيد، ولا يفيده صومه شيئًا ما دام تاركًا للصلاة، لأن الصلاة عماد الدين الذي يقوم عليه، وتارك الصلاة محكوم بكفره، والكافر لا يقبل منه عمل.

ومن الناس من هو تارك للصلاة فإذا جاء رمضان صلى في رمضان ولكنه بعد رمضان يعود إلى ما كان عليه من ترك الصلاة وهذا صلاته غير مقبولة لأنه لم يحقق التوبة على وجهها فإن من شروط التوبة العزم على عدم العودة إلى الذنب وهذا عازم على ترك الصلاة بعد رمضان فتوبته غير صحيحة وصلاته غير مقبولة.

والمقصود أن ترك الصلاة كفر بالله مخرج من ملة الإسلام ومن كان كذلك ترتبت عليه أحكام دنيوية وأخروية.

فأما الأحكام الدنيوية فمنها[1]:

١ـ سقوط ولايته: فلا يجوز أن يولى شيئًا يشترط في الولاية عليه الإسلام، وعلى هذا فلا يولى على القاصرين من أولاده وغيرهم، ولا يزوج أحدًا من مولياته من بناته وغيرهن.

٢- سقوط إرثه من أقاربه: لأن الكافر لا يرث المسلم، والمسلم لا يرث الكافر؛ لحديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم».**

---

(١) انظر: «حكم تارك الصلاة» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله ص(٢٢).

٣- **تحريم دخوله مكة وحرمها:** لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨].

٤- **تحريم ما ذكاه من بهيمة الأنعام: «الإبل والبقر والغنم»** وغيرها مما يشترط لحله الذكاة؛ لأن من شروط الذكاة: أن يكون المذكي مسلمًا أو كتابيًا **«يهوديًا أو نصرانيًا»**، فأما المرتد والوثني والمجوسي ونحوهم فلا يحل ما ذكاه.

٥- **تحريم الصلاة عليه بعد موته، وتحريم الدعاء له بالمغفرة والرحمة؛** لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

٦- **تحريم نكاحه المرأة المسلمة:** لأنه كافر، والكافر لا تحل له المرأة المسلمة بالنص والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وأما الأحكام الأخروية المترتبة على الردة فمنها:

١- **أن الملائكة توبخه وتقرعه، بل تضرب وجوههم وأدبارهم،** قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠ – ٥١].

٢- **أنه يحشر مع أهل الكفر والشرك لأنه منهم،** قال الله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢ – ٢٣].

والأزواج جمع **«زوج»** وهو **«الصنف»** أي احشروا الذين ظلموا ومن كان من أصنافهم من أهل الكفر والظلم.

وفي الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الصلاة يومًا فقال: **«مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ**

نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُرْهَانٌ وَلَا نُورٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ» أخرجه ابن حبان وغيره عَن عَبْدِ اللهِ بِن عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَنَدُهُ حَسَن.

٣- الخلود في النار أبد الآبدين؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٦].

فبادر إلى التوبة إلى الله عَجَّلَ مخلصًا لله تعالى، نادمًا على ما مضى، عازمًا على ألا تعود، مكثرًا من الطاعات، فـ ﴿ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧٠ – ٧١].

أسأل الله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ: الحَثُّ عَلَى قِيَامِ رَمَضَانَ

الحمد لله الذي تفرد بالجلال، والعظمة والعز والكبرياء والجمال، وأشكره شكر عبدٍ مُعترفٍ بالتقصير عن شكر بعض ما أوليه من الإنعام والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فإن من أجل العبادات التي شرعت في هذا الشهر المبارك عبادة قيام رمضان وهو من أسباب مغفرة الذنوب كما في الصَّحيحَينِ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

وَلَقَدْ أثنى الله على عباده المتقين بهذه العبادة الجليلة قيام الليل فقال في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤].

وفي ذلك من التنبيه على فضل قِيام الليل وكريم عائدته ما لا يَخفَى، وأنَّه من أسباب صرف عذاب جهنَّم، والفوز بالجنَّة وما فيها من النَّعيم المُقِيم، وجوار الربِّ الكريم، جعلنا الله ممَّن فاز بذلك.

وقد وصَف المتقين في سورة الذاريات **بجملة صفاتٍ؛ منها: قيامُ الليل**، فازوا بها بفسيح الجنات، فقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٧].

فصلاة الليل لها شأنٌ عظيم في تثبيت الإيمان، والإعانة على جليل الأعمال، وما فيه صلاح الأحوال والمآل؛ قال - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ [المزمل: ١ – ٦].

وثبت في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ».

وفي حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أقربُ ما يكون الربُّ من العبدِ في جوف الليل الآخِر، فإن استطعتَ أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك الساعة فكن»**.

ولأبي داود عنه قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّ الليل أسمع؟ - يعني: أحرى بإجابة الدعاء - فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«جَوفُ اللَّيلِ الآخِر، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ فِيهِ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ»**.

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»**.

وأخرج الإمام أحمد وغيره عن أبي مالكٍ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ في الجنَّة غرفًا، يُرَى ظاهِرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله لِمَن ألانَ الكلام، وأطعَمَ الطعام، وتابَعَ الصِّيام، وصلَّى بالليل والناس نِيام»**.

وجاء في السنَّة الصحيحة، ما يُفِيد أنَّ قيام الليل من أسباب النَّجاة من الفِتَنِ، والسلامة من دخول النار؛ ففي البخاري وغيره عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استَيقَظ ليلة فقال: **«سبحان الله، ماذا أُنزِلَ الليلةَ من الفتنة؟ ماذا أُنزِلَ الليلةَ من الخزائن؟ مَن يُوقِظ صَواحِب الحجرات؟»**.

وفي ذلك تنبيهٌ على أثَر الصَّلاة بالليل في الوقاية من الفِتَن.

وأخرج الحاكم وصحَّحه وحسنه الألباني عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«عليكم بقيام الليل؛ فإنَّه دأب الصالحين قبلكم، وقربةٌ لكم إلى ربِّكم، ومَكْفَرَةٌ للسيِّئات، ومَنْهَاةٌ عن الإثم»**.

فإذا تبيَّن أنَّ القيام من خِصال الخير، وعظيم الأجر، وجزيل الأجر، وأنَّه من خِصال التقوى، التي فرَض الله - سبحانه - الصِّيام لتحقيقها وتكميلها، وتحصيل عواقبها الطيِّبة

وآثارها المبارَكة، ظهَر لك أنَّ الصِّيام والقِيام في رَمضان مُتلازِمان عند أهل الإيمان، فإنَّ القيام في رَمضان من الشَّعائِر العظيمة التي سنَّها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله وفعله، ورغَّب فيها؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَن قام رَمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه»**.

وثبَت في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى في المسجد من جوف الليل، فصلَّى بصلاته ناسٌ من أصحابه ثلاثَ ليالٍ، فلمَّا كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله - أي: امتلأ من الناس - فلم يخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلمَّا أصبح قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قد رأيتُ الذي صنَعتُم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلاَّ أنِّي خشيتُ أن تفرض عليكم»**، وذلك في رَمضان.

وفي هذا الحديث شفَقَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمَّته وفيه حِرْصُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على السنَّة، ورغبتهم في قِيام الليل، وفي الصحيحين أيضًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»**.

وهذا من أدلَّة فضل قيام رَمضان، وخاصَّة العشر الأواخر منه، فإحياؤها من سنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحرِّيًا لليلة القدر؛ طلبًا لما فيها من عظيم الأجر.

وقيام رَمضان شاملٌ للصلاة، في أوَّله وآخِره، والتراويح من قيام رَمضان، ففي السنن وغيرها عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«إنَّه مَن قام مع الإمام حتى ينصَرِف كُتِبَ له قيامُ ليلة»**، فينبَغِي الحرصُ عليها، والاعتِناء بها؛ رغبةً في الخير وطلبًا للأجر، فيُصَلِّي المرء مع الإمام حتى ينصَرِف؛ ليحصل له أجرُ قيامِ ليلة.

وإنْ أحبَّ أن يُصلِّي من آخِر الليل ما كُتِبَ له فله ذلك؛ ليفوز بفَضائل صلاة جوف الليل، فإنها - كما سبق - مشهودة مكتوبة يُسمَع فيها الدُّعاء ويُستَجاب، وتُقضَى المسألة، ويُغفَر الذنب، إلى غير ذلك ممَّا جاء في فضل القِيام.

فقد صَحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«صَلَاةُ اللَّيلِ مَثْنَى مَثْنَى»**، فَلَم يُقَيِّد الصَّلَاةَ بِعَدَدٍ، فيُصلِّي ما شاء الله، غير أنَّه لا يُوتِر إنْ كان أَوتَر مع الإمام أوَّلَ الليل؛ لقوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ».

والمقصود: أنَّ أوقات شهر رَمضان أوقاتٌ شريفةٌ مباركةٌ، ينبَغِي للمُوفَّق أن يغتَنِمها في جليل القُرَبِ، والإلحاح على الله بالطَّلَب لخيري الدنيا والآخِرة، والتوفيق من الله، فإنَّه هو الرحمن المستعان وعليه التُّكلان، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم، فهو حسبُنا ونعم الوكيل[(١)].

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يصلح أحوالنا، وأحوال المسلمين، وأن يصرف عنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.

(١) مستفاد من مقال للشيخ عبد الله القصير منشور عبر الشبكة بتصرف وزيادة.

الدرس العشرون: الجود والسخاء

الحمد لله الْحَمْدُ للَّهِ الْعَلِيِّ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، الْقَاهِرِ الظَّاهِرِ الْمُبِينِ، لا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ أَقَلُّ الأَنِينِ، وَلا يَخْفَى عَلَى بَصَرِهِ حَرَكَاتُ الْجَنِينِ، ذَلَّ لِكِبْرِيَائِهِ جَبَابِرَةُ السَّلاطِينِ، وَقَلَّ عِنْدَ دِفَاعِهِ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، موفق الطائعين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَينِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان وفيه أنزل قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: «**أنه ينادي فيه مناديًا يا باغي الخير هلم و يا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة**»، ولما كان الله عَزَّ وَجَلَّ قد جبل نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أكمل الأخلاق وأشرفها كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»... فَدَلَّكَ هذا على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بني آدم على الإطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم، وأشجعهم، وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم، والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ.

ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: «**والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق**». ثم تزايدت هذه الخصال

فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافا كثيرة.

وكان جوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كله لله وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج أو ينفقه في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع وكان قد أتاه سبي مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقي من خدمة البيت وطلبت منه خادمًا يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال: **«لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع»** وكان جوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه تضاعف فيه أيضًا فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة وكان على ذلك من قبل البعثة... ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك فإنه كان يلتقي هو وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق.

وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه فلهذا كان يتضاعف جوده.

وإفضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والجود ولا شك إن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقًا من المخالطة.. .. **وفي تضاعف جوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:**

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه...

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم كما أن من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا.

وفي حديث زيد بن خالد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من فطر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء»** خرجه الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن

ماجه.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار ولا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»** فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن في الجنة غرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها»** قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **«لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»**.

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها وخصوصًا إن ضُمَّ إلى ذلك قيام الليل فقد ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«الصيام جنة»**، وفي رواية: **«جنة أحدكم من النار كجنته من القتال»**.

وفي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقيام الرجل من جوف الليل»** ـ يعني ـ أنه يطفئ الخطيئة أيضًا، وقد صرح بذلك في رواية الإمام أحمد.

وفي الحديث الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»**.

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور صوموا يومًا شديدًا حره لحر يوم النشور تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

ومنها: أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه.

فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل.

ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث... **ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله وآثر بها أو واسى منها**، ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوبًا له حينئذ فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له، ورده عليه بعد منعه إياه، فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها.

وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده.

وكان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائما ولم يأكل شيئًا.

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعامًا وكان صائمًا فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلًا يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبده المُعْدَمُ من الحسنات، فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه، وبات طاويًا.

وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى، وأصبح صائمًا.

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعًا، ويجلس يروحهم وهم يأكلون.

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.

سلام الله على تلك الأرواح، رحمة الله على تلك الأشباح لم يبق إلا أخبار وآثار!

كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار.

لا تعرضـــن لـــذكرنا في ذكـــرهم لـيس الصـحيح إذا مشـى كالمقعـد

وله فوائد أخر قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحب للرجل الزيادة في الجود في شهر رمضان

اقتداء برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم. وكذا قال القاضي أبو يعلى وغيره من أصحابنا أيضًا. اهـ بتصرف.

فينبغي للمسلم أن يقتدي برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الأمر، وأن يواسي إخوانه من الفقراء، والمحتاجين، وأن يتفقد حال إخوانه وجيرانه، فمنهم من هو في أمس الحاجة إلى الطعام والغذاء واللباس وغير ذلك، ومن وسع الله عليه فلا ينس إخوانه المحتاجين فإن من أعطى أعطاه الله ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه، والموفق من وفقه الله.

نسأل الله تعالى أن يقينا شح أنفسنا وأن يلهمنا رشدنا وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ تَفْطِيرِ الصَّائِمِ وإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَسَقْيِ المَاءِ

الحمد لله الكريم العظيم الغني الحليم السميع العليم الذي وعد من أطاعه بجنات النعيم وتوعد من عصاه بعذاب الجحيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن من الأعمال العظيمة والحسنات الكبيرة والأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام ورغب فيها: إطعام الطعام.

وقد حث نبينا الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على هذا العمل حثًا بالغًا وبَيَّنَ أنه من خير خصال الإسلام فقد ثبت في الصَّحِيحَين مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خيرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**.

وأخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن إطعام الطعام من أسباب دخول الجنة فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وعنه أيضًا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن في الجنة غُرفًا يُرى ظاهرُها من باطِنها، وباطنُها من ظاهرِها»**. فقال أبو مالك الأشعري: لمن هذا يا رسول الله؟ قال: **«لمن أطابَ الكلامْ، وأطعم الطعامْ، وبات قائماً والناسُ نيامْ»** رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن.

ورواه ابن حبان عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إنَّ في الجنةِ غُرفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرِها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعمَ الطعامْ، وأفشى السلامْ، وصلَّى بالليلِ والناسُ نيامْ»**.

وأخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن مطعم الطعام من خيار الناس فعن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر لصهيب: فيك سَرف في الطعام! فقال: إنِّي سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

«**خيارُكم من أطعمَ الطعامَ**» رواه أبو الشيخ ابن حيان في «**كتاب الثواب**» وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

وإطعام الطعام من أوائل الأمور التي رغب فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا إليها عند ما قدم المدينة فعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أولُ ما قدمَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ انجفلَ الناسُ إليه، فكنتُ فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجهه واستَثْبَتُّه، علمتُ أنَّ وَجهه ليس بوجهِ كذابٍ، قال: وكان أولُ ما سمعتُ من كلام أنْ قال: «**أيها الناس! أفشوا السلامْ، وأطعموا الطعامْ، وصَلُّوا بالليل والناس نيامْ؛ تدخلوا الجنةَ بسلامْ**» رواه الترمذي وهو حديث صحيح.

وأخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الله تعالى يربي اللقمة للعبد المسلم حتى تكون يوم القيامة مثل أحد فعن عائشة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ ليُرَبِّي لأحدِكم التمرةَ واللقمةَ كما يُرَبِّي أحدُكم فُلُوَّه أو فصيلَه، حتى يكون مثل أُحد**» رواه ابن حبان في «**صحيحه**».

ومن فضائل إطعام الطعام ما ثبت عند الإمام أحمد عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ اللهِ! علمني عملًا يدخلني الجنة، قال: «**إنْ كنتَ أقصَرْتَ الخطبة؛ لقد أعرضتَ المسألةَ، أعتقِ النسمةَ، وفُكَّ الرقبةَ، فإنْ لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن**» الحديث.

ويتأكد إطعام الطعام عند الحاجة ونزول الفاقة بالناس وطلبهم الطعام ممن يملكه فقد ثبت عند الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ**

أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي».

ثم إن إطعام الطعام في هذا الشهر المبارك له مزية على غيره وذلك من وجوه:

١ ـ **أن شهر رمضان زمن فاضل والعمل الصالح فيه مضاعف** كما سبق.

٢ ـ **أن الجمع بين الصيام وإطعام الطعام من أسباب دخول الجنة** كما ثبت عند الإمام مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»** قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: **«فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟»** قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: **«فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟»** قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: **«فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»** قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**.

٣ـ أن إطعام الصائمين وتفطيرهم يكسب صاحبه الأجر العظيم وينال مثل أجور من فطرهم كما عند الترمذي والنسائي من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من فطّر صائمًا؛ كان له مثل أجره، غير أنَّه لا ينقص من أجر الصائم شيء»**.

وكذلك من الأعمال الحميدة سقي الماء فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنِّي أنزع في حوضي، حتى إذا ملأتُه لإبلي، ورد عليَّ البعيرُ لغيري فسقيته، فهل في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«في كل ذاتِ كبدٍ حَرَّى أجرٌ»** رواه أحمد.

وعن محمود بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ سراقة بن جُعْشمُ قال: يا رسول الله! الضالةُ تَرِدُ عليَّ حوضي، فهل لي فيها من أجرٍ إنْ سقيتُها؟ قال: **«اسقها؛ فإنَّ في كلِّ ذات كبدٍ حَرَّى أجرًا»**. رواه ابن حبان في **«صحيحه»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ**

الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: **«فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَسَقْيُ المَاءِ مِن أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ، كَمَا جَاءَ عَن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ فَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**. قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«سَقْيُ الْمَاءِ»** أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَهُوَ مِن أَسبَابِ دَفْعِ البَلَاءِ وَشِفَاءِ السِّقَامِ، فَقَد أَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ عَنْ عَلِيِّ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قُرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْوَاعِ الْعِلَاجِ، وَسَأَلْتُ الأَطِبَّاءَ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْمَاءِ، فاحْفُرْ هُنَاكَ بِئْرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَنْبُعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكُ عَنْكَ الدَّمُ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ.

قَالَ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْمَعْنَى حِكَايَةُ قُرْحَةِ شَيْخِنَا الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ قَرِحَ وَجْهُهُ، وَعَالَجَهُ بِأَنْوَاعِ الْمُعَالَجَةِ فَلَمْ يَذْهَبْ، وَبَقِيَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ، فَسَأَلَ الأُسْتَاذَ الإِمَامَ أَبَا عُثْمَانَ الصَّابُونِيَّ أَنْ يَدْعُو لَهُ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَدَعَا لَهُ، وَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّأْمِينِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الأُخْرَى، أَلْقَتِ امْرَأَةٌ فِي الْمَجْلِسِ رُقْعَةً بِأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَاجْتَهَدَتْ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: قُولُوا لأَبِي عَبْدِ اللهِ: يُوَسِّعُ الْمَاءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَجِئْتُ بالرُّقْعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَأَمَرَ بِسِقَايَةِ الْمَاءِ بُنِيَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَحِينَ فَرَغُوا مِنَ الْبِنَاءِ، أَمَرَ بِصَبِّ الْمَاءِ فِيهَا، وَطُرِحَ الْجَمَدَ فِي الْمَاءِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الشُّرْبِ، فَمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُسْبُوعٌ حَتَّى

ظَهَرَ الشِّفَاءُ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْقُرُوحُ، وَعَادَ وَجْهُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ سِنِينَ[(١)].

اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين واخذل أعداء الدين، واصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «شعب الإيمان» (٧٠/٥)

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ: فِي الزَّكَاةِ وَأَحْكَامِهَا[١]

الحمدُ لله الَّذِي يمْحو الزَّلَلَ ويصْفح، ويغفر الخَطَلَ ويسْمح، كلُّ منْ لاذَ بِهِ أفْلَح، وكلُّ من عَامَله يَرْبح، أغْنَى وأفْقَر ورُبَّما كانَ الْفَقْرُ أصْلَح، فكم من غَنِيٍّ طرحهُ الأشرُ والبطر أقْبحَ مطْرَحٍ، هذا قارونُ مَلَكَ الكثير لكنَّه بالقليل لم يَسْمح، نُبِّه فَلمْ يسْتَيقظْ ولِيم فلم ينْفعْه اللوم إذ قال له قومُه لا تَفْرحْ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ مَا أمْسَى النهارُ وَمَا أصْبح، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله الْغَنِيُّ الجوادُ مَنَّ بالعطاءِ الواسعِ وأفْسَح، وأشْهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الَّذِي جاد لله بِنَفْسِهِ ومالِه وأبانَ الحَقَّ وأوْضحَ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الزَّكاةُ أحدُ أركانِ الإسْلامِ ومبانيه العِظَام وهي قرينةُ الصلاةِ في مواضِعَ كثيرةٍ من كتاب الله ﷻ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وقد أجْمعَ المسلمونَ على فرْضِيَّتها إجماعًا قَطْعِيًّا، فمنْ أنْكَر وجوبَها مع عِلْمِه به فهو كافرٌ خارجٌ عن الإسْلامِ، ومن بخِلَ بها أو انْتَقصَ منها شيئًا فهو من الظَّالمينَ المتَعرضينَ للعقوبةِ والنَّكالِ.

وتجب الزكاةُ في أربعةِ أشياء:

الأوَّل: الخارجُ من الأرضِ من الحبوب والثمار: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقولِهِ سبحانه: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾

---

(١) «ملخص من مجالس شهر رمضان» ص(١١٣) مع بعض الزيادات.

[الأنعام: ١٤١].

وأعْظَمُ حقوقِ المالِ الزكاةُ.

وقال النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فِيْمَا سَقَتِ السماءُ أوْ كان عثريًّا الْعُشْرُ وفيما سُقِي بالنَّضح نصفُ العُشر**» رواه البخاري.

ولا تجبُ الزكاةُ فيه حتى يبلُغَ نصابًا وهو خَمْسةُ أوْسقٍ، لقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ليسَ في حبٍّ ولا ثَمَرٍ صَدَقةٌ حَتَّى يبْلُغَ خمسةَ أوسق**» رواه مسلم.

والْوَسَقُ سِتُّون صاعًا بصاعِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيكونُ النصابُ ثَلَثمائَة صاعٍ بصاعِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الَّذِي تبلغ زِنَتُه بالبُرِّ الجيِّدِ ألْفَين وأربَعينِ جَرَامًا؛ أيْ كِيْلُوين وخُمسي عُشر الْكِيلُو، فتكونُ زنةُ النصاب بالبُرِّ الجيِّد ستمائةٍ واثْنَي عَشَرَ كيْلو، ولا زكاةَ فيما دُوْنها.

ومِقْدَارُ الزكاةِ فيها الْعُشْرُ كاملًا فيما سُقِيَ بدونِ كُلْفةٍ ونِصفُه فيما سُقيَ بكلْفةٍ.

ولا تَجبُ الزكاةُ في الفواكِهِ والخضرواتِ والبِطِّيخِ ونحوها، لقولِ عمَرَ: ليس في الخُضْرواتِ صدقةٌ.

وقولِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**ليس في التُّفَّاحِ وما أشبَهه صدقةٌ**»، ولأنها ليست بحبٍّ ولا ثمرٍ لكن إذا باعها بدراهمَ وحالَ الحولُ على ثَمنِهَا ففيهِ الزكاةُ.

الثاني: بَهيمةُ الأنعامِ: وهي الإبلُ والبقرُ والغَنَمُ ضأنًا كانت أم مَعْزًا إذا كانت سَائِمةً وأُعِدت لِلدَّر والنَّسْلِ وبلغَت نِصاباً، وأقلُّ النصابِ في الإبْلِ خَمْسٌ، وفي البقرِ ثلاثون، وفي الغنم أربعون.

والسائمةُ هي التي ترعى الكلأ النابتَ بدون بذْرِ آدميٍّ كلَّ السَّنَةِ أو أكْثَرَها، فإنْ لَمْ تَكُنْ سائِمةً فلا زكاةَ فيها، إلاَّ أنْ تكون للتجارةِ، وإن أعِدَّتْ للتَّكسُّب بالبيعِ والشراءِ والمُنَاقلةِ فيها فهي عروضُ تجَارةٍ تزكَّى زكاةَ تجارةٍ سواءٌ كانت سائمةً أوْ معلفة إذا بلغت نصابَ التجارةِ بِنَفْسِها أو بضَمِّها إلى تجارتِهِ.

الثالثُ: الذَّهَبُ والفضةُ على أيِّ حالٍ كانتْ: لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ

جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤ – ٣٥].

والمُرَادُ بِكَنْزِهَا عَدم إنفاقِها في سبيلِ الله، وأعظَمُ الإنفاق في سبيل الله إنفاقُها في الزَكاةِ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَا مِنْ صاحِب ذهب ولا فضةٍ لا يُؤدّي منها حقَّها إلاَّ إذا كان يومُ القيامة صُفِّحَتْ له صفائحُ من نارٍ فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جَنْبُه وجبيْنُه وظهْرُه كلَّمَا برَدتْ أعِيدتْ له في يومٍ كان مِقْدَارُه خمْسِين ألْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضى بَيْنَ العباد»**.

والمرادُ بِحقِّها زكاتُها كما تُفَسِّرُه الروايةُ الثانيةُ عند مسلم: **«ما مِنْ صاحِب كنْزٍ لا يؤدِّي زكاتَه...»** الحديث.

وتجب الزكاةُ في الذهبِ والفضَّةِ سواءٌ كانت نقُودًا أو تِبْرًا أو حليًّا يُلْبسَ أو يُعَارُ أو غيرَ ذلك، لعموم الأدلة الدالة على وجوب الزكاة فيهما بدون تفصيل.

فعن عبدِالله بن عَمْرو بن العاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ امْرأةً أتَتِ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومَعَهَا ابنةٌ لها وفي يد ابْنتِها مسكَتَان غليظتَان من ذهبٍ ـ أي سِوَارَان غليظَانِ ـ فقال لها النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«أتُعْطِينَ زكاةَ هذا؟»** قالت: لا. قال: **«أيَسُرُّكِ أنْ يُسوِّرَكِ الله بهما يومَ القيامةِ سِوارين من نارٍ؟»** قال: فَخَلَعَتْهُما فألقتها إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقالت: **«هما لله ورسوله»** رواه أحمدُ وأبو داودَ والنسائيُّ والترمذيُّ. قال في بلوغ المَرَامِ: وإسنادُه قويٌّ.

وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالتْ: دخل عليَّ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فرأى في يَدي فتخَاتٍ من وَرِقٍ ـ تعني من فِضةٍ ـ فقال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَا هَذَا؟»** فقلتُ صَنَعْتُهنَّ أتَزيَّنُ لك يا رسول الله. قال: **«أتُؤدِّينَ زكاتَهن؟»** قالتْ: لا. أوْ مَا شَاءَ الله. قال: **«هو حَسْبُكِ من النار»** أخرجه أبو داود والبيهقيُّ والحاكمُ وصححه وقال: على شرطِ الشَّيْخين.

وقال ابنُ حَجَرٍ في التلخيصِ: على شرط الصحيح، وقال ابن دُقيقٍ: على شرطِ مسلمٍ.

ولا تجبُ الزكاة في الذهب حتى يَبْلُغَ نصاباً وهو عِشْرون دِيْنَارًا لأنّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

قال في الذهبِ: «**ليس عليكَ شيءٌ حتى يكون لك عشرون دينارًا**» رواه أبو داود.

والمراد الدينارُ الإسلاميُّ الَّذِي يبلُغُ وزنُه مِثْقَالًا وزِنَهُ المثقالِ أرْبعةُ غراماتٍ وربْعٌ فيكونُ نصابُ الذهبِ خمسةً وثمانينَ غرامًا.

ولا تجبُ الزكاةُ في الفضةِ حتى تبلغَ نصابًا وهو خَمْسُ أواقٍ، لقولِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس فِيْما دونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صدقةٌ**» متفق عليه.

والأُوقيَّةُ أرْبعونَ درهمًا إسلاميًّا، فيكونُ النصاب مائتي درهم إسلاميٍّ، والدرهمُ سبعةُ أعْشَار مثقالٍ فيبلُغُ مائةً وأربعينَ مثقالًا وهي خَمْسُمائةٍ وخمسةٌ وتسعون غرامًا تُعَادل ستَّةً وخمسينَ ريالًا عربيًا مِن الفضةِ.

ومقدارُ الزَّكاةِ في الذهبِ والفضةِ ربعُ الْعُشر فقط.

وتجبُ الزكاةُ في الأوراقِ النَّقْدِيَّةِ لأنها بدلٌ عن الفضَّة فتقومُ مقامَها، فإذا بلغتْ نصابَ الفضةِ وجَبَتْ فيها الزَّكاةُ، وتجبُ الزكاةُ في الذهبِ والفضةِ والأوراقِ النقديةِ سواءٌ كانت حاضرةً عنده أمْ في ذِمَمِ الناس.

وعلى هذا فتجبُ الزكاةُ في الدَّينِ الثابتِ سواءٌ كان قرضًا أمْ ثمَنَ مَبِيْع أمْ أجرةً أم غير ذلك، إذا كان على مَلِيء باذِلٍ فَيُزَكِّيه مَعَ مَاله كلَّ سنةٍ أو يؤخر زكاتَه حتى يقبِضَهُ ثُمَّ يزكِّيهِ لكلِّ ما مضى من السِّنين، فإنْ كان على مُعْسِر أو مُمَاطلٍ يصعبُ اسْتخراجُه منه فلا زكاة فيه حتى يقْبِضَه فيُزَكِّيه سنَةً واحدةً سنةَ قبضِه ولا زكاةَ عليه فيما قبْلَها من السِّنِين.

ولا تجبُ الزَّكاةُ فيما سِوى الذهب والفضةِ من المَعَادِن وإنْ كانَ أغْلَى منهما إلاَّ أنْ يكونَ للتجارةِ فيزكَّى زَكاةَ تِجارةٍ.

الرابعُ: مما تجبُ فيه الزكاةُ عُرُوضُ التجارةِ: وَهِيَ كُلُّ مَا أعدَّهُ لِلتَّكَسّبِ وَالتِّجَارَةِ مِن عَقَارٍ وَحَيَوانٍ وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ وَسَيَّارَاتٍ وَغَيرِهَا من جميع أصْناف المَال، فيُقَوِّمُها كلَّ سَنةٍ بما تُسَاوي عند رأسِ الْحَوْلِ ويُخْرِجُ رُبْعَ عُشْر قِيْمتِها سواءٌ كانت قيمتُها بقدرِ ثَمَنِها الَّذِي اشتراها به أمْ أقلّ أمْ أكثرَ، ويجبُ على أهل البِقَالات والآلاتِ وقِطَع الغيارات وغيرها أن يُحْصُوها إحصاءً دقيقًا شاملًا للصغير والكبير ويُخْرجوا زكاتَها، فإنْ شقَّ عليهم ذلك احْتاطُوا

وأخرجوا ما يكون به براءةُ ذِمَمِهِمْ.

ولا زكاةَ فيما أعدَّه الإنْسانُ لحاجتِه منْ طَعامٍ وشرابٍ وفُرُشٍ ومَسْكنٍ وحيواناتٍ وسيارةٍ ولباسٍ سوى حُليِّ الذهب والفضةِ لقولِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ولا تجبُ الزكاةُ فيما أعِدِّ للأُجرةِ من عقاراتٍ وسياراتٍ ونحوها وإنَّما تجبُ في أجْرَتها إذا كانت نقوداً وحالَ عليها الحولُ وبلغَتْ نصابًا بِنَفْسِها أوْ بِضَمِّها لما عندَه من جِنْسِها.

معشر المسلمين، أدُّوا زكاةَ أموالِكم وطِيبُوا بها نَفْسًا فإنها غُنْمٌ لا غُرْمٌ وربْحٌ لا خَسَارَةٌ، وأحْصوا جميعَ ما يلزمُكُمْ زكاتُه، واسْألُوا الله القبولَ لما أنْفقتُم والبركةَ لكم فيما أبْقَيْتُم.

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجْمعين.

الدرس الثاث والعشرون: في بيان أهل الزكاة

الحمدُ لله الَّذِي لا رافعَ لما وَضَعَ، ولا واضِعَ لما رفع، ولا مانِع لما أعْطَى ولا مُعْطِي لما منَع، ولا قاطعَ لما وَصَل ولا وَاصِل لما قَطَعَ، فسبحانَهُ من مُدَبِّرٍ عظيم، وإله حكِيم رحيم، فَبِحكْمتِه وقعَ الضررُ وبرحمته نَفَع، أحْمَدُه على جميع أفْعَاله، وأشْكُرُه على واسِع إفضالِه، وأشْهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحْدَه لا شريكَ له أحْكَمَ ما شَرَعَ وأبْدَعَ ما صَنَع، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرْسلَه والْكُفْرُ قد عَلاَ وارتفع، وصالَ واجْتمع، فأهْبَطَه من عَلْيائِه وقَمعَ، وفَرَّقَ من شَرِّه ما اجْتَمع، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

في هذه الآيةِ الكريمةِ بيَّنَ الله تعالى مَصارفَ الزكاةِ وأهْلَهَا المسْتَحقينَ لها بِمُقْتَضَى عِلْمِه وحكمتِه وعَدْله ورحمتِه، وحَصَرها في هؤلاءِ الأصناف الثمانيةِ، وبيَّنَ أنَّ صرفَها فيهم فريضةٌ لازمةٌ وأنَّ هذه القِسْمَةَ صادرةٌ عن علمِ الله وحكمتِهِ، فلا يجوزُ تَعَدِّيها وصرفُ الزكاةِ في غيرِها؛ لأنَّ الله تعالى أعْلَمَ بمصالح خلقِه وأحكَمُ في وضْع الشَّيءِ في موضِعَه: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فالصنف الأولُ والثاني: الفُقَرَاءُ وَالمَسَاكِينُ وهم الذين لا يجدون كِفَايتَهم، وكفايةَ عائلتهم لا مِنْ نقودٍ حاضِرةٍ ولا منْ رواتبَ ثابتةٍ ولا مِنْ صناعةٍ قائمةٍ ولا مِنْ غَلَّةٍ كافيةٍ ولا مِنْ نفقات على غيرِهم واجبة فهم في حاجةٍ إلى مواساةٍ ومعونةٍ.

قال العلماءُ: فيعْطونَ مِنَ الزكاةِ ما يَكفيْهم وعائِلَتَهُمْ لمُدة سنةٍ كاملةٍ حتى يأتيَ حولُ الزكاةِ مرةً ثانيةً ويُعْطَى الفقيرُ لزواجٍ يحتاجُ إليهِ ما يَكْفِي لِزواجه، وطالبُ العلم الفقير لشراء كتب يحتاجها. ويعْطى منْ له راتب لا يكفيه وعائلته من الزكاة ما يُكمِّل كفايَتَهم

لأنه ذو حاجة.

وأمَّا من كان له كفايةٌ فلا يجوز إعطاؤه من الزكاةِ وإنْ سألَها؛ بل الواجبُ نُصحُه وتَحْذِيرُه من سُؤالِ ما لا يحلُّ له، فعن عبدِ الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**لا تَزَالُ المسْألةُ بأحَدِكُم حتى يَلْقَى الله ، وليس في وجههِ مُزعةُ لحمٍ**» رواه البخاري.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سأل الناسَ أموالَهم تكثُّرًا فإنما يسأل جمرًا فَلْيَسْتقِلَّ أو ليسْتكثِرْ**» رواه مسلم.

وإن سأل الزكاةَ شخصٌ وعليه عَلَامةُ الغِنَى عَنْهَا، وَهُو مَجْهُولُ الحَالِ جَازَ إعْطَاؤُهُ مِنهَا بَعدَ إعْلَامِهِ أنَّهُ لَا حَظَّ فِيهَا لغَنِيٍّ ولا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه رَجُلَانِ يَسْألانه فقَلَّبَ فيهما البَصَر فرآهما جَلدَين فقال: «**إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ.

الصنفُ الثالثُ مِنْ أهلِ الزكاةِ: العامِلُون عليها وهم الذينَ ينصِّبُهم وُلاَةُ الأمورِ لِجبايةِ الزكاةِ من أهلها وحِفْظِها وتصريفِها، فيُعْطَون منها بقدرِ عملِهِم وإنْ كانوا أغنِياءَ، وأمَّا الوكلاء لفَردٍ من الناس في توزيعِ زكاتِه فليسوا من العامِلين عليها فلا يستحقونَ منها شيئًا من أجْلِ وَكالتهم فيها، لكِنْ إن تَبرَّعُوا في تفريقِها على أهلِها بأمانةٍ واجْتهادٍ كانوا شركاءَ في أجْرِها لما روى البخاريُّ عن أبي موسى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الخازِنُ المسْلِمُ الأمينُ الَّذِي يُنَفِّذُ أو قال: يُعْطِي ما أُمِرَ به كاملًا موفَّرًا طيِّبًا به نَفْسُه فيدفَعُه إلى الَّذِي أمَر به أحدُ المُتصَدقِّين، وإنْ لم يتبرَّعوا بتَفرِيقِها أعْطاهُمْ صاحبُ المال من مالِه لا مِنَ الزكاةِ**».

الصنفُ الرابعُ: المؤلَّفَةُ قلوبُهم وهم ضعفاءُ الإيْمانِ أو مَنْ يُخْشَى شَرُّهُمْ، فيُعْطَونَ مِن الزكاةِ ما يكونُ به تقوية إيمانهم أوْ دفعُ شرهم إذا لم يندفع إلاَّ بإعطائِهِمْ.

الصنفُ الخامسُ: الرقَابُ وهم الأرقاء المكاتَبون الَّذِين اشْتَروا أنْفُسَهُم لِيُحَرِّروا بذلك أنْفُسَهم، ويجوزُ أنْ يُشْترى عَبْدٌ فيُعْتَق وأنْ يُفَكَّ بها مُسْلِمٌ من الأسْرِ لأنَّ هذا داخلٌ في عموم الرِّقَاب.

الصِّنْفُ السَّادِسُ: الغَارِمُونَ الَّذِين يَتَحَمَّلُون غَرَامةً وهم نوعانِ:

الأول: مَنْ تَحمَّلَ حَمَالةً لإِصْلاحِ ذاتِ الْبَيْنِ وإِطْفَاءِ الفتنةِ فيُعْطَى من الزكاةِ بقَدْرِ حَمَالتِه تشجيعاً له على هذا العملِ النَّبيْلِ الَّذِي به تأليفُ المسلمين وإصلاحُ ذاتِ بَيْنِهم وإطفاءُ الفتنةِ وإزالة الأحْقَادِ والتنافرِ.

فَعَنْ قَبِيصَةَ الهِلَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تحمَّلتُ حمالةً فأتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسْأَلُه فيها فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَقِمْ حتى تأتِينَا الصدقةُ فَنَأْمُرَ لك بها»**، ثم قال: **«يا قبيصةُ إنَّ المسألةُ لا تحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثةٍ: رجل تحمَّل حمالةً فحلَّتْ له المسألةُ حتى يصيبَها ثُمَّ يُمْسِكُ»** وذكر تمام الحديث رواه مسلم.

الثاني: مَنِ تَحمَّل حمالةً في ذمتِه لنَفْسِه وليس عنده وفَاءٌ فيُعْطَى من الزكاةِ ما يُوفي به دينَه وإنْ كَثُر أو يُوفَى طَالِبُه وإنْ لم يُسلَّمْ للمطلوب؛ لأنَّ تسليمَه للطالبِ يحصُل به المقصودُ من تبْرِئَةِ ذمةِ المطلوب.

الصنفُ السابعُ: في سبيلِ الله وهو الجهادُ في سبيل الله الَّذِي يُقْصَدُ به أنْ تكون كلمةُ الله هي العُلْيا لا لحميَّةٍ ولا لعصبيَّةٍ، فيُعْطَى المجاهدُ بهذه النِّيَّةِ ما يكْفِيهِ لِجِهادِهِ من الزكاةِ أوْ يُشْترى بها سلاحٌ وعَتَادٌ للمجاهدين في سبيلِ الله لحمايةِ الإِسْلامِ والذَّودِ عنه وإعلاءِ كلمةِ الله سبحانَه.

الصنفُ الثامنُ: ابنُ السَّبِيْلِ وهو المسافرُ الَّذِي انقطع به السَّفرُ ونَفَد مَا في يَدِه فيُعْطَى مِن الزكاةِ ما يُوصَلَه إلى بلدِهِ وإنْ كان غنياً فيها وَوَجَدَ من يُقْرِضُه، لكنْ لا يَجُوز أنْ يَسْتَصْحِبَ معه نفقةً قليلةً لأجْل أن يأخذ من الزكاة إذا نفدت، لأنها حيلةٌ على أخذ ما لا يستحق.

ولا تُدْفَع الزكاةُ لكافر إلا أن يكونَ من المؤلَّفةِ قلوبهم، ولا تُدفع لِغَنِيٍّ عنها بما يكفِيه من تجارةٍ أو صناعةٍ أوْ حرفةٍ أوْ راتبٍ أوْ مَغَلٍّ أو نفقةٍ واجبةٍ إلا أن يكون من العامِلينَ عليها أو المجاهِدينَ في سبيلِ الله أو الغَارمينَ لإِصْلاحَ ذاتِ البَيْن.

ولا تُدْفَع الزكاةُ في إسقاطِ واجبٍ سِوَاها فلا تُدْفَع للضَّيْفِ بدلًا عن ضيافتِه، ولا لمن

تجب نفقتُهُ من زوجةٍ أو قريبٍ بدلًا عن نفقتهما، ولا يجوز دفعُها للزوجةِ والقريبِ فيما سوى النفقةِ الواجبةِ.

ويجوزُ دفعُ الزوجةِ زكاتَها لزوجها في قضاءِ دينٍ عليه ونحوه؛ وذلك لأنَّ الله سبحانَه علَّقَ استحقاقَ الزكاةِ بأوصافٍ عامة تشملُ من ذكرنا وغيرهم، فمن اتَّصفَ بها كان مستحقاً، وعلى هذا فلا يخرج أحَدٌ منها إلا بنص أو إجماع.

وفي الصحيحين من حديث زيْنَبَ الثَّقَفِيَّةِ امْرَأة عبدِ الله بن مسعودٍ أن النبيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمَرَ النِّساءَ بالصدقةِ فسَألَتِ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَتْ: يا رسولَ الله إنَّك أمَرْتَ بالصدقةِ وكان عندي حُلِيٌّ فأردتُ أنْ أتصدقَ به، فزَعم ابنُ مسعودٍ أنَّه وولَدَه أحَقُّ مَنْ تَصدَّقتُ به عليهم فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَدَقَ ابن مسعودٍ زوجُكِ وولَدُك أحقُّ مَنْ تصدَّقتِ به عليهم»**.

ولا يجوز أن يُسْقِطَ الدَّيْنَ عن الفقير ويَنْويه عن الزكاةِ لأنَّ الزكاةَ أخْذٌ وإعطاء.

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ الله افْتَرَضَ عليهم صدَقةً تُؤخذُ مِنْ أغْنيائِهِم فَتُرَدُّ على فقرائِهِم»**.

وإسْقَاطُ الدَّيْنَ عن الفقير ليس أخذًا ولا رَدًّا، ولأنَّ ما في ذمةِ الفقير دَيْنٌ غَائبٌ لا يَتَصَرَّفُ فيه فلا يجزئ عن مالٍ حاضرٍ يَتَصَرَّفُ فيه، ولأنَّ الدَّيْنَ أقلُّ في النَّفْسِ من الحاضرِ وأدْنَى فأداؤه عنه كأداءِ الرديءِ عن الجيِّد.

معشر المسلمين، إن الزكاةَ لا تجزئ ولا تقْبَلُ حتى توضع في المَحَلِّ الَّذِي وَضَعَها الله فيه فاجْتَهدوا رحمكم الله فيها، واحْرصُوا على أنْ تَقَع موقعها وتَحِلَّ مَحلَّها لِتُبْرئوا ذِمَمَكُمْ وتُطَهِّروا أمْوَالَكُمْ وتُنَفِّذُوا أمْرَ ربِّكم وتُقْبَلَ صَدَقاتُكُمْ والله المُوَفِّقُ.

والحمد لله ربِّ العالمِينَ، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِه أجمعينَ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: فِي فَضْلِ الحَجِّ وَحُكْمِهِ

الحمد لله الذي شرع حج بيته الحرام وجعل الحج شعيرة من شعائر الإسلام وبين لعباده الحلال من الحرام أحمده سبحانه حمدًا يليق بجلاله وعظمته حمدًا يبقى على الدوام وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يدخل قائلها بها دار السلام وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الإسلام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فإن الحج ركن من أركان الإسلام، جمع الله فيه العبادة القلبية بالإخلاص وغيره، وجمع الله فيه العبادة المالية والقولية والفعلية.

والحج وزمنه تجتمع فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أعظم ركن في الإسلام، وتجتمع فيه الصلاة وإنفاق المال، والصيام لمن لم يجد الهدي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر والحِلم، والشفقة والرحمة، والتعليم للخير والبر، وجهاد النفس ونحو ذلك، واجتناب المحرمات.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الحج وبيان عظيم منزلته في شرائع الدين ففي الصحيحين من حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: **«إيمَانٌ بِاللهِ ورسولِهِ»**. قِيلَ: ثم ماذا؟ قال: **«الجهادُ في سبيلِ اللهِ»**. قِيلَ: ثم ماذا؟ قال: **«حَجٌّ مبرور»**.

وعنه أيضًا قال: سمعت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«من حجَّ فلم يَرفُثْ، ولم يَفْسُقْ؛ رجَع من ذنوبه كيومَ ولدتْهُ أُمُّه»** متفق عليه.

وعنه أيضًا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة»** متفق عليه.

وروى البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله! نرى الجهادَ أفضلَ الأعمال، أَفلا نجاهد؟ فقال: **«لَكُنَّ أفضلَ الجهادِ؛ حجٌّ مبرور»**.

وفضائل الحج كثيرة جدًا.

ويجب الحج على المسلم البالغ العاقل الحر القادر لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فمن كان قادرًا على الحج وجب عليه الحج فورًا ولا يجوز له أن يؤخر لغير عذر ولا ينبغي لمسلم أن يتقاعس عن أداء هذه الفريضة، ويسوف بها بذريعة أدائها فيما بعد من الأيام والأعوام، فهو لا يدري ما يحدث له، والمستقبل مجهول، والغد غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، بل الواجب عليه أن يتعجل الحج، وأن يبادر لأدائه، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«تعجلوا الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»** رواه أحمد وحسنه الألباني.

ومن كان عاجزًا عن الحج ببدنه وعنده قدرة مالية فإنه يجعل من يحج عنه ويعطيه نفقة الحج لحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الله عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: **«نعم»** وذلك في حجة الوداع. متفق عليه.

ومن مات ولم يحج لعذر وخلف تركة تكفي لنفقة الحج وجب أن يحج عنه من تركته فإن هذا دين عليه لحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: أتى رجل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟»** قال: نعم قال: **«فاقض دين الله فهو أحق بالقضاء»** متفق عليه.

والحج له منافع كثيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٨].

ومن منافع الحج (١):

١ـ تحقيق العبودية لله: فكمال المخلوق في تحقيق العبودية لربه، وكلما ازداد العبد تحقيقًا

---

(١) انظر: «الحج آداب وأسرار ودروس».

لها ازداد كمالُه، وعلت درجتُه.

ثم إن شعار الحاج منذ إحرامه إلى حين رمي جمرة العقبة والحلْق: «**لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك**».

ومعنى ذلك: أنني خاضع لك، منقاد لأمرك، مستعد لما حمَّلتني من الأمانات؛ طاعة لك، واستسلامًا دونما إكراه أو تردد.

٢- **إقامة ذكر الله - تعالى** - فالذكر هو المقصود الأعظم للعبادات، فما شرعت العبادات إلا لأجله، وما تقرب المتقربون بمثله.

ويتجلى هذا المعنى في الحج غاية التجلي؛ فما شرع الطواف بالبيت العتيق، ولا السعي بين الصفا والمروة، ولا رمي الجمار إلا لإقامة ذكر الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾ [البقرة: ١٩٨ – ٢٠٠].

٣- **ارتباط المسلمين بقبلتهم:** التي يولون وجوههم شطرها في صلواتهم المفروضة خمس مرات في اليوم.

٤- **أن الحج فرصة عظيمة للإقبال على الله بشتى القُرُبَات:** حيث يجتمع في الحج من العبادات ما لا يجتمع في غيره، فيشارك الحج غيره من الأوقات بالصلوات وغيرها من العبادات التي تفعل في الحج وغير الحج.

وينفرد بالوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار، وإراقة الدماء، وغير ذلك من أعمال الحج.

٥- الحج وسيلة عظمى؛ لحط السيئات، ورفعة الدرجات: فالحج يهدم ما كان قبله.

قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لعمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: **«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»** رواه مسلم.

ومنافع الحج كثيرة لا نستطيع عدها هنا.

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا حج بيته الحرام وأن يجنبنا الخطايا والآثام، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِاللهِ

الحمد لله الذي شرع لعباده شرائع الإيمان وأنزل عليهم الحكمة والقرآن وشرع لهم ما فيه المصلحة لهم في كل زمان ومكان وأحسن إلى عباده غاية الإحسان أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بالله تعالى فهو الركن الأول والأعظم من أركان الإيمان

والإيمان بالله ﷻ يتضمن الإيمان بأربعة أمور:

الإيمان بوجود الله، وبربوبية الله، وبألوهية الله، وبأسمائه وصفاته.

فالإيمان بوجود الله هو: أن تؤمن بأن الله تعالى موجود، وقد دل على وجوده العقل، والحس والفطرة، والشرع.

وأما الإيمان بربوبيته: فهو أن يعتقد الإنسان أن الله هو الخالق، والمالك، والمدبر، فهذا معنى ربوبية الله ﷻ، فهو الخالق الذي أوجد الأشياء من عدم ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١].

فالذي أوجد الكون من العدم هو الله الخالق، المالك أي خلق الخلق وانفرد بملكه له كما انفرد بخلقه له، وهو المدبر وحده لجميع ما في هذا الكون.

وأما الإيمان بألوهيته: فهو أن يؤمن الإنسان بأنه سبحانه هو الإله الحق، وأنه لا يشاركه أحد في هذا الحق لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هي الدعوة إلى قول: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»**.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

ولو أن أحدًا آمن بوجود الله، وآمن بربوبية الله، ولكنه يعبد مع الله غيره فلا يكون

مؤمنًا بالله حتى يفرده سبحانه بالألوهية.

وأما الإيمان بأسمائه وصفاته: فهو أن يثبت الإنسان ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: هذا بيانٌ لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علمًا محضًا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

وذلك نحو ﴿العليم﴾ الدال على أن له علمًا محيطًا عامًا لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وكـ ﴿الرحيم﴾ الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء.

وكـ ﴿القدير﴾ الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها **«حسنى»** أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلًا: اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عَلَيَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك.

وقوله: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: عقوبة وعذابًا

على إلحادهم في أسمائه، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر الملحدون فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**». اهـ.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإيمان به على الوجه الذي يرضى به عنا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ

الحمدُ لله العظيمِ في قَدْرِه، العزيزِ في قهْرِه، العالمِ بحالِ العَبْدِ في سِرِّه وجَهْرِه، يسمعُ صَريفَ القلمِ عند خطِّ سَطْرِه، ويرى النَّملَ يدبُّ في فيافي قَفْرِه، ومِن آياتِه أنْ تقوم السَماءُ والأرضُ بأَمْرِه، أحْمَدُهُ على حُلْوِ القَضَاءِ ومُرِّه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له إقامةً لِذِكْرِه، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالبِرِّ إلى الخلْقِ في بَرِّه وبَحْرِه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابه والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما جاد السحابُ بقطْرِه، وسلَّم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن من أركان الإيمان التي لا يتم لأحد من الناس الإيمان إلا بالإيمان به الإيمان بالملائكة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

والملائكة هم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق

كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»**. والمارج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

وأما صفاتهم: فقد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

أنهم موصوفون بالقوة والشدة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣].

فقال: **«إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»**.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام»**.

ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [فاطر: ١].

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك.

قال تعالى في حق جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [النجم: ٥ – ٦].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ذو مرة: ذو منظر حسن، **وقال قتادة:** ذو خلق طويل حسن.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٥ – ١٦].

وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١١].

ومن صفاتهم الحياء لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حق عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**.

ومن صفاتهم أيضًا العلم، قال تعالى في خطابه للملائكة: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

فأثبت الله ﷻ للملائكة علمًا وأثبت لنفسه علمًا لا يعلمونه.

وقال تعالى في حق جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥]. **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علم محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القرآن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. اهـ

وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وقد اختصهم الله تعالى بأشياء، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات.

فمنها: أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يتعاقبون فيكم**

ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا يصعب حصرها هنا.

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرًا على الكفار ذلك: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢٧].

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن.

والإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي:

١ - **الإقرار بوجودهم والتصديق بهم** كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

٢ - **الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى** كما دلت على ذلك النصوص، فقد جاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا**

جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم».

٣ - **الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده** كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٧].

٤- **اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله** على ما دلت على ذلك النصوص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥].

وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: «**اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة...**».

وأفضل الثلاثة جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو الموكل بالوحي، فشرفه بشرف وظيفته.

وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسماه بأشرف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات.

٥ - **موالاتهم والحذر من عداوتهم** لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [التوبة: ٧١]. فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

٦ - **الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور**، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك، كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته.

وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

٧ - الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت وماروت، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم.

وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم، فيجب الإيمان بذلك إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك وغيره مما ثبت.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم[(١)].

نسأل الله تعالى الهدى والسداد والتوفيق للرشاد وأن يصلح أحوال البلاد والعباد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» ص(٩٧) وما بعدها.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالكُتُبِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ١ – ٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن من أركان الإيمان التي يجب على كل مسلم الإيمان بها الإيمان بالكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذيَ أوحاه إلى رسله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسوله وهو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضلالًا بعيدًا وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب، وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أركان الإيمان، فذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان.

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنزلها على رسله بالحق والهدى والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئًا منها

فهو كافر بالله خارج من الدين.

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

١ - شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢ - ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

والإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، وهي:

١ - التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله ﷻ وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه.

٢ - الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

٣ - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تناقض بينها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال في الإنجيل: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [المائدة: ٤٦].

فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامة كتب الله من كل تناقض أو تعارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كلام الخلق فإن كتب المخلوقين

عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعالى في وصف القرآن: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

٤ - الإيمان بما سمى الله ﷻ من كتبه على وجه الخصوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها.

وهذه الكتب هي:

أ- التوراة: وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ﴾ [القصص: ٤٣].

ب- الإنجيل: وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

ج- الزبور: وهو كتاب الله الذي أنزله على داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

د- صحف إبراهيم وموسى: وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله:

الأول: في سورة النجم في قول الله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦ – ٣٩].

والثاني: في سورة الأعلى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٩].

فأخبر الله ﷻ عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله على رسوليه إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، والعلم عند الله.

هـ) القرآن العظيم: وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصدقًا لما

بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نزولًا، وأشرفها، وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب، وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. ومهيمنًا: أي شهيدًا على ما قبله من الكتب وحاكمًا عليها.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقال ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، وما قُصَّ علينا من أخبار أهلها.

٥- الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره.

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

قال ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وروى الإمام أحمد من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: **«أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»** رواه أحمد

والبزار والبيهقي وغيرهم وهو حديث حسن بمجموع طرقه، ومعنى متهوكون: متحيرون[١].

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» ص(٢٧١).

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ: خَصَائِصُ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد الحي القيوم الذي لا يموت ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام والمتكلم بالقرآن والخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان، والمرسل رسوله بالبيان محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما اختلف المَلَوان، وتعاقب الجديدان أرسله بكتابه المبين الفارق بين الشك واليقين الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، جعل أمثاله عبرًا لمن تدبرها وأوامره هدى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ، والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فإن الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونزول هذا الكتاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقها للإيمان به بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالًا.

وهذه الخصائص هي:

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى مخبرًا عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

٢- اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا

الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٣- سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة.

فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فرضت على أصحابها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٤ - أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيام، من لدن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يَدَعوا مجالًا من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيه المؤلفات المطولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في رسمه وقراءاته، ومنهم من ألف في محكمه ومتشابهه، ومنهم من ألف في مكيه ومدنيه، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نزوله، ومنهم من ألف في أمثاله، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي حفظ الله بها كتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظًا يقرأ ويفسر غضًّا طريًّا كما أنزل.

٥ - أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب

المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأتباعه إلى قيام الساعة**، على ما روى الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**».

ومن صور إعجاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث: فقد تحداهم الله على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣ – ٣٤].

وقال ﷻ مقررًا عجزهم عن ذلك: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]. ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلغ وجه وآكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحدي، وهو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات.

٦- أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن.

٧ - أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية الأولى: يعني هونًا قراءته.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، وقد ذكر الطبري وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفظ للتلاوة وتيسير المعاني للتفكر والتدبر والاتعاظ وهو كذلك كما هو ملاحظ ومشاهد.

٨- أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

٩- أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بما لم يسبق إليه كتاب قبله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه: ٩٩].

١٠ - أن القرآن هو آخر كتب الله نزولًا وخاتمها والشاهد عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣ – ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا، والله تعالى أعلم.

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا وأن يجعله حجة لنا لا حجة علينا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[(١)].

(١) «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» ص(١٤٣).

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَتِلَاوَتِهِ

الحمد لله الذي جعل القرآن لنا طريقًا إليه وسبيلًا، وأقامه لنا على معرفته برهانًا واضحًا ودليلًا، وبعث به إلينا محمدًا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلمًا ومبينًا ورسولًا، وجعله معجزة له ما بقي الدهر سرمدًا طويلًا، وحفظه فلم يقدر مبطل ولا معاند أن يحدث فيه تغييرًا ولا تبديلًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله مدى الدهر بكرة وأصيلًا. **أما بعد:**

فإن الله ﷻ منَّ على هذه الأمة - زادها الله تعالى شرفًا - بالدين الذي ارتضاه دين الإسلام، وأرسل إليها محمدًا خير الأنام، عليه منه أفضل الصلاة والبركات والسلام، وأكرمها بكتابه أفضل الكلام، وجمع فيه ﷻ جميع ما يحتاج إليه من أخبار الأولين والأخرين، والمواعظ والأمثال، والآداب، وضروب الأحكام، والحجج القاطعات الظاهرات، في الدلالة على وحدانيته، وغير ذلك مما جاءت به رسله صلوات الله عليهم وسلامه الدامغات لأهل الإلحاد الضلال الطغام، وضاعف الأجر في تلاوته، وأمرنا بالاعتناء به والإعظام، وملازمة الآداب معه، وبذل الوسع في الاحترام[(١)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله ليتدبروه وليعتبروه وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته وأداء حقوقه وفرائضه لضعفت ولاندكت بثقله أو لتضعضعت له وأنى تطيقه، وهو يقول تعالى جده وقوله الحق: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، فأين قوة القلوب من قوة الجبال؟ ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة

---

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص(٨).

على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلاً منه ورحمة[(١)].

معشر المسلمين، لقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بهذا الكتاب العظيم فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن اتبع الهدى من غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا تمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

ولقد وصف الله تعالى هذا القرآن بأوصاف كثيرة تدل على علو شأنه وعظم منزلته فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال علماؤنا: أي عال عليه، وعلوه على سائر كتب الله تعالى وإن كان الكل كلام الله تعالى بأمور:

أحدها: بما زاد عليه من السور، فقد جاء في الحديث الصحيح أن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خص بسورة الحمد، وخواتيم سورة البقرة على ما يأتي.

وفي مسند الدارمي عن عبد الله قال: إن السبع الطوال مثل التوراة، والمئين مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل.

---

(١) «التذكار في أفضل الأذكار» ص(٣٣).

والأمر الثاني: أن جعله الله قرآنًا عربيًا مبينًا، وكل نبي قد بين لقومه بلسانهم كما أخبر الله ﷻ ولكن للسان العرب مزية في البيان.

والثالث: أن جعل نطقه وأسلوبه معجزًا وإن كان الإعجاز في سائر كتب الله سبحانه من حيث الإخبار عن المغيبات والإعلام بالأحكام المبينات وسنن الله المشروعات وغير ذلك وليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود فكان أعلى منها بهذه المعاني وأمثالها ولهذا المعنى الإشارة بقوله الحق: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

أي: بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت الناسخة أخف، أو في آجل إن كانت أثقل، أو بمثلها إن كانت مستوية فيكون علوه راجعًا إلى الزيادة في التصديق والبيان.

وكونه معجزًا يصدق من جاء به ويصدق ما قبله من الكتب والرسل مع أنه ناسخ لها[(١)].

ووصف الله تعالى القرآن بأنه عظيم وبأنه كريم وسماه الله تعالى روحًا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

وذلك لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب وهي لا تحيا إلا بالإيمان والقرآن.

وإن شهر رمضان موسم عظيم من مواسم الاستكثار من تلاوة القرآن الكريم فلقد كان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل على نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن كما في الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»**.

وإن تلاوة القرآن من أفضل الأعمال وأجلها كما قال تعالى – مادحًا من قام بهذا

---

(١) «التذكار» (٣٨).

العمل-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

وقد ورد في السنة جملة وافرة من الأحاديث الدلة على فضل تلاوة القرآن فمن ذلك:

ما أخرجه الشيخان عن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»**.

وتلاوته سبب للرفعة في الدنيا والآخرة فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ»** رواه مسلم.

وتلاوة القرآن نور للعبد في الأرض وذخر له في السماء فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت: يا رسول الله أوصني. قال: **«عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمرِ كلِّه»**. قلت: يا رسول الله زدني. قال: **«عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك»**، وفي رواية: **«وذكر لك في السماء»** رواه ابن حبان وحسنه الألباني في صحيح موارد الظمآن.

وَقَوْلُهُ: «نور لك في الأرض». قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنه يعلو قارئه العامل به من البهاء ما هو كالمحسوس، وأما الذخر في السماء فتفسره الرواية الأخرى: **«وذكر لك في السماء»**، وربما كان الذخر أعمَّ من الذكر، فبه تكون الرحمة في الآخرة والشفاعة والجنة.

وأما الذكر فقد قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السماء وهم الملائكة يثنون عليك فيما

بينهم؛ لسبب لزومك لتلاوته[(١)].

وتلاوته خير للعبد من الدنيا وما فيها فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن في الصفة فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**» فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ**» رواه مسلم. والكَوما من الإبل: عظيمة السَّنام.

وكل حرف من القرآن يُقرأه المسلم يكتب له به عشر حسنات فعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أقول: ﴿ألم﴾ حَرفٌ، وَلكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**» رواه الترمذي.

والتالون للكتاب هم أهل الله وخاصته وكفى بهذا شرفًا وفضلًا وفخرًا فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**» رواه النسائي وابن ماجه.

وتلاوة القرآن من أسباب نيل الشفاعة يوم القيامة فعن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**» رواه مسلم.

وتلاوة القرآن تورث صاحبها الدرجات العالية في الجنة فعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» رواه أَبُو داود والترمذي.

---

(١) «فيض القدير» (٣٣١/٤).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح: والمراد بالصاحب الذي ألفه، قال عياض: المؤالفة المصاحبة، وهو كقوله أصحاب الجنة، وقوله ألفه أي ألف تلاوته، وهو أعم من أن يألفها نظرًا من المصحف أو عن ظهر قلب، فإن الذي يداوم على ذلك يُذَلِّل له لسانه ويسهل عليه قراءته، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه[(١)].

وفضائل تلاوة القرآن كثيرة جدًا وتلك إشارات لبعض تلك الفضائل جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته ورفع درجاتنا في عليين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «فتح الباري» (٧٩/٩).

الدَّرْسُ الثَّلَاثونَ: الإيمَانُ بالرُّسُلِ

الحمد لله الكريم المنان ذي الطول، والفضل، والإحسان، الذي هدانا للإيمان، وفضل ديننا على سائر الأديان، ومن علينا بإرساله إلينا أكرم خلقه عليه، وأفضلهم لديه، حبيبه وخليله، وعبده ورسوله، محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمحى به عبادة الاوثان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة محصلة للغفران، منقذة صاحبها من النيران، موصلة له إلى سكنى الجنان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان، وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبَيَّنَ أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا.

وقد بَيَّنَ الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١]. فأطلق الكفر على من كذَّبَ بالرسل، أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم، والكفر ببعضهم، ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

كما بيَّنَ الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ١٥٢]. فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلِّهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض، وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفيه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أجاب لما سأله جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عن الإيمان فقال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»** الحديث.

وإذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمن ذلك:

١ - العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢ - شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

٣ - محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

والإيمان بالرسل هو: اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في سنته إجمالًا وتفصيلًا.

فالإيمان المجمل: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

وبأنهم جميعهم صادقون، بارُّون، راشدون، كرامٌ بررة، أتقياءُ أمناء، هداةٌ مهتدون.

وبأنهم كلَّهم كانوا على الحق المبين، والهُدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم.

قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله، وأما شرائعهم فمختلفة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

ويجب الإيمان بأن الرسل بشرٌ مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، وإنما هم عبادٌ أكرمهم الله بالرسالة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال ﷻ آمرًا نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لقومه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

كما يجب اعتقاد تفاضل الرسل على ما أخبر ﷻ في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عن الرسل على وجه العموم إيمانًا مجملًا.

وأما الإيمان المفصل: فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته منهم، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون.

ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٦].

وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۖ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم خليلين، لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤].

وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وإِلَانَةِ الحديدِ لداودَ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠].

وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ ﴾ [سبأ: ١٢].

وتعليم سليمان منطق الطير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ﴾ [النمل: ١٦].

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله ﷻ في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم.

كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم.

وما قص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به

إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم[(١)].

نسأل الله تعالى أن يصلح أعمالنا وقلوبنا وأحوالنا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» ص(١٥١) بتصرف.

الدَّرْسُ الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: المِنَّةُ بِبِعْثَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرُ بَعْضِ حُقُوقِهِ عَلَى أُمَّتِهِ

الحمد لله الذي وعد من أطاعه بنعيم الجنان، وتوعد من جحده وعصاه بجحيم النيران، الجبار الذي جبر من انكسر لأجل رضوانه، العفو الذي ستر من فجر بجميل إحسانه، الغفار الذي غفر لمن عبر إلى حرم غفرانه، ونصر من انتصر بعظيم شأنه، أحمده على ما أولاه من الإحسان، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لأهل الشكران، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الإنس والجان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والعرفان وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فلقد امتن الله تعالى على هذه الأمة بالمنة العظيمة والمنحة الكريمة ألا وهي مبعث نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن كان الناس يعيشون في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وقد نظر رب العباد إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب فامتن الله تعالى عليهم بهذه النعمة الكبرى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه المنة التي امتن الله بها على عباده المؤمنين أكبر المنن، بل هي أصلها؛ وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم، الذي جمع الله به جميع المحاسن الموجودة في الرسل؛ ومن كماله العظيم هذه الآثار التي جعلها الله نتيجة رسالته، التي بها كمال المؤمنين علمًا وعملًا، وأخلاقًا وآدابًا، وبها زال عنهم كل شر وضرر، فبعثه الله من أَنْفُسِهم وأَنْفَسِهم وقبيلتهم، يعرفون نسبه أشرف الأنساب، وصدقه وأمانته وكماله الذي

فاق به الأولين والآخرين، ناصحًا لهم مشفقًا، حريصا على هدايتهم[١].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فيعلمهم ألفاظها، ويشرح لهم معانيها، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الشرك والمعاصي والرذائل وسائر الخصال الذميمة، ويزكيهم أيضًا أي: ينميهم، فيحثهم على الأخلاق الجميلة، فإن التزكية تتضمن هذين الأمرين: التطهير من المساوئ، والتنمية بالمحاسن؛ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي السنة.

فالكتاب والسنة بهما أكمل الله للرسول وأمته الدين، وبهما حصل العلم بأصول الدين وفروعه، وبهما حصلت جميع العلوم النافعة، وما يترتب عليها من الخيرات، وزوال الشرور، وبهما حصل العلم اليقيني بجميع الحقائق النافعة، وبهما الهداية والصلاح للبشر.

فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الإمام الأعظم المعلم لهذين الأمرين، اللذين ينابيع العلوم كلها تتفجر من معينهما، فعلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته الكتاب والحكمة، وأوقفهم على حكم الأحكام وأسرارها، فكانت حياته كلها - أقواله وأفعاله وتقريراته وهديه، وأخلاقه الظاهرة والباطنة، وسيرته الكاملة المتنوعة في كل فن من الفنون - تعليمًا منه للمؤمنين، وشرحًا للكتاب والحكمة، فجمع لهم بين تعليم الأحكام الأصولية والفروعية، وما به تدرك وتنال، والطرق التي تفضي إليها عقلًا ونقلًا وتفكيرًا وتدبرًا، واستخراجًا للعلوم الكونية من مظانها وينابيعها، وبين لهم فوائد ذلك كله وثمراته، وشرح لهم الصراط المستقيم، اعتقاداته وأخلاقه وأعماله، وما لسالكه عند الله من الخير العاجل والآجل، وما على المنحرف عنه من العقاب والضرر العاجل والآجل.

فكان خيار المؤمنين بهذا التعليم الصادر من النبي الكريم مباشرة، وتبليغًا من العلماء الربانيين الراسخين في العلم، ومن الهداة المهديين، ومن أكابر الصديقين، وحصل لسائر

---

(١) «تيسير اللطيف المنان» ص(٣٢).

المؤمنين من هذا التعليم نصيب وافر من الخير العظيم على حسب طبقاتهم ومنازلهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فخرجوا بهذا التعليم من جميع الضلالات، وانجالت عنهم الشرور المتنوعة والجهالات، وتم لهم النور الكامل، وانقشعت عنهم الظلمات، فيا لها من نعمة لا يقدر قدرها، ولا يحصي المؤمنون كنه شكرها[(١)].

ولهذا كان حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم حقوق المخلوقين، فلا حق لمخلوق أعظم من حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨ – ٩].

وإن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقوقًا كثيرة على أمته، نذكر شيئًا من أهمها فمنها:

١- **الإيمان الصادق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٢- **وجوب طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحذر من معصيته** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»** قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ: **«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»** رواه البخاري.

٣- **اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء بهديه و تعلم سيرته** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤- **أن لا نعبد الله إلا بما شرع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أحدث في**

---

(١) «تيسير اللطيف المنان» ص(٣٢).

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

٥- محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أكثر من الأهل والولد، والوالد، والناس أجمعين،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»** رواه البخاري ومسلم.

وعلامات محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تظهر في الاقتداء به** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه.**

٦ـ النصيحة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** قُلْنَا: لِمَنْ قَالَ: **«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»** رواه مسلم.

والنصيحة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكون بتصديق نبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حيًا وميتًا، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة.

٧- احترامه، وتوقيره، ونصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩].

وَحُرْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرته وَتَوْقِيرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَاجِبٌ، كَوُجُوبِهِ حَالَ حَيَاتِهِ؛ فتوقيره في حياته توقير سنته وشخصه الكريم وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم والذَّبُّ عَنْ سُنَّتِه إِذَا تَعَرَّضَتْ لِطعنِ الطَّاعِنِينَ وَتحرِيفِ الجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ المبْطِلِينَ، وَبالذَّبُّ كَذلِكَ عَنْ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ إِذَا تَنَاوَلَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ أَوْ سُخْرِيَةٍ، أَوْ وَصَفَهُ بِأَوْصَافٍ لَا تَلِيقُ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨- الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى

﴿ ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» رواه مسلم.

وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني.

٩- وجوب التحاكم إليه، والرضي بحكمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمان بأن هديه أكمل الهدي وشريعته أكمل الشرائع وأن لا يقدم عليها تشريعًا أو نظامًا مهما كان مصدره.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

والرد في حال حياته إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد موته إلى سنته وشريعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٠- إنزاله مكانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا غلو ولا تقصير فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم» متفق عليه.

١١- نَشْرُ دَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه البخاريُّ.

١٢- مُوَالاَةُ أَوْلِيَائِهِ، وبُغْضُ أَعْدَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

١٣- رعاية حرمة مسجده وقبره ومدينته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [الحجرات: ٢].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد»** رواه أحمد.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«و إني حرمت المدينة»** متفق عليه.

وحقوق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة وجماعها إجمالًا في ما يلي:

طاعته في ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتصديقه بما أخبر، والتخلق بأخلاقه والاهتداء بهديه، ونشر سنته والدفاع عنه وعن سنته، وتقديمه على سائر البشر، وحبه أكثر من المال والنفس والولد، وحب أهل بيته الأخيار وصحابته الكرام.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتباع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتبعين لسنته، المقتفين لطريقته، الذابين عنها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: الإِيمَانُ بِاليَومِ الآخِرِ

الحمد لله الذي خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، هدى من شاء بفضله وأضل من شاء بعدله، فله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله، علانيته وسره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن من أهم أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، وأحوال يوم القيامة وما يكون فيه، ومن صفات الجنة والنار، وصفات أهلهما.

فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بذلك كله جملة وتفصيلًا، أما أحوال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه وتفاصيل ذلك، فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة والحسنة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو معروف، والقرآن أشار إليه في عدة آيات، وأما ما يكون بعد ذلك فإذا أراد الملك القادر بعث العباد وحشرهم وجزاءهم ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو: قرن عظيم لا يعلم عظمه إلا الذي خلقه، والنفخ في الصور على وجه لا يعلم كنهه إلا الله نفخة الصعق والفزع، انزعج لهذا أهل السماوات والأرض وصعقوا إلا من شاء الله من خلقه، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ نفخة البعث، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ من أجداثهم كاملي الخلقة، ينظرون ما يستقبلهم من هذه الحياة الأخروية التي يجازى فيها العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها.

أما المؤمنون الطائعون فيقومون مطمئنين طامعين في فضل ربهم ورحمته، مستبشرين بثوابه، وعفوه، ومغفرته، يحشرون إلى موقف القيامة وفدًا مكرمين، وأما المجرمون فيقومون فزعين خائفين متحسرين، يدعون بالويل والثبور، يقولون: يا ويلنا، من بعثنا من مرقدنا؟ فيساقون إلى جهنم وردًا.

فحينئذ تكثر القلاقل والأهوال، ويشيب الولدان من هول ذلك اليوم وفظاعته: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ

سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ – ٤٢].

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٥ – ٢٦].

وتكور الشمس والقمر، وتنثر النجوم، فتذهب هذه الأنوار المشاهدة، وتشرق الأرض بنور ربها، وينزل الله لفصل القضاء بين عباده، ومحاسبتهم على أعمالهم.

أما المؤمنون فيحاسبهم حسابًا يسيرًا يقررهم بذنوبهم، ثم يغفرها ويسترها عن الخلائق، ويضاعف لهم الحسنات، ويعطيهم من فضله وإحسانه ما لا تبلغه أعمالهم، ويعطون كتبهم بأيمانهم إكرامًا واحترامًا، كما تبيض وجوههم، وتثقل موازينهم؛ ويغتبطون بذلك، ويستبشرون به، فيقولون لإخوانهم ومعارفهم ومحبيهم: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ الآيات [الحاقة: ١٩ – ٢١].

ويساقون إلى الجنة زمرًا، كل طائفة منهم مع نظرائهم في الخير بحسب طبقاتهم وسبقهم، كما يردون في عرصات القيامة حوض نبيهم، فيشربون منه شربة هنيئة لا يظمؤون بعدها، ويمرون على الصراط على قدر أعمالهم كلمح البصر، وكالبرق الخاطف، وكأجاويد الخيل والإبل، وكسعي الرجال، وكمشيهم، ودون ذلك.

فإذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض مظالم وتبعات كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها بشفاعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلقاهم خزنة الجنة، يسلمون عليهم، ويهنونهم بالنجاة من العذاب وحصول الخير والثواب والخلود الأبدي بسبب طيبهم، ولهذا

قالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أي: طابت قلوبكم بالعقائد الصحيحة الصادقة، والأخلاق الجميلة، وألسنتكم بذكر الله والثناء عليه، وجوارحكم بخدمته والقيام بطاعته: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

فإذا دخلوها ورأوا ما فيها من النعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، حمدوا الله على منته عليهم بالسوابق والإيمان والأعمال الصالحة، وبإنجاز ما وعدهم به على ألسنة رسله، وعلى أن الله أورثهم الجنة يتبوءون من خيراتها حيث يشاءون وأنى يشاءون مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من نعيم القلوب والأرواح، ومن نعيم الأبدان والأجسام: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ١٥ – ٢٣].

خيرات الأخلاق، حسان الوجوه، قد جمع الله لهن حسن البواطن والظواهر، فهن سرور النفس، وقرة النواظر.

وتمام ذلك أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، وأنه يقال لهم: **«إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا»**.

فلهم كل ما يشاءون فيها وتتعلق به أمانيهم، ولهم فوق ذلك مما لم تبلغه أمانيهم، ولهم نعيم أعلى من ذلك كله، وهو التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم، وسماع خطابه، والابتهاج برضاه وقربه، والسرور بمحبته، وذكره وحمده، والثناء عليه وشكره، مما يشاهدون من كثرة الخيرات، وسوابغ النعم والهبات، وزيادة النعيم وتواصله، ومما يزدادون من معرفته والأنس به، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام.

وأما الكافرون والمجرمون: فيحاسبهم الله على ما أسلفوه من الجرائم، ويقرعهم ويخزيهم بين الخلائق، ويعطون كتبهم من وراء ظهورهم بشمائلهم، وتسود منهم الوجوه، وتخف

موازينهم، ويساقون إلى جهنم جياعا عطاشا منزعجين مرعوبين زمرا، كل طائفة تحشر مع نظيرها من أهل الشر: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ في وجوههم، ففاجأهم حرها المفظع، وحل بهم الفزع الأكبر الذي لا يشبهه فزع، وتلقتهم خزنة الجحيم، يوبخونهم على ما قدموه، وقالوا لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ قد جاءتنا الرسل، وبلغتنا النذر، فما كان منا إليهم إلا الاستهزاء بهم والتكذيب، فلو كان لنا أسماع واعية، وعقول نافعة ما وصلنا إلى هذه الدار، بل خالفنا المنقول والمعقول: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

ما أشد شقاءهم وعناءهم؛ ينوع عليهم العذاب أنواعا، فتارة يعذبون بالسعير المحرق لظواهرهم وبواطنهم، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها، وتارة بالزمهرير الذي قد بلغ برده أن يهري اللحوم ويكسر العظام، وتارة بالجوع المفرط والعطش المفظع، وإذا استغاثوا لذلك أغيثوا بعذاب آخر، ولون من الشقاء ينسي ما سبقه، فيغاثون بطعام ذي غصة؛ بشجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، وثمرها في غاية المرارة والنتن والحرارة، إذا وصلت بطونهم غلت فيها كغلي الحميم الذي يوقد عليه في النار.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

إذا قرب إليها فلا يدعهم العطش مع ذلك أن يتناولوها، فإذا وصلت إلى بطونهم قطعت أمعاءهم، ولا يزالون في عذاب متنوع شديد، لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا يرجون رحمة ولا فرجًا، يتمنون الممات ليستريحوا، فينادون مالكًا رئيس خزنة النار: ﴿يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ فلا تلوموا إلا أنفسكم لما أسلفتموه من الجرائم: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨].

وينادون أهل الجنة مستغيثين بهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فيقول لهم أهل الجنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وينادون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۞ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فحينئذ ييأسون من كل خير، ومن كل فرج وراحة، ويتيقنون أنه الخلود الدائم والعذاب الأبدي والشقاء المستمر.

فنسأل الله الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ به من النار، وما قرب إليها من قول وعمل.

والحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

(١) انظر: «تيسير اللطيف المنان» ص(٤٠) وما بعدها.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: المَوْتُ وَعَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمُهُ

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، الذي حكم على خلقه بالموت وهو الحكيم الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المجيد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الموت عاقبة كل حيٍّ، وختام كل شيء، ونهاية كل موجود - سوى الرب المعبود - فالكل سيموت، غير ذي العزَّة والجبروت، فالموت طالب لا يعجزه المقيم، ولا ينفلت منه الهارب، فهو قضاء نافذ، وحكم شامل، وأمر حاتم لازم، لا مهرب منه ولا مفر، وبعد الموت يُجازَى كلُّ إنسان مِنَّا بما عَمِلَ في هذه الحياة الدنيا؛ وقد أنكر فئام من الناس وجود الله تعالى، وأنكر المشركون البعث، وأُنكرت غير هذه الحقائق القطعية التي لا شك فيها، أما الموت فلا يمكن إنكاره.. قال تعالى -عن المشركين-: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وقال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وترجمةُ هَؤُلاءِ لِلحَيَاةِ أَنَّهَا: بُطُونٌ تَدْفَعُ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ، فَلَا بَعْثَ وَلَا مَرْجِع.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾ [النساء: ٧٨].

ولو كان أحدٌ يبقى لكان أولى الناس بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن كتب الله الفناء على جميع عباده فلا يبقى إلا وجهه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞۖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

أي: وجاءت شدة الموت وغَمْرته بالحق الذي لا مردَّ له ولا مناص، ذلك ما كنت منه - أيها الإنسان - تهرب وتروغ.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتاني جبريل، فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه استغناؤه عن الناس»** رواه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني.

فالموت باب لا بد لكل أحدٍ أن يدخل منه..

هو الموتُ ما منه مَلاذٌ ومهربُ ... متى حُطَّ ذا عن نَعْشِهِ ذاك يركبُ

ولقد أمرنا نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإكثار من تذكر الموت فقال: **«أكثروا من ذكر هاذم اللذات»** رواه الترمذي.

وثبت عند الترمذي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«استحيوا من الله حقّ الحياء»**. فقلنا: يا نبي الله، إنّا لنستحيي. قال: **«ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقّ الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء»**.

وعَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: **«يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»** رواه ابن ماجه.

فعلينا أن نسارع إلى العمل الصالح، وأن نكثر منه، قبل أن نندم كما يندم المشركون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠].

ثم إن الإنسان بعد موته ينعم في قبره أو يعذب كما دلت على ذلك النصوص الشرعية وأجمع عليه سلف الأمة قال الله تعالى عن آل فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

والمراد بآل فرعون أتباعه الذين اتبعوه على الشرك والكفر، هؤلاء يُعرضون على النار أوّلَ النهار مرة وآخِرَ النهار مرة فيمتلؤون رُعبًا وفـزَعًا وخوفًا وهذا العرض ليس في الآخرة إنما قبل قيام الساعة كما يفُهم من الآية وليس قبل الموت كما هو ظاهر فتعيَّن أن يكون في مدة القبر في البرزخ وهي المدة ما بين الموت والبعث.

وَفِي الصَّحِيحَينِ مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ، فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَقَالَ: **«صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»** قَالَتْ: **«فَمَا رَأَيْتُهُ، بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»**.

وَفِي الصَّحِيحَينِ أَيْضًا مِن حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّد؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: أُنْظُرْ إِلَى مِقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مِقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ»**.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِن حَدِيثِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ: **«مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟»** فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: **«إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»** ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: **«تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»** قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: **«تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ**

عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: **«تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»** قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: **«تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»** قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ

وروى الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قُبِرَ الْمَيتُ أَوِ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: مُنْكَرٌ وَلِلآخَرِ نَكِيرٌ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّد؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ. فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَنَامُ كَنَوْمِ الْعَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. فَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنْتُ أَقُولُهُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ الْتَئِمِي فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ فَلاَ يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِك»**.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: المسألة التاسعة، وهو قول السائل:

الْمَسْأَلَة التَّاسِعَة وَهِي قَول السَّائِل مَا الْأَسْبَاب الَّتِي يعذب بهَا أَصْحَاب الْقُبُور؟

جوابها من وَجْهَيْن: مُجمل، ومفصل.

أما الْمُجْمل فانهم يُعَذبُونَ على جهلهم بِاللَّه وإضاعتهم لأَمره وارتكابهم لمعاصيه فَلَا يعذب الله روحا عَرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نَهْيه وَلَا بدنا كَانَت فِيهِ أبدا فان عَذَاب الْقَبْر وَعَذَاب الْآخِرَة أثر غضب الله وَسخطه على عَبده فَمن أغضب الله وأسخطه فِي هَذِه الدَّار ثمَّ لم يتب وَمَات على ذَلِك كَانَ لَهُ من عَذَاب البرزخ بِقدر غضب الله وَسخطه عَلَيْهِ فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.

وَأما الْجَواب الْمُفَصل: فقد أخبر النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن الرجلَيْن الَّذين رآهما يعذبان فِي قبورهما يمشى أَحدهمَا بالنميمة بَين النَّاس وَيتْرك الآخر الِاسْتِبْرَاء من الْبَوْل فَهَذَا ترك

الطَّهَارَة الْوَاجِبَة وَذَلِكَ ارْتكب السَّبَب الْمُوقع للعداوة بَين النَّاس بِلِسَانِهِ وَإِن كَانَ صَادِقا وَفِي هَذَا تَنْبِيه على أَن الْمُوقع بَينهم الْعَدَاوَة بِالْكَذِبِ والزور والبهتان أعظم عذَابا كَمَا أَن فِي ترك الِاسْتِبْرَاء من الْبَوْل تَنْبِيها على أَن من ترك الصَّلَاة الَّتِي الِاسْتِبْرَاء من الْبَوْل بعض واجباتها وشروطها فَهُوَ أَشد عذَابا وَفِي حَدِيث شُعْبَة أما أَحدهمَا فَكَانَ يَأْكُل لُحُوم النَّاس فَهَذَا مغتاب، وَذَلِكَ نمام، وَقد تقدم حَدِيث ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الذى ضُرِبَ سَوْطًا امْتَلَأَ الْقَبْر عَلَيْهِ بِهِ نَارا لكَونه صلى صَلَاة وَاحِدَة بِغَيْر طهُور وَمر على مظلوم فَلم ينصره.

وَقد تقدم حَدِيث سَمُرَة فِي صَحِيح البخاري فِي تَعْذِيب من يكذب الكذبة فتبلغ الْآفَاق، وتعذيب من يقْرَأ الْقُرْآن ثمَّ ينَام عَنهُ بِاللَّيْلِ وَلَا يعْمل بِهِ بِالنَّهَارِ، وتعذيب الزناة والزواني، وتعذيب آكل الرِّبَا، كَمَا شاهدهم النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البرزخ

وَتقدم حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فِيهِ رضخ رُءُوس أَقوام بالصخر لتثاقل رُءُوسهم عَن الصَّلَاة، والذين يسرحون بَين الضريع والزقوم لتركهم زَكَاة أَمْوَالهم، وَالَّذين يَأْكُلُون اللَّحْم المنتن الْخَبيث لزناهم، وَالَّذين تقْرض شفاههم بمقاريض من حَدِيد لقيامهم فِي الْفِتَن بالْكَلَام والخطب.

وَتقدم حَدِيث أَبِي سعيد وعقوبة أَرْبَاب تِلْكَ الجرائم؛ فَمنهمْ من بطونهم أَمْثَال الْبيُوت وهم على سابلة آل فِرْعَوْن وهم أَكلَة الرِّبَا، وَمِنْهُم من تفتح أَفْوَاههم فيلقمون الْجَمْر حَتَّى يخرج من أسافلهم وهم أَكلَة أَمْوَال الْيَتَامَى، وَمِنْهُم المعلقات بثديهن وَهن الزواني، وَمِنْهُم من تقطع جنُوبهم، ويطعمون لحومهم، وهم المغتابون، وَمِنْهُم من لَهُم أظفار من نُحَاس يخمشون وُجُوههم وصدورهم، وهم الَّذين يغمتون أَعْرَاض النَّاس، وَقد أخبرنَا النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن صَاحب الشملة الَّتِي غلها من الْمغنم انها تشتعل نَارا فِي قَبره، هَذَا وَله فِيهَا حق فَكيف بِمن ظلم غَيره مَا لَا حق لَهُ فِيهِ، فعذاب الْقَبْر عَن معاصي الْقلب وَالْعين والاذن والفم وَاللِّسَان والبطن والفرج وَالْيَد وَالرجل وَالْبدن كُله فالنمام، والكذاب، والمغتاب، وَشَاهد الزُّور، وقاذف الْمُحصن، والموضع فِي الْفِتْنَة، والداعي إِلَى الْبِدْعَة، وَالْقَائِل على الله وَرَسُوله مَالا علم لَهُ بِهِ، والمجازف فِي كَلَامه، وآكل الرِّبَا، وآكل أَمْوَال الْيَتَامَى، وآكل

السُّحت من الرِّشْوَة، والبُرطِيل[١]، وَنَحْوهمَا وآكل مَال أَخِيه الْمُسلم بِغَيْر حق، أَو مَال الْمعَاهد، وشارب الْمُسكر، وآكل لقْمَة الشَّجَرَة الملعونة وَالزَّانِي[٢]، واللوطي وَالسَّارِق والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر، وآخذ الرِّبَا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلل والمحلل لَهُ، والمحتال على إِسْقَاط فَرَائض الله وارتكاب مَحَارمه، ومؤذي الْمُسلمين، ومتتبع عَوْرَاتهمْ، وَالْحَاكِم بِغَيْر مَا أنزل الله، والمفتي بِغَيْر مَا شَرعه اللهُ، والمعين على الاثم والعدوان، وَقَاتل النَّفس الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَالمُلْحِدُ فِي حَرَمِ الله، وَالمُعَطِّلُ لِحَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، المُلْحِدُ فِيهَا، والمقدم رَأْيه وذوقه وسياسته على سنة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّائِحَةُ وَالمُسْتَمِعُ إِلَيْهَا، ونَوَّاحُوا جَهَنَّم وَهُم المُغَنُّونَ الْغِنَاءَ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُه، والمستمع إِلَيْهِم وَالَّذين يبنون الْمَسَاجِد على الْقُبُور ويوقدون عَلَيْهَا الْقَنَادِيل والسرج، والمطففون فِي اسْتِيفَاء مَا لَهُم إِذا أَخَذُوهُ وهضم مَا عَلَيْهِم إِذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السّلف وَالَّذين يأْتونَ الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وَأَعْوَان الظلمَة الَّذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غَيرهم والذى إِذا خوفته بِاللَّه وذكرته بِهِ لم يرعو وَلم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خَافَ وارعوى وكف عَمَّا هُوَ فِيهِ والذى يهدى بِكَلَام الله وَرَسُوله فَلَا يهتدى وَلَا يرفع بِهِ رَأْسا فاذا بلغه عَمَّن يحسن بِهِ الظَّن مِمَّن يُصِيب ويخطئ عض عَلَيْهِ بالنواجذ وَلم يُخَالِفهُ والذى يقْرَأ عَلَيْهِ الْقُرْآن فَلَا يُؤثر فِيهِ وَرُبمَا استثقل بِهِ فاذا سمع قُرْآن الشَّيْطَان ورقية الزِّنَا ومادة النِّفَاق طَابَ سره وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطَّرب وَوَدَّ أَنَّ المُغَنِّي لَا يَسْكُتُ، والذى يحلف بِاللَّه ويكذب فَإِذَا حُلِّفَ

---

(١) البرطيل هو الرشوة.

(٢) الشجرة الملعونة: هي شجرة في بيت المقدس خارج باب النصر، يقصدها الناس ويتبركون بها، ويعبدونها من دون الله. انظر «إغاثة اللهفان» (٢١١/١).

والمراد بآكل لقمة الشجرة: سَدَنَتها الذين يأكلون أموال من يقصدها.

بِالبُنْدُقِ أَو بَرِئَ من شَيْخِهِ أَو قَرِيبِهِ أَو سَرَاوِيل الفُتُوَّةِ أَو حَيَاة من يُحِبهُ ويُعَظِّمُهُ مِن المَخْلُوقِينَ لَم يَكْذِبْ، وَلَو هُدِّدَ وَعُوقِبَ وَالَّذِي يفتخر بالمعصية وَيَتَكَثَّرُ بِهَا بَين إِخوانه وَأَضْرَابه، وَهُوَ المُجَاهِر، وَالذى لَا تأمنه على مَالك وحُرْمَتِكَ، والفاحش اللِّسَان البَذِيءُ الذى تَرَكَهُ الْخَلْقُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ وَفُحْشِه، والذى يُؤَخر الصَّلَاة إِلَى آخر وَقتهَا وينقرها وَلَا يذكر الله فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يُؤدى زَكَاة مَاله طيبَة بهَا نَفسه، وَلَا يحجّ مَعَ قدرته على الْحَج، وَلَا يُؤدى مَا عَلَيْهِ من الْحُقُوق مَعَ قدرته عَلَيْهَا، وَلَا يتورع من لَحْظَة وَلَا لَفْظَة وَلَا أَكلَة وَلَا خطْوَة، وَلَا يبالي بِمَا حَصَّلَ من المَالِ من حَلَال أَو حرَام، وَلَا يصل رَحِمَه، وَلَا يرحم الْمِسْكِين وَلَا الأرملة وَلَا الْيَتِيم، وَلَا الْحَيَوَان البهيم، بَل يَدُعُّ الْيَتِيم، وَلَا يحض على طَعَام الْمِسْكِين، وَيُرَائي للْعَالمين، وَيمْنَع الماعُونَ، ويشتغل بعيوب النَّاس عَن عَيبه، وبذنوبهم عَن ذَنبه، فَكل هَؤُلَاءِ وأمثالهم يُعَذبُونَ فِي قُبُورهم بِهَذِهِ الجرائم بِحَسب كَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا، وَصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

وَلما كَانَ أَكثر النَّاس كَذَلِك: كَانَ أَكثر أَصْحَاب الْقُبُور معذبين والفائز مِنْهُم قَلِيل فظواهر الْقُبُور تُرَاب، وبواطنها حسرات وَعَذَاب، ظواهرها بِالتُّرَابِ وَالْحِجَارَة المَنْقُوشَةِ مَبْنِيَّات، وَفِي بَاطِنهَا الدَّوَاهِي وَالبَلِيَّات، تَغْلِي بالحسرات كَمَا تغلى الْقُدُور بِمَا فِيهَا، وَيَحِقُّ لَهَا وَقد حيل بَينهَا وَبَين شهواتها وأمانيها، تالله لقد وَعَظت فَمَا تركت لِواعِظٍ مَقَالًا، وَنَادَتْ يَا عمار الدُّنْيَا لقد عمرتم دَارا مَوشِكَةً بِكم زَوَالًا، وخربتم دَارا أَنْتُم مُسرِعُون إِلَيْهَا انْتِقَالًا، عَمَرتم بُيُوتًا لِغَيركِم مَنَافِعهَا وَسُكنَاهَا، وَخَرَّبْتُم بُيُوتًا لَيْسَ لكم مسَاكِن سواهَا، هَذِه دَار الاستباق ومستودع الأعْمَالِ وَبَذْرِ الزَّرْعِ وَهَذِه مَحَلٌّ لِلعِبَرِ رِيَاضٌ من رياضِ الْجَنَّةِ أَو حُفَرٌ مِن حُفَرِ النَّارِ[1]. اهـ

---

(١) «الروح» (١/٢٢٣).

نسأل الله تعالى أن يقينا فتنة القبر، وعذاب النار، وأن يدخلنا الجنة مع الأبرار.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأغنى وأقنى، لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يسمع السر وأخفى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فإن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ.

وَالنصوص المخبرة عن قدرة الله أو الآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وللقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم، وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات، والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، وإحاطته بذلك علمًا، فعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء، وإيجادها، وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل، وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر.

وليعلم المسلم أن هذه الدنيا دار بلاء واختبار، وليست دار راحة وقرار، والمنغصات فيها كأمواج البحر المتلاطمة، ولا ينجو من ذلك إنسان، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤].

ولا تجد إنسانًا كامل السعادة، فالغني يؤرقه خوفه على ضياع ماله، والسلطان يخشى زوال ملكه، والفقير يشقى بفقره...إلخ.

ثم إن دوام الحال من المحال فلا يدوم للإنسان سرور ولا غنى ولا سعادة، بل لا بد أن ينال من أضدادها كما قيل:

ثمانيةٌ لا بدَّ منها على الفتى ... ولا بدَّ أن تجري عليه الثمانية

سرورٌ وحزنٌ واجتماعٌ وفرقةٌ ... وعسرٌ ويسرٌ ثم سقمٌ وعافية

والمصائب تنزل بالإنسان ليظهر جوهره ومعدنه؛ فمنهم من تزيده المصائب قربًا من الله، ومنهم من يجزع ويطيش عقله، ولا يهتدي إلى اللجوء لربه الذي بيده كشف الضر وتحويل المحن إلى منح.

وقد كان من أركان الإيمان الستة: «**الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره**».

وهذه هي الدنيا يوم حلو ويوم مُرٌّ، فلا الحلاوة تبقى، ولا المرارة تدوم.

قال أوس بن حارثة جدُّ الأنصار لبنيه حين حضرته الوفاة: «**الدهر يومان: فيوم لك، ويوم**

عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصطبر، وكلاهما سينحسر».

والإيمان بالقدر يثمر الرضا بالقضاء والتسليم له، والثقة في موعود الله بالفرج، والصبر على أمر الله، وغيره من القيم التي تتجلى للإنسان في هذه الأحوال.

قال بعض الحكماء: رُبَّ محبوبٍ في مكروهٍ، ومكروهٍ في محبوبٍ، وكم مغبوطٍ في نعمة هي داؤهُ، ومرحوم في داء هو شفاؤه، وربَّ خيرٍ من شرٍّ ونفع من ضرٍّ.

وأنشد أمية بن أبي الصلت في معناه:

تجري الأمور على وفق القضاء وفي ... طيِّ الحوادث محبوبٌ ومكروهُ

فربما سرني ما بتُّ أحذره ... وربما ساءني ما بتُّ أرجوهُ

إلا أن ضعف النفس البشرية تؤدي بصاحبها إلى أن لا يرضى بقضاء الله، فيظهر الاعتراض على هذا القضاء، أو يحمله الجزع وعدم الصبر على قول ما لا يرضى الله عنه.. لذلك حذَّر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين يجزعون عند حلول المصائب بهم، ولا سيما عند مصيبة الموت.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»**.

وهذا كثيرًا ما يقع من النساء؛ فيُكثرن من الصياح والعويل، والندب والنياحة، وإظهار الجزع والتبرم بتقطيع الثياب، وخمش الوجوه.

فالمصائب مهما عظمت فإن أثرها لا يلبث أن يضعف بمرور الوقت، وقد ينمحي أثرها بالكلية؛ لذلك قال وهب بن منبه: **«ما من شيء إلا يبدو صغيرًا ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر»** فالإنسان لا يخلو من حالين بينه وبين ربه؛ فشكر المنعم حال النعمة، والصبر على أمره وقضائه حال الضراء.

وقد قيل: المحنة إذا تُلقيت بالرضا والصبر كانت نعمة دائمة، والنعمة إذا خلت من الرضا والشكر كانت نقمة قائمة.

فوجب التنبيه على العبد أن لا يغفل في أوقات النعمة والرخاء عن الاعتداد بالشكر، فلا

يُقابل فضل المنعم -تعالى شأنه- بالكفران والنكر، كما أنه إذا ابتلي بمصيبة فلا يُقابلها بالسخط والضجر؛ بل يكون صابرًا عند البلاء، شاكرًا وقت النعماء.

ولذلك كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: **«الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ»**.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ**.

قال أبو الحسين بن أبي البغل:

فصبرًا على حلو القضاء ومره ... فإن اعتياد الصبر أدعى إلى اليسرِ

وخير القضايا خيرهن عواقبًا ... وكم قد أتاك النفع من جانب الضرِ

ومن عصمة الله لعبده الرضا بقضائه، ومن لطفه توفيقه العبد للصبر، والصابر على بلاء الله يناله من الأجر ما لا يقدر أحد على وصفه، أو الإتيان على كنهه.

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»**.

ومن وصل إلى هذه الدرجة فقد وصل إلى حقيقة الإيمان؛ حيث ترسَّخ في يقينه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

نسأل الله تعالى أن يغفر ذنوبنا، وأن يصلح قلوبنا، وأن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الذِّكْرُ

الحمد لله الذي أمر بذكره، ووعد الذاكرين بثوابه وجزيل فضله، والصلاة والسلام على إمام الذاكرين، وقدوة الناس أجمعين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن رمضانَ موسمُ الخيرات، وميدان التنافس في القربات.

وإن ذكر الله - ﷻ - لمن أعظم ما يُتقرب به، وأجلِّ ما يسابق ويتنافس عليه؛ إذ هو المقصود الأعظم في مشروعية العبادات؛ فما شرعت الصلاة إلا لإقامة ذكر الله قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

ولا شُرِعَ الطوافُ بالبيت العتيق، ولا رميُ الجمار، ولا السعي بين الصفا والمروة، إلا لإقامة ذكر الله - ﷻ - وهكذا بقية الأعمال الصالحة.

ونصوص الشرع متضافرةٌ متظاهرةٌ على فضل الذكر، وعموم نفعه، والثناء على أهله، والحث على الإكثار منه.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢]. و

قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١]. و

قَالَ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقَالَ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مما هو كالإجماع بين العلماء بالله، وأمره أن ملازمة ذكر الله دائمًا هو أفضل ما شغل به العبدُ نفْسَه في الجملة.

وعلى ذلك دلَّ حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم **«سبق المفرِّدون»**. قالوا: يا رسول الله،

ومن المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**».

وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذِكرُ الله**».

والدلائل القرآنية، والإيمانية بصرًا، وخبرًا، ونظرًا على ذلك كثيرة.

وأقل ذلك أن يلزم الإنسانُ الأذكارَ المأثورةَ عن معلم الخير، وإمام المتقين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كالأذكار المؤقتة في أول النهار، وآخره، وعند أخذ المضجع، وعند الاستيقاظ في المنام، وأدبار الصلوات، ودخول المنزل، والمسجد، والخلاء، والخروج من ذلك، وعند المطر، والرعد وغير ذلك. وقد صنفت له الكتب المسمَّاة بعمل اليوم والليلة.

ثم ملازمة الذكر مطلقًا، وأفضله: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل: «**سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» أَفْضَلَ مِنْهُ. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

معاشر الصائمين، فوائد الذكر لا تكاد تحصى لكثرتها، وتنوع بركتها، وإليكم نبذةً عن تلكم الفوائد على سبيل الإجمال.

الذكر يرضي الرحمنَ، ويطرد الشيطانَ، ويزيل الهمَّ والغم، ويجلب البسطَ والسرور.

والذكر يجلب الرزق، ويحيي القلب، ويورث محبةَ الله للعبد، ومحبة العبد لله، ومراقَبَتهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ومعرفتَه، والرجوعَ إليه، والقربَ منه.

والذكر يَحُطُّ السيئاتِ، وينفع صاحبَه عند الشدائد، ويزيل الوحشةَ ما بين العبد وربه.

ومن فوائد الذكر أنه يؤمِّن من الحسرة يوم القيامة، وأن فيه شُغْلًا عن الغيبة، والنميمة، والفحش من القول، وأنَّه مع البكاء من خشية الله سببٌ لإظلال الله للعبد يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

معاشر الصائمين، الذكر أمانٌ من النفاق، أمانٌ من نسيان الله.

ومن فوائده أنه غراس الجنة، وأنه أيسر العبادات، وأقلُّها مشقَّة، ومع ذلك فهو يعدل عتق الرقاب، ويُرَتِّبُ عليه من الجزاء ما لا يرتب على غيره.

والذكر يغني القلب، ويسدُّ حاجته، ويجمعُ على القلب ما تفرق من إراداته وعزومه، ويفرق عليه ما اجتمع من الهموم والغموم والأحزان، والأنكاد، والحسرات.

ويفرق عليه - أيضًا - ما اجتمع على حربه من شياطين الإنس والجن.

والذكر يقرِّب من الآخرة، ويباعد من الدنيا، ويعطي الذاكرَ قوةً، حتى إنه لَيفعلُ مع الذكر ما لا يُظن فعلُه بدون الذكر.

ومن فوائده أنه رأس الشكر؛ فما شكر الله من لم يذكره، وأن أكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله.

وبالذِّكر تَسْهُل الصعاب، وتَخِفُّ المشاق، وتُيَسَّر الأمور، وتذوب قسوة القلب، وتُسْتَجْلَب بركة الوقت.

والذكر يوجب صلاةَ الله، وملائكتِه، ومباهاةَ الله - ﷻ - بالذاكرين ملائكتَه.

وللذكر تأثير عجيب في حصول الأمن، ودفع الخوف، ورفعه؛ فليس للخائف الذي اشتدّ خوفه أنفعُ من الذكر.

ثم إن الجبال والقفار تباهي وتبشر بمن يذكر الله عليها.

ودوام الذكر في الطريق، والبيت، والحضر والسفر، والبقاع - تكثير لشهود العبد يوم القيامة.

وللذكر من بين الأعمال لذَّة لا تُعَادِلُها لذَّة.

وبالجملة فإن ثمرات الذكر وفوائده، تحصل بكثرته، وباستحضار ما يقال فيه، وبالمداومة على الأذكار المطلقة، والمقيدة، وبالحذر من الابتداع فيه، ومخالفة المشروع.

معاشر الصائمين، هناك أذكارٌ مطلقةٌ عظيمةٌ، وقد جاء في فضلها نصوصٌ كثيرة.

وأعظم هذه الأذكار: **«سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ»**.

وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ**».

ومن الأذكار العظيمة «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

ومعناها: لا تحوُّل للعبد من حال إلى حال، ولا قوّة له على ذلك إلا بالله.

وقد جاء في فضلها أحاديثُ كثيرةٌ، منها ما جاء في سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا عَلَى الأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِلَّا كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ، وَلَو كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**».

وجاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا موسى، أو يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنَّة**» .

قلت: بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا حول ولا قوة إلا بالله تُحمل بها الأثقال، وتُكابد الأهوال، ويُنال رفيعُ الأحوال**».

وقال ابن القيم أيضًا: وهذه الكلمة - يعني لا حول ولا قوة إلا بالله - لها تأثيرٌ عجيبٌ في معاناة الأشغال الصعبة، وتَحملِ المشاقِّ، والدخولِ على الملوك، ومَنْ يُخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضًا تأثيرٌ في دفع الفقر.

قال: وكان حبيبُ بنُ مسلمةَ يَستَحب إذا لقيَ عدوا، أو ناهض حصنًا، أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ناهض يومًا حصنًا للروم فانهزم، فقالها المسلمون، وكبروا، فانهدم الحصن.

معاشر الصائمين، ومن الأذكار المطلقة العظيمة «**سبحان الله وبحمده**».

ولقد جاء في فضلها أحاديثُ كثيرةٌ، منها ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**».

ومن الأذكار العظيمة - كذلك -: «**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

ومن الأذكار العظيمة الاستغفار، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ورد في فضلهما آثارٌ كثيرةٌ، وألف في ذلك كتبٌ عديدةٌ، والمقام لا يتَّسع للتفصيل.

معاشر الصائمين، الناس في الذكر على أربع طبقات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **إحداها:** الذكر بالقلب، واللسان، وهو المأمور به.

الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسنٌ، وإن كان مع قدرته فتركٌ للأفضل.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كون اللسان رطبًا بذكر الله، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه**».

الرابع: عدم الأمرين، وهو حال الأخسرين.

كما يدخل في الذكر تلاوةُ القرآن، والدعاءُ، والصلاةُ، وإفشاءُ السلام، وإصلاحُ ذات البين، ومخاطبة الناس بالحسنى.

ويدخل في ذلك الصدقةُ، ونشرُ الكتب، والدعوةُ إلى الله، فكلُّ ذلك وغيره، داخلٌ في عموم مفهوم الذكر.

اللَّهُمَّ أعنّا على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم على نبينا محمد[(١)].

---

(١) «دروس رمضان» للحمد.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثون: الدُّعَاءُ

الحمد لله مجيب الدعوات وكاشف الكربات، والصلاة والسلام على أزكى البريات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن شأنَ الدعاء عظيم، ونفْعَهُ عميم، ومكانتَه عاليةٌ في الدين، فما استُجْلِبت النعمُ بمثله ولا استُدْفِعت النِّقَمُ بمثله، ذلك أنه يتضمَّن توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون من سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين.

وإن شهرَ رمضانَ لفرصةٌ سانحة، ومناسبة كريمة مباركة يتقرَّب فيها العبد إلى ربه بسائر القربات، وعلى رأسها الدعاء؛ ذلكم أن مواطن الدعاء، ومظانَّ الإجابة تكثر في هذا الشهر؛ فلا غَرْوَ أن يُكْثِر المسلمون فيه من الدعاء.

ولعل هذا هو السر في ذكر الحث على الدعاء أثناء آيات الصيام، حيث يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإليكم - **معاشر الصائمين** - هذه الوقفات اليسيرة مع مفهوم الدعاء، وفضله.

أيها الصائمون، الدعاء هو أن يطلبَ الداعي ما ينفعُه وما يكشف ضُرَّه؛ وحقيقته إظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمةُ العبوديةِ، واستشعارُ الذلةِ البشرية، وفيه معنى الثناءِ على الله ﷻ وإضافةِ الجود والكرم إليه.

أما فضائلُ الدعاءِ، وثمراتُه، وأسرارُه - فلا تكاد تحصر، فالدعاءُ طاعةٌ لله، وامتثال لأمره، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاء عبادة، قال النبي ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»** رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

والدعاء سلامة من الكبر: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاءُ أكرمُ شيءٍ على الله، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ شَيءٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ - ﷻ - من الدُّعَاءِ**» رواه أحمد.

والدعاء سبب لدفع غضب الله، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من لم يسألِ اللهَ يَغْضَبْ عليه**» أخرجه أحمدُ، وحسنه الألباني.

والدعاء سبب لانشراح الصدر، وتفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، ولقد أحسن من قال:

وإني لأدعـــو اللهَ والأمـــرُ ضـــيّقٌ ... علـــيَّ فمـــا ينفـــك أن يتفرّجـــا

وربَّ فـــتًى ضـــاقتْ عليـــه وجوهُـــه ... أصـــاب لـــه في دعـــوة الله مَخْرَجـــا

والدعاء دليل على التوكُّل على الله، فسرُّ التوكلِ وحقيقتُه هو اعتمادُ القلبِ على الله، وفعلُ الأسباب المأذون بها، وأعظمُ ما يتجلَّى هذا المعنى حالَ الدعاء؛ ذلك أن الداعيَ مستعينٌ بالله، مفوضٌ أمرَهُ إليه وحده.

والدعاء وسيلة لكِبَرِ النفس، وعلو الهمة؛ ذلك أن الداعيَ يأوي إلى ركن شديدٍ ينزل به حاجاتِه، ويستعين به في كافّة أموره؛ وبهذا يتخلص من أَسْر الخلق، ورقِّهم، ومنَّتِهم، ويقطعُ الطمعَ عما في أيديهم، وهذا هو عين عِزِّه، وفلاحِه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وكلّما قوي طمع العبد في فضل الله، ورحمته، لقضاء حاجته ودفع ضرورته؛ قويت عبوديتُه له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديتَه له فَيأْسُهُ منه يوجب غنى قلبه. اهـ.

والدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكَياسة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعجز الناس من عجز من الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**» رواه ابن حبان، وصححه الألباني.

ومن فضائل الدعاء: أن ثمرته مضمونة - بإذن الله - قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كفّ عنه من السوء مثلَه؛ ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**». رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مؤمنٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لله يسأله مسألةً إلا أعطاه الله إياها، إما عجّلها له في الدنيا، وإما ذخرها له في الآخرة، ما لم يعجل**» قالوا: يا رسول الله وما عَجَلَتُه؟ قال: «**يقول: دعوت ودعوت ولا أراه يُستجاب لي**» أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

ففي الحديثين السابقين وما في معناهما؛ دليل على أن دعاء المسلم لا يُهمل، بل يُعطى ما سأله إما مُعجلًا، وإما مُؤجلًا.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ داعٍ يُستجاب له، لكن تتنوع الإجابة؛ فتارةً تقع بعين ما دعا به، وتارةً بعِوَضِه. اهـ.

أيها الصائمون الكرام: للدعاء شروطٌ عديدةٌ لا بد من توافرها؛ كي يكون الدعاء مستجابًا مقبولًا عند الله.

فمن أهم تلك الشروط: أن يكون الداعي عالمًا بأن الله وحده هو القادر على إجابة الدعاء، وألا يدعو إلا الله وحده؛ لأن دعاء غير الله شرك، وأن يتوسّل إلى الله بأحد أنواع التوسُّل المشروعة كالتوسُّل إلى الله باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، أو أن يتوسَّل بصالح الأعمال، أو بدعاء رجل صالح حيٍّ حاضر قادر.

ومن شروط الدعاء: تجنبُ الاستعجال، والدعاءُ بالخير، وحسنُ الظنِّ بالله، وحضورُ القلب، وإطابةُ المأكل، وتجنُّبُ الاعتداءِ، هذه هي شروط الدعاء على سبيل الإيجاز.

وهناك آداب يحسن توافرها: كي يكون الدعاء كاملًا، ومنها الثناءُ على الله قبل الدعاء، والصلاةُ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإقرارُ بالذنب، والاعترافُ بالخطيئة، والتضرعُ، والخشوعُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والجزمُ في الدعاءِ، والعزمُ في المسألة، والإلحاحُ بالدعاء، والدعاءُ في كل الأحوال، والدعاءُ ثلاثًا، واستقبالُ القبلة، ورفعُ الأيدي، والسواكُ، والوضوءُ، واختيارُ الاسم المناسبِ أو الصفةِ المناسبةِ كأن يقول: يا رحمن ارحمني، برحمتك أستغيث.

ومن آداب الدعاء: خفضُ الصوتِ، وأن يتخيَّر الداعي جوامعَ الدعاء، ومحاسنَ الكلامِ، وأن يتجنَّب التكلُّفَ، والسَجْعَ، وأن يبدأ الداعي بنفسه، وأن يدعو لإخوانه المسلمين.

هذه بعض آداب الدعاء على سبيل الإجمال، والأدلة على ذلك مبسوطة في الكتاب والسنة، والمجال لا يتَّسع للتفصيل؛ فالإتيان بشروط الدعاء وآدابه من أعظم الأسباب الجالبة لإجابة الدعاء.

ومن الأسباب أيضًا: الإخلاص لله حالَ الدعاء، وقُوةُ الرجاء، وشدَّةُ التحرّي، وانتظارُ الفَرَجِ، والتوبةُ، وردُّ المظالِمِ، والسلامةُ من الغفلة، وكثرةُ الأعمالِ الصالحةِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكر، والتقرُّبُ إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وبِرُّ الوالدين، واغتنامُ الفُرصِ، وذلك بتحري أوقات الإجابة، واغتنامُ الأحوال، والأوضاع، والأماكن التي هي مظانُّ إجابة الدعاء.

أيها الصائمون الكرام، إن من البلاء على المؤمن أن يدعو فلا يُجاب؛ فيكرّر الدعاء، ويلحَّ فيه، وتطولَ المدة فلا يرى أثرًا للإجابة.

اللّٰهُمَّ يسرنا لليسرى، وجنبنا العسرى، اللّٰهُمَّ اختم بالصالحات أعمالنا، واقرن بالعافية غدوَّنا وآصالنا، اللّٰهُمَّ انصر الإسلام والمسلمين، وفرِّج هم المهمومين، ونفِّسْ كربَ المكروبين من المسلمين، واقض الدَّين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلِّ اللّٰهُمَّ وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: بِرُ الوَالِدَين

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الخَلْقَ مِن تُرَابٍ، وَفَاوَتَ بَينَهُم فِي العُلومِ وَالآدَابِ، قَرَّبَ أَقْوَامًا وَأَبْعَدَ آخَرينَ، وَأَذَلَّ مَن شَاءَ بِالمَعَاصِي، وَأَعزَّ مَن شَاءَ بِالطَّاعَةِ وَالتَّمْكِينِ، وَأَقَامَ الحُجَّةَ بِإِيضَاحِ الدَّلَائِلِ وَالبَرَاهِينِ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، شَهَادَةً مُبَرَّأَةً مِن الشِّرْكِ وَالشُّكُوكِ وَالارْتِيَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَف الخَلقِ وَسَيِّدُ الحَضَرِ وَالأَعْرَابِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلهِ وَأَصْحَابِهِ الأَنْجَابِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا. **وَبَعْد:**

فغير خاف على عاقلٍ حق المحسن، وَلا مُحسنَ بعد الحق تعالى على العبد كالوالدين، فقد تحملت الأم بحمله أثقالًا كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته، وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها، وقدمته على نفسها في كل حال.

وقد ضم الأب إلى التسبب في إيجاده محبته بعد وجوده، وشفقته، وتربيته بالكسب له والإنفاق عليه.

والعاقل يعرف حق المحسن، ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، لا سيما إذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء المنقلب.

وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما.

عن زرعة بن إبراهيم، أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقالَ: إِنَ لِي أُمًّا بَلَغَ بها الكِبرُ، وأنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها، وأوضئها، وأصرف وجهي عنها، فهل أديت حقها؟ قال: لا. قال: أليس قد حملتها على ظهري، وحبست نفسي عليها؟ قال: إنها كانت تصنع ذلك بك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تتمنى فراقها.

وقال رجلٌ لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حملت أمي على رقبتي من خراسان حتى قضيت بها المناسك، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا طلقة من طلقاتها.

فحق الوالدين من أعظم الحقوق وقد قرن الله تعالى حقه بحق الوالدين في مواضع من كتابه الكريم قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا

يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وبر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله ففي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا»** قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»** قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: بِرُّهُمَا يَكُونُ بِطَاعَتِهِمَا فِيمَا يَأْمُرَانِ بِهِ مَا لَمْ يَأْمُرَا بِمَحْظُورٍ وَتَقْدِيمِ أَمْرِهِمَا عَلَى فِعْلِ النَّافِلَةِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَيَا عَنْهُ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا، وَالتَّوَخِّي لِشَهْوَاتِهِمَا، وَالْمُبَالَغَةِ فِي خِدْمَتِهِمَا، وَاسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ وَالْهَيْبَةِ لَهُمَا، فَلَا يَرْفَعُ الْوَلَدُ صَوْتَهُ عَلَى صَوْتِهِمَا، وَلَا يُحَدِّقُ إِلَيْهِمَا، وَلَا يَدْعُوهُمَا بِاسْمِهِمَا، وَيَمْشِي وَرَاءَهُمَا، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يَكْرَهُهُ مِمَّا يَصْدُرُ عَنْهُمَا. **فعَنْ أَبِي غَسَّانَ الضَّبِّيِّ: «أَنَّهُ خَرَجَ يَمْشِي بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، وَأَبُوهُ خَلْفَهُ، فَلَحِقَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَمْشِي خَلْفَكَ؟ قَالَ: أَبِي، قَالَ: أَخْطَأْتَ الْحَقَّ وَلَمْ تُوَافِقِ السُّنَّةَ، لَا تَمْشِ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيكَ، وَلَكِنِ امْشِ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ خَلْفَهُ، وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَقْطَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَا تَأْخُذْ عَرْقًا ـ أي لحمًا ـ نَظَرَ إِلَيْهِ أَبُوكَ، فَلَعَلَّهُ قَدِ اشْتَهَاهُ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى أَبِيكَ شَزَرًا، وَلَا تَقْعُدْ حَتَّى يَقْعُدَ، وَلَا تَنَمْ حَتَّى يَنَامَ»** [(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أبصر رجلين، فقال لأحدهما: هذا منك؟ قال: أبي قال: لا تسمه باسمه، ولا تمشِ أمامه، ولا تجلس قبله.

---

(١) «البر والصلة» لابن الجوزي

وعن طيلة، قال: قلت لابن عمر: عندي أمي، قال: والله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر. أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿وَٱخفِض لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَحمَةِ﴾. قال: لا تمتنع من شيء أحباه.

وعن الحسن أنه سئل عن بر الوالدين؟ فقال: أن تبذل لهما ما ملكت، وتطيعهما ما لم يكن معصية. وعن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إبكاء الوالدين من العقوق.

وعن سلام بن مسكين قال: سألت الحسن، قلت: الرجل يأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟ قال: إن قبلا، وإن كرها فدعهما.

وعن العوام، قال: قلت لمجاهد: ينادي المنادي بالصلاة، وينادي رسول أبي. قال: أجب أباك. وعن ابن المنكدر، قال: إذا دعاك أبوك وأنت تصلي فأجب. والمراد: صلاة النافلة لا الفريضة.

ومهما أحسن الولد إلى والديه فإنه لن يوفيهما حقهما لعظم حقهما عليه ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه»**.

وقد كان من السلف يحرصون على البر العظيم بوالديهم.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كان رجلان من أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبر من كانا في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت. وأما حارثة فأنه كان يفلي رأس أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلامًا قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج: ما أرادت أمي؟.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه، فقال: **«السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا ولدي ورحمة الله وبركاته. فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا. فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا»**.

وإذا أراد أن يدخل صنع مثل ذلك.

وعن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: بلغت النخلة ألف درهم، فنقرت نخلة من جمارها. فقيل لي: عقرت نخلة تبلغ كذا، وجماره بدرهمين؟ قلت: قد سألتني أمي، ولو سألتني أكثر من ذلك لفعلت.

وعن الزهري، قال: كان الحسن بن علي لا يأكل مع أمه، وكان أبر الناس بها، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن آكل معها، فتسبق عينها إلى شيء من الطعام وأنا لا أدري، فآكله، فأكون قد عققتها. والآثار في هذا الباب كثيرة جدًا.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا بر والدينا وأن يعيننا على طاعته. وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، وأن يصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: صِلَةُ الأَرْحَامِ

الحمد لله الغفور الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي عم ببره وأجزل، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عليه اعتمادي والمعول، شهادة عبد خضع لهيبته وتذلل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل نبي وأكرم مرسل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم. **أما بعد:**

فإن صلة الأرحام من أعظم الواجبات، وأفضل الطاعات، وقطيعتها من أعظم الذنوب وأخطر الآفات؛ للأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة كثيرة حول هذه الشعيرة.

فقد أمر الله ﷻ بصلة الأرحام، فقال ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨].

وقال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وأخبر النبي ﷺ أن صلة الأرحام يزيد الله بها في العمر، ويبسط في الرزق، ويصل من وصلها، وهي من أسباب المحبة بين الأهل والأقارب.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»** متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: **«إنه من أُعطي حظه من الرفق**

فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار» أخرجه أحمد وصححه الألباني.

وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعلم الأنساب حتى توصل الأرحام فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراةٌ في المال، مَنْسَاةٌ في الأثر»** أخرجه الترمذي.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة»** أخرجه الحاكم وصححه الألباني.

ولقد كان الأمر بصلة الأرحام من أوائل ما دعا إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة أبي سفيان ابن حرب: أن هرقل عظيم الروم قال له حينما سأله عن رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ماذا يأمركم؟ قال: أبو سفيان: قلت: يقول: **«اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة»**. متفق عليه.

وصلة الأرحام من أسباب دخول الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»** أخرجه البخاري.

وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»** أخرجه ابن ماجه.

وصلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان بالله؛ كما أن قطيعة الرحم من أبغض الأعمال إلى الله بعد الشرك كما عند أبي يعلى وصححه الألباني من حديث رجل من خثعم قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في نفر من أصحابه، فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: **«نعم»** قال: قلت: يا رسول الله! أيّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: **«الإيمان**

بالله» قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: **«ثم صلة الرحم»** قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**، قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: **«الإشراك بالله»** قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: **«ثم قطيعة الرحم»** قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: **«ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»**.

ومن وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذِ بك من القطيعة»**. قال: **«نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟»** قالت: بلى يا رب، قال: **«فهو لك»**، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٤]».

ولقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قطيعة الرحم وأخبر أن عقوبتها معجلة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبها من العقوبة في الآخرة فقد أخرج أبو داود بسند حسن من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مَعَ ما يَدَّخرُ له في الآخرة: من البغي، وقطيعة الرحم»**.

وأخرج الشيخان عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«لا يدخل الجنة قاطع»**، يعني قاطع رحم.

وعلى المسلم أن يصل رحمه حتى ولو قطعوا فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: **«لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»**.

وأخرج أحمد وعن عقبة بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ثُمَّ لقيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فأخذتُ بيدهِ فقلتُ: يا رسول الله! أخْبِرْني بفَواضِلِ الأعْمالِ. قال: «**يا عقبةُ! صِلْ مَنْ قَطَعكَ، وأَعْطِ مَنْ حَرمَك، وأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمك**». وفي رواية: «**واعْفُ عَمَّنْ ظلَمكَ**».

فعلى المسلم أن يصل رحمه ولا تكون الصلة في المواسم فقط، بل تكون الصلة لهم بالمعروف، ولو بالسؤال عنهم في الهاتف، وإرسال الرسائل والصلات، ونحو ذلك بحسب التيسير، ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يتجاوز عن تقصيرنا.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأصلح أحوالنا وأحوال المسلمين في كل مكان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: حُقُوقُ الجَارِ [١]

الحمد لله الكريم الجواد اللطيف بالعباد، الذي من اعتز به ساد، ومن تمسك بكتابه أيده وحماه من الأضداد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فلقد أوصى الإسلام بالجار، وأعلى من قدره؛ فللجار في الإسلام حرمة مصونة، وحقوق كثيرة لم تعرفها قوانين الأخلاق، ولا شرائع البشر.

بل إن تلك القوانين والشرائع الوضعية لتتنكر للجار، وتستمرئ العبث بحرمته؛ إذ غالبًا ما يكون العبث بحق الجار أسهل تناولًا، وأقل كلفة، وأسنح فرصة.

ولقد بلغ من عِظَم حق الجار في الإسلام أن قرنَ الله حق الجار بعبادته وتوحيده تبارك وتعالى وبالإحسان إلى الوالدين، واليتامى، والأرحام.

قال ﷻ في آية الحقوق العشرة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦].

فقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: هو الذي بينك وبينه قرابة، وقيل: هو الذي قَرُبَ جوارُه، وقيل: المسلم، وقيل: الزوجة.

وقوله: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: قيل: هو الذي يعد في العرف جارًا وبينك وبين منزله فسحة.

وقيل: هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، وقيل: الزوجة: وقيل: غير المسلم.

أما السنة النبوية فقد استفاضت نصوصها في بيان رعاية حقوق الجار، والوصاية به، وصيانة عرضه، والحفاظ على شرفه، وستر عورته، وسد خلَّته، وغض البصر عن محارمه،

---

(١) انظر رسالة: «التقصير في حقوق الجار».

والبعد عن ما يريبه ويسيء إليه.

ومن أجلى تلك النصوص وأعظمها ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه»**.

أي: ظننت أنه سيبلغني عن الله الأمرُ بتوريث الجارِ الجارَ.

وهذه كلمة جامعة بالغة؛ فإن الوصاية بالجار تشمل كف الشر عنه وإسداء الخير إليه، **وقوله: «حتى ظننت أنه سيورِّثه»** يدل على أن الوصاية بالجار كانت على جانب عظيم من التأكد، والحث على رعاية حقوقه.

وحقوق الجار على وجه التفصيل كثيرة جدًا، وأما أصولها فتكاد ترجع إلى أربعة حقوق:

١ ـ كف الأذى: فإن للجار مكانةً عالية، وحرمةً مصونة ومن أجل ذلك جاء الزجر الأكيد والتحذير الشديد في حق من يؤذي جاره؛ فالأذى بغير حق محرم، وأذية الجار أشد تحريمًا.

جاء في صحيح البخاري عن أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»** قيل: من يا رسول الله؟ قال: **«من لا يأمن جارُه بوائقه»**.

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**.

بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل الاعتداء على حقوق الجار مضاعفا على الاعتداء على حق الغير فقد ثبت في مسند الإمام أحمد من حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: **«ما تقولون في الزنا؟»** قالوا: حرامٌ، حرَّمَهُ الله ورسولُه، فهو حَرامٌ إلى يومِ القِيامَة. قال: فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لأَنْ يزنيَ الرجلُ بعَشْرِ نِسْوَةٍ؛ أيْسرُ عليه من أنْ يزنيَ بامْرأَةِ جارِهِ»**. قال: **«ما تقولونَ في السرِقَةِ؟»** قالوا: حرَّمَها الله ورسولُه، فهي حَرامٌ. قال: **«لأنْ يَسْرِق الرجلُ مِنْ عشْرةِ أبْياتٍ؛ أيسرُ عليه منْ أنْ يَسرقَ مِنْ جارِهِ»**.

٢ ـ حماية الجار: فمن الوصية بالجار ومن حقه حمايته، ومما ينبه لشرف همة الرجل نهوضه لإنقاذ جاره في بلاء يُنال به، سواء كان ذلك في عرضه، أو بدنه، أو ماله أو نحو ذلك.

ولقد كانت حماية الجار من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم. **قال عنترة:**

وإني لأحمي الجار من كل ذلة وأفرح بالضيف المقيم وأبهج

وقالت الخنساء تمدح أخاها بحمايته جارَه:

وجارك محفوظٌ منيعٌ بنجوةٍ من الضيم لا يُؤذى ولا يتذلل

٣ ـ الإحسان إلى الجار: فلا يكفي الرجل في حسن الجوار أن يكف أذاه عن جاره، أو أن يدفع عنه بيده أو جاهه يدًا طاغيةً، أو لسانًا مقذعًا.

بل يدخل في حسن الجوار أن يحسن إليه في كافة وجوه الإحسان، فذلك دليل الفضل، وبرهان الإيمان، وعنوان الصدق. فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**. ولمسلم أيضًا: **«فليحسن إلى جاره»**.

قال حاتم الطائي:

إذا كان لي شيئان يا أم مالك فإن لجاري منهما ما تخيرا

فمن الإحسان إلى الجار تعزيته عند المصيبة، وتهنئته عند الفرح، وعيادته عند المرض، وبداءته بالسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وإرشاده إلى ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، ومواصلته بالمستطاع من ضروب الإحسان.

٤ ـ احتمال أذى الجار: فللرجل فضل في أن يكف عن جاره الأذى، وله فضل في أن يذود عنه، ويجيره عن أيدٍ أو ألسنة تمتد إليه بسوء، وله فضل في أن يواصله بالإحسان جهده، وهناك فضل رابع، وهو أن يغضي عن هفواته، ويتلقى بالصفح كثيرًا من زلاته وإساءاته، ولا سيما إساءة صدرت عن غير قصد، أو إساءة ندم عليها وجاء معتذرًا منها.

فاحتمال أذى الجار وترك مقابلته بالمثل من أرفع الأخلاق وأعلى الشيم.

ولقد فقه السلف هذا المعنى وعملوا به.

روى المرُّوذي عن الحسن: ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى.

وحقوق الجار كثيرة فيجب على المسلم مراعاتها وحفظها والقيام بها.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يتولى أمرنا في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الأَرْبَعُونَ: حُقُوقُ اليَتَامَى

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، له الحمد على ما أنعم، وله الشكر على أن علمنا ما لم نكن نعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن الإحسان إلى اليتيم خلق إسلامي رفيع حثنا الإسلام عليه وندبنا إليه، بل وجعله من أفضل الأعمال وأزكاها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولقد جاء الإسلام؛ واليتيم ليس له حظ في الحياة فأمر بإكرامه والإحسان إليه، حينما هاجر المسلمون إلى الحبشة وأرادت قريش إرجاعهم، وقف جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أمام النجاشي ملك الحبشة يشرح له محاسن الإسلام وأخلاقياته السامية فَقَالَ لَهُ: «**أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ**» أخرجه أحمد.

ولقد أكد القرآن الكريم على حقيقة الإحسان إلى اليتيم، والعناية بحفظ أموال الأيتام، وعدم التعرض لها بسوء، وعدَّ ذلك من كبائر الذنوب وعظائم الأمور، ورتب عليه أشد

العقاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ [النساء: ١٠]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وجعل الإسلام من السبع الموبقات التي توبق صاحبها وتدخله نار جهنم أكل مال اليتيم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ**» متفق عليه.

وحذر القرآن من إهانة اليتيم وأذاه بأي نوع من الاهانة والأذى، قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠ ﴾ [الفجر: ١٥ – ٢٠].

وقَالَ: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ [الضحى: ٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا تقهر اليتيم، أي: لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به، وكن لليتيم كالأب الرحيم. اهـ.

كما أكد على أن إكرام اليتيم سبيل إلى الفوز بالجنة، قال تعالى في وصف المؤمنين المتقين: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ ﴾ [الإنسان: ٨ – ١٢].

ولقد جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق الضعيفين: اليتيم والمرأة من أولى الحقوق بالرعاية والعناية، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي**

أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: حَقَّ الْيَتِيمِ، وَحَقَّ الْمَرْأَةِ» أخرجه النسائي.

كما جعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافل اليتيم مرافقًا ومصاحبًا له في الجنة، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا»** أخرجه البخاري.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ، أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا اتَّقَى اللهَ»**، وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. أخرجه مسلم.

وجعل أيضًا مسح رأس اليتيم عطفًا وحنوًا عليه سببًا لجلاء ومعالجة قسوة القلب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: **«إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»** أخرجه أحمد وصححه الألباني.

وكفالة اليتيم حفظ للذرية من بعدك موت أبيهم وقيام الآخرين بالإحسان إلى أيتامه ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

فكافل اليتيم اليوم إنما يعمل لنفسه لو ترك ذرية ضعافًا، فكما تُحسن إلى اليتيم اليوم يُحسن إلى أيتامك في الغد، وكما تدين تدان.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى، وأن يصرف عنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ: تَرْبِيَةُ الأَبْنَاءِ

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وتفضل على عباده بأصناف النعم، ومنَّ عليهم بما يعجز عن شكره كل مخلوق ناطق بفم، أحمده سبحانه وأشكره أكمل حمد وأتم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق كل شيء فأحكم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن من أعظم الأمانات التي تحملها الإنسان ومن المسؤولية العظمى التي كلف بها مسؤولية تربية الأبناء والقيام عليهم وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته»** رواه البخاري.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»** متفق عليه.

فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد؛ فالولد قبل أن تربيه المدرسة أو المجتمع يربيه البيت والأسرة.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وَمِمَّا يحْتَاج إِلَيْهِ الطِّفْل غَايَة الِاحْتِيَاج الاعتناء بِأَمْر خُلُقه فَإِنَّهُ ينشأ على مَا عوده المربي فِي صغره من حَرَدٍ وَغَضب، وَلَجَاجٍ وَعَجَلَةٍ وَخِفَّةٍ مَعَ هَوَاهُ، وَطَيْشٍ وَحِدَّةٍ وَجَشَعٍ فَيَصْعُبُ عَلَيْهِ فِي كِبَرِهِ تَلَافِي ذَلِك وَتصير هَذِه الْأَخْلَاق صِفَات وهيئات راسخة لَهُ فَلَو تحرز مِنْهَا غَايَة التَّحَرُّز فضحته وَلَا بُد يَوْمًا مَا.

وَلِهَذَا تَجِد أَكثر النَّاس منحرفة أَخْلَاقهم وَذَلِكَ من قبل التربية الَّتِي نَشأ عَلَيْهَا وَكَذَلِكَ يجب أَن يتَجَنَّب الصَّبِي إِذا عقل مجَالِس اللَّهْو وَالْبَاطِل والغناء وَسَمَاع الْفُحْش والبدع ومنطق السوء فَإِنَّهُ إِذا علق بسمعه عسر عَلَيْهِ مُفَارقته فِي الْكبر وَعز على وليه استنقاذه مِنْهُ

فتغيير العوائد من أصعب الْأُمُور يحْتَاج صَاحبه إِلَى استجداد طبيعة ثَانِيَة وَالْخُرُوج عَن حكم الطبيعة عسر جدًا.

وَيَنْبَغِي لوَلِيّه أَن يجنبه الْأَخْذ من غَيره غَايَة التجنب فَإِنَّهُ مَتى اعْتَادَ الْأَخْذ صَار لَهُ طبيعة وَنَشَأ بِأَن يَأْخُذ لَا بِأَن يُعْطي ويعوده الْبَذْل والإعطاء وَإِذا أَرَادَ الْوَلِيّ أَن يُعْطي شَيْئا أعطَاهُ إِيَّاه على يَده ليذوق حلاوة الْإِعْطَاء ويجنبه الْكَذِب والخيانة أعظم مِمَّا يجنبه السم الناقع فَإِنَّهُ مَتى سهل لَهُ سَبِيل الْكَذِب والخيانة أفسد عَلَيْهِ سَعَادَة الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَحرمه كل خير.

ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة بل يَأْخُذهُ بأضدادها وَلَا يريحه إِلَّا بِمَا يجم نَفسه وبدنه للشغل فَإِن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة نَدم وللجد والتعب عواقب حميدة إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي العقبى وَإِمَّا فيهمَا فأروح النَّاس أتعب النَّاس وأتعب النَّاس أروح النَّاس فالسيادة فِي الدُّنْيَا والسعادة فِي العقبى لَا يُوصل إِلَيْهَا إِلَّا على جسر من التَّعَب قَالَ يحيى بن أبي كثير لَا ينَال الْعلم براحة الْجِسْم.

ويعوده الانتباه آخر اللَّيْل فَإِنَّهُ وَقت قسم الْغَنَائِم وتفريق الجوائز فمستقل ومستكثر ومحروم فَمَتَى اعْتَادَ ذَلِك صَغِيرًا سهل عَلَيْهِ كَبِيرًا.

ويجنبه فضول الطَّعَام وَالْكَلَام والمنام ومخالطة الْأَنَام فَإِن الخسارة فِي هَذِه الفضلات وَهِي تفوت على العَبْد خير دُنْيَاهُ وآخرته ويجنبه مضار الشَّهَوَات الْمُتَعَلّقَة بالبطن والفرج غَايَة التجنب فَإِن تَمْكِينه من أَسبَابهَا والفسح لَهُ فِيهَا يُفْسِدهُ فَسَادًا يعز عَلَيْهِ بعده صَلَاحه وَكم مِمَّن أَشْقَى وَلَده وفلذة كبده فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة بإهماله وَترك تأديبه وإعانته لَهُ على شهواته وَيَزْعُم أَنه يُكرمهُ وَقد أهانه وَأَنه يرحمه وَقد ظلمه وَحرمه ففاته انتفاعه بولده وفوت عَلَيْهِ حَظه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَإِذا اعْتبرت الْفساد فِي الْأَوْلَاد رَأَيْت عامته من قبل الْآبَاء.

والحذر كل الحذر من تَمْكِينه من تنَاول مَا يزِيل عقله من مُسكر وَغَيره أَو عِشْرَة مَن يُخْشَى فَسَاده أَو كَلَامه لَهُ، أَو الْأَخْذ فِي يَده، فَإِن ذَلِك الْهَلَاك كُله وَمَتى سهل عَلَيْهِ ذَلِك فقد استسهل الدياثة، وَلَا يدْخل الْجنَّة ديوث، فَمَا أفسد الْأَبْنَاء مثل تَغَفُّل الْآبَاء وإهمالهم وَاسْتِهْلَالهم شَرَرَ النَّارِ بَين الثِّيَاب، فَأكْثر الْآبَاء يعتمدون مَعَ أَوْلَادهم أعظم مَا يعْتَمد

الْعَدو الشَّديد الْعَدَاوَة مَعَ عدوه وهم لَا يَشْعُرُونَ، فكم من وَالِد حرم وَالِده خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَعَرَّضَهُ لِهَلَاكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وكُلُّ هَذَا عواقب تَفْرِيط الْآبَاء فِي حُقُوق الله، وإضاعتهم لَهَا وإعراضهم عَمَّا أوجب الله عَلَيْهِم من الْعلم النافع وَالْعَمَل الصَّالح حرمهم الِانْتِفَاع بأولادهم وَحرم الْأَوْلَاد خَيرهمْ ونفعهم لَهُم هُوَ من عُقُوبَة الْآبَاء.

ويجنبه لبس الْحَرِير فَإِنَّهُ مُفسد لَهُ، وَشرب الْخمر وَالسَّرِقَة وَالْكذب وَقد قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يحرم الْحَرِير وَالذَّهَب على ذُكُور أمتِي وَأحل لإناثهم**».

وَالصَّبِيّ وَإِن لم يكن مُكَلّفا فَوَلِيه مُكَلّف لَا يحل لَهُ تَمْكِينه من الْمحرم فَإِنَّهُ يعتاده ويعسر فطامه عَنهُ وَهَذَا أصح قولي الْعلمَاء وَاحْتج من لم يره حَرَامًا عَلَيْهِ بِأَنَّهُ غير مُكَلّف فَلم يحرم لبسه للحرير كالدابة وَهَذَا من أفسد الْقيَاس فَإِن الصَّبِي وَإِن لم يكن مُكَلّفا فَإِنَّهُ مستعد للتكليف وَلِهَذَا لَا يُمكن من الصَّلَاة بِغَيْر وضوء وَلَا من الصَّلَاة عُريَانًا ونجسًا وَلَا من شرب الْخمر والقمار واللواط.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَن يعْتَمد حَال الصَّبِي وَمَا هُوَ مستعد لَهُ من الْأَعْمَال ومهيأ لَهُ مِنْهَا فَيعلم أَنه مَخْلُوق لَهُ، فَلَا يحملهُ على غَيرِ مَا كَانَ مَأْذُونا فِيهِ شرعا، فَإِنَّهُ إِن حمله على غير مَا هُوَ مستعد لَهُ لم يفلح فِيهِ، وَفَاته مَا هُوَ مُهَيَّأ لَهُ، فَإِذا رَآهُ حسن الْفَهم صَحِيح الْإِدْرَاك جيد الْحِفْظ واعيا فَهَذِهِ من عَلَامَات قبُوله وتهيئه للْعلم لينقشه فِي لوح قلبه مَا دَامَ خَالِيًا، فَإِنَّهُ يتَمَكَّن فِيهِ ويستقر ويزكو مَعَه وَإِن رَآهُ بِخِلَاف ذَلِك من كل وَجه وَهُوَ مستعد للفروسية وأسبابها من الرّكُوب وَالرَّمْي واللعب بِالرُّمْحِ وَأَنه لَا نَفاذ لَهُ فِي الْعلم وَلم يخلق لَهُ، مَكَّنَهُ من أَسبَاب الفُرُوسِيَّةِ والتَّمَرُّنِ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَنْفَع لَهُ وللمسلمين، وَإِن رَآهُ بِخِلَاف ذَلِك وَأَنه لم يخلق لذَلِك وَرَأى عينه مَفْتُوحَة إِلَى صَنْعَة من الصَّنَائِع، مستعدًا لَهَا، قَابلا لَهَا وَهِي صناعَة مُبَاحَة نافعة للنَّاس، فليمكنه مِنْهَا هَذَا كُله بعد تَعْلِيمه لَهُ مَا يحْتَاج إِلَيْهِ فِي دينه فَإِن ذَلِك ميسر على كل أحد لتقوم حجَّة الله على العَبْد فَإِن لَهُ على عباد الْحجَّة الْبَالِغَة كَمَا لَهُ عَلَيْهِم النِّعْمَة السابغة.

وَاللهُ أعلم[١]. اهـ بتصرف.

نسأل الله أن يصلح أحوالنا وأزواجنا وذرياتنا، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن. والحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالمِينَ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «تحفة المودود» (٢٤٠).

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ: مِن الأَخْطَاءِ فِي تَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ

الحمد لله الذي شهدت بوجوده آياته الباهرة ودلت على كرمه وجوده نعمه الباطنة والظاهرة، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة والرياح السائرة والسحب الماطرة والرياض الناضرة، أحمده على ما أولاه من النعم، وأشكره على ما كفاه من النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تفرد بالبقاء والقدم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الأمم، من العرب والعجم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فقد تقدم الحديث عن أهمية تربية الأبناء وأن تربية الأبناء مسؤولية عظيمة على كاهل الآباء.

وأحب أن أذكر ها هنا بعض الأخطاء التي تحصل من قبل الآباء والأمهات في تربية أبنائهم وهي كثيرة نذكر بعضًا من أهم تلك الأخطاء فمنها[(١)] :

١ـ أن يقتصر اهتمام بعض الوالدين على المظاهر فحسب؛ فيرى أن التربيةَ مقتصرةٌ على توفير الطعام الطيب، والشراب الهنيء، والكسوة الفخمة، والدراسة المتفوقة، ولا يدخل عندهم تنشئةُ الأولاد على التدين الصادق، والخلق الكريم.

٢ـ ومن الأخطاء في التربية: المبالغةُ في إحسان الظن بالأولاد؛ فتجد من الوالدين مَن لا يتفقَّد أولادَه، ولا يعرف عن أحوالهم، ولا أصحابهم شيئًا، وتراه لا يقبل فيهم كلام أحد، وذلك لفرط ثقته بأولاده، بل ربما دافع عنهم إذا شكاهم أحدٌ إليه.

وفي مقابل ذلك تجد من يبالغ في إساءة الظن بأولاده؛ فتراه يتهم نياتِهم، ولا يثق بهم البتة، ويشعرهم بأنه وراءهم في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يتغاضى عن شيء من هفواتهم أو زلاتهم.

---

(١) انظر: «دروس رمضان» للحمد.

٣ـ ومن مظاهر الخطأ في تربية الأولاد: التفريقُ بينهم، سواءٌ كان ذلك ماديًّا، أو معنويًّا؛ فهناك من يُفرِّق بين أولاده في العطايا، والهدايا، والهبات وهناك من يفرق بينهم بالملاطفة والمزاح، والمحبة، إلى غير ذلك من صور التفريق، التي تسبب شيوع البغضاء، وتبعث على النفور والتنافر.

٤ـ ومن مظاهر الخطأ في تربية الأولاد: تركُ المبادرة في تزويج الأبناء مع الحاجة والقدرة، وتأخيرُ تزويج البنات، والمتاجرة بهن، وطلب المهور الكثيرة فَلا يَقدرُ على ذلك الخُطَّابُ، وربما تقدم للزواج بهن بعض من لا خلاق له ولا دين فيزوجهن بغير الأكْفَاء وهذا من إضاعة الأمانة، والتسبب في شقاء الأولاد.

٥ـ ومن مظاهر التقصير في حق الأولاد: تسميتهم بأسماءٍ سيئة، أو مخالفة، فمن الناس من لا يأبه بذلك، فمنهم من يسمي ولده بالاسم القبيح؛ بحجة أن جدَّه فلانًا أو جدَّته فلانة تسميا بهذا الاسم؛ فهو يرى أن من البر أن يسمي بأسمائهم، ولو كانت غير مناسبة.

أو يسميهم بالأسماء الممنوعة شرعًا؛ ومن ذلك تسميتهم بالأسماء المعبدة لغير الله مثل: عبد النبي، أو عبد الحسين، أو نحو ذلك.

وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية، الخاصة باليهود والنصارى؛ لأن هذا يجر ولو على المدى البعيد إلى موالاتهم أو يسميهم بأسماء المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات واللاعبين ونحو ذلك فينشأ الطفل فيقال له اسمك مثل اسم فلان أو يقال للطفلة اسمك مثل فلانة فيحب أولئك الفسقة لأجل ذلك.

ومن الخطأ في التسمية تسميتهم بأسماء الجبابرة، والطواغيت.

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء التي يظن أنها من أسماء الله كالتسمية بـ«**عبد المقصود، وعبد الموجود، وعبد الستار**».

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء المكروهة أدبًا وذوقًا، كالأسماء التي تحمل في ألفاظها تشاؤمًا أو معانيَ تكرهها النفوس.

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء التي تسبب الضحك والسخرية، أو التي توحي بالتميع،

والغرام، وخدش الحياء.

٦ـ ومن صور التقصير في تربية الأولاد: مكثُ الوالدِ طويلًا خارجَ المنزل؛ خصوصًا إذا كان ذلك لغير حاجة؛ فهذا يعرِّض الأولاد للفتن، والمصائب، والانحراف، ويَحْرِمُ الأولادَ من النفقة والرعاية.

٧ـ ومن الخطأ في تربية الأولاد: الدعاءُ عليهم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاءً؛ فيستجيب لكم»** رواه مسلم.

٨ـ ومن مظاهر الخطأ في تربية الأولاد: تربيتهم على سفاسف الأمور، وسيئ العبارات، ومرذول الأخلاق، ومن ذلك: فعل المنكرات أمام الأولاد، وجلب المنكرات لهم في المنزل، والعهد للخادمات والمربيات بتربية الأولاد؛ خصوصًا إذا كُنَّ غيرَ مسلمات.

٩ـ ومما يتسبب في ضياع الأولاد وانحرافهم: كثرة المشكلات بين الوالدين، وترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم، ولا حاجة، والغفلةُ عما يقرؤه الأولاد، وقلةُ الاهتمام باختيار مدارس الأولاد، وقلةُ التعاون مع مدارسهم أو انعدامه بالكلية.

١٠ـ ومن الخطأ في تربية الأولاد: احتقارُهم، وتركُ تشجيعهم؛ فبعض الناس يَسْخَرُ كثيرًا بأولاده، ويشنِّع عليهم إذا أخطأوا، ويسكتهم إذا تكلموا؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه وأشدُّ صورِ السخرية أن يسخرَ بالولد إذا استقام على أمر الله، فتجد من الآباء من يَسْخَرُ بابنه إذا رآه مستقيمًا، مطبقًا للسنة، مقبلًا على العلم؛ فهذه السخرية قد تسبب انحراف الولد، فيكون عالة على والده، وسببًا لجر البلايا إليه، وما علم ذلك الوالد أنه هو الرابح الأول من صلاح ابنه في الدنيا والآخرة.

١٢ـ ومن الخطأ في التربية: تمكينهم مما يضرهم ويضر أخلاقهم، كالجوال دون مراقبة لهم، ولا معرفة من يتواصلون معهم، ولا ما يحملون بداخل ذلك الجهاز من شرور وبلاء، وأمور تخدش الحياء، وتوقع في الرذيلة والفحش، فما أكثر ما يحصل من وراء ذلك من بلايا ورزايا، وأمور منكرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه بعض مظاهر التقصير في تربية الأولاد، فماذا نؤمل بعد هذا الإهمال؟ وماذا سنحصد من جرّاء هذا التقصير؟

ومن هنا نعلم أي جناية نجنيها على الأولاد حين نقذف بهم إلى معترك الحياة في جو هذه التربية الخاطئة! ثم ما أسرعنا إلى الشكوى إذا رأيناهم عاقين متمردين، ونحن قد غرسنا بأيدينا بذور الانحراف!

نسأل الله تعالى أن يصلح أبناءنا وأزواجنا وذريتنا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا وانصر الإسلام وأهله واخذل الكفر وأهله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ: فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَبَيَانِ عُلُوِّ مَكَانَتِهِم

الحَمدُ للهِ الذِّي نوَّرا بِجميلِ هِدَايَتِهِ قُلوبَ أهلِ السَّعَادَةِ، وَطَهَّرَ بِكَرِيمِ ولايته أَفْئِدَةَ الصَادقينَ فَأَسكَنَ فيها وِدَادَهُ، شهد الله أنه لا إله إلا هو ووفق من شاء لهذه الشهادة، أحمده سبحانه على ما أولى من فضل وأفاده، وأشكره على إحسانه الذي لا أحصي تعداده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الحسنى وزيادة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الهادي إلى سبيل السعادة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوضح الله بهم حجج الدين وأحكام العبادة، وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الله تعالى يجتبي من يشاء من عباده ويختار من شاء من خلقه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وممن اختارهم الله تعالى واصطفاهم أصحاب نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإنهم خيره هذه الأمة بعد نبيها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **«قَالَ: " إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ»**. روَاهَ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

فاختار الله ﷻ لصحبة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الخاتم وللإيمان به خيرَ أَصْحَابِ الأَنبياءِ دِينًا وجِهادًا، وَعِلمًا وَتقْوَى فَكَانُوا أَنْصَارَهُ وَالمُجَاهِدينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَدَّمُوا أَنفُسَهم وَأَمْوَالَهم في سبيل الله، وأذلَّ الله بِهِم دُولَ الكفر كُلَّهَا في سَنَواتٍ قَليلَةٍ وَمَكَّنَ لهم في الأَرضِ، وَنَشَرَ بِهم الإِسْلَامِ في عَامَّة المَعمُورَةِ، وَدَخَلَ النَّاسُ في دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

وقد أثنى الله ﷻ على إيمانهم وجهادهم وإحسانهم في آيات كثيرة من كتابه منها قوله

تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فشهد لهم بالإيمان مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذه الآية من أعظم المدح لهم، والشهادة لهم بالإيمان، وإخلاص الدين لله، وأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وأنهم أهل طاعة وصلاة، وأنهم مَمْدُوحُون بِذَلكَ فِي التَّورَاةِ والإِنْجِيلِ، وأن أوائلهم هم بذرة الدين، ونبتة الإسلام التي كبرت وتفرعت حتى أصبحت شجرة الإسلام قوية باسقةً تستعصي على الرياح ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [الفتح: ١٨ – ١٩]. وهذه الآية نزلت في غزوة الحديبية، وكان الصحابة فيها ألفًا وأربعمائة رجل.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٧]. وهذه الآية نزلت في غزوة تبوك وكانوا ثلاثين ألفًا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

فهؤلاء الأصحاب الأطهار، والأخيار الأبرار، هم سادة هذه الأمة وعنوان مجدها، وسر خلودها، ونموذجها الفريد في الإيمان والجهاد والعمل الصالح، وهم أسوة الأمة وقدوتها،

ومنبعها الذي لا ينضب من المُثُل والعَطَاءِ والخَيرِ.

ولكل منهم من المناقب والفضل والسابقة ما هو محل القدوة والأسوة، ففيهم الذي أَنْفَقَ مَالَه كُلَّهُ في سَبِيلِ اللهِ، وفيهم الذي آثر ضيفه على نفسه، وأهله، وعياله، حتى عجب الرب من صنيعه من فوق سبع سموات، وفيهم الأبطال الصناديد فرسان الحروب، وفيهم رهبان الليل، وكلهم قد تحمل في سبيل الله ما لم تتحمله الجبال، وكلهم كان يفتدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبويه ونفسه وماله، وقد عظموا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبوه كما لم يُعظَّم عظيم قط أو يحب، ولم ينصر أتباع رسول رسولهم كما نصر أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومناقبهم وفضائلهم أكثر من أن تحصر.

وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو لهم، ويواسيهم ويزور مريضهم، ويتبع جنائزهم، ويسعى في حاجاتهم ويصلح بين المتخاصمين منهم، ويحوطهم كما يحوط الأب أبناءه وأعظم.

كيف لا وهو في الكتاب أولى بكل مؤمن من نفسه وهو أب لهم ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦]. وفي قراءة: «**وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ**».

وكان منهم بطانته وخاصته الذين يطلعهم على أسراره، ويشاورهم في أموره، فلا يخرج إلا وهو معهم، ولا يدخل إلا وهم معه، ولم يفارقوه في موقف شدة قط وأول هؤلاء هو الصديق الصادق، وأخو النبي في الدين وقريبه في النسب، تزوج رسول الله ابنته فكانت أعلم زوجاته، وأحب الناس جميعًا إليه كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما سئل: مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِليكَ؟ قال: «**عَائِشَةُ**». قال من الرِّجَالِ؟ قال: «**أَبُوهَا**» متفق عليه.

ولم يمت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ورأسه مسند إلى صدرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها وفي هذه الزوجة وسائر زوجاته الطاهرات المطهرات نزل قول الله تعالى: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ

ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣ – ٣٤].

ويلي أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الفضل بقية الخلفاء الراشدين، وهم عمر وعثمان وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فهم خير الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأفضلهم وأكرمهم، ثم بقية العشرة المُبَشَرِينَ بالجنَّة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُٱللَّهُ في «الشريعة» (١٦٣٨/٤): يقال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر، فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب علي بن أبي طالب، فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقد برئ من النفاق، ولكل واحد منهم من الفضائل ما لا يحصى كثرة، نفعنا الله بحبهم إنه سميع قريب.

ولما بشرهم الله ﷻ برضوانه، وتوبته عليهم، وشهد لهم بالإيمان والإحسان كان هذا بشرى لهم بالجنة كذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وبشر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجالًا منهم بأعيانهم بالجنة سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: **«عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ»** قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ **«سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»** رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

وعن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا يدخل النار أحد ممن بايع**

تحت الشجرة» رواه مسلم.

ولا شك أن من أخبر الله ﷻ أنه رضى عنهم فهم من أهل الجنة، ولا يمكن أن يكون من أعلن رضاه عنهم أنهم يرتدون ويكفرون.

ومن أجل هذا الفضل والإيمان والإحسان الذي كان لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب الله على كل مسلم يأتي بعدهم أن يعترف بفضلهم وأن يدعو الله لهم بالمغفرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

وأن يحبهم ويواليهم: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦].

وأن يعترف أنه لم يصبح مسلمًا إلا بفضل جهادهم وفتوحهم **«ولا يشكر الله من لا يشكر الناس»**.

وأن يتأسى بهم في جهادهم وصبرهم كما أرشدنا الله إلى ذلك حيث قال سبحانه في بيان صبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبرهم في غزوة الخندق: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [الأحزاب: ٢١ – ٢٣].

وفي هذه الآيات رفع الله من شأن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الصادقين، وأبان الصورة العظيمة التي كان عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الغزوة العصيبة من الصبر والإيمان والتوكل، فقد ربط صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر على بطنه من الجوع وكان ينقل التراب من الخندق، ويحفر مع أصحابه وكان واثقاً من نصر الله ثابت القلب بالرغم من تألب الأحزاب واجتماعهم جميعًا - قريش وغطفان وقريظة-، وثبت مع رسول الله أهل الإيمان

واليقين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقد عاهدوه على نصر رسوله والموت في سبيله.

وما ذكر الله لنا هذا إلا ليكون هؤلاء الأصحاب الأطهار الأقوياء في الدين قدوة لنا وأسوة، وأن نحبهم ونجلهم، ونثني على جهادهم وصبرهم.

ولا شك أنهم كانوا في العلم واليقين والفهم الصحيح للدين كما كانوا في الجهاد والبذل فكما أثنى الله سبحانه على جهادهم وصبرهم، أثنى على إيمانهم وإحسانهم وعبادتهم، ولا غرو فقد كانوا هم الفوج الأول الذي تلقى التعليم والتربية من فم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان القدوة المثلى، والمثل الكامل ماثلًا أمامهم ليس بينهم واسطة.

وقد قال فيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير الناس قرني**» فرضي الله عنهم وأرضاهم وحشرنا في زمرتهم.

اللَّهُمَّ احشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ: فَضْلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ

الحمدُ لِلهِ المتفردِ بالجلالِ والبقاء، والعظمةِ والكبرياء، والعزِّ الَّذِي لا يُرام، الواحد الأحدِ، الرب الصمدِ، المَلِكِ الَّذِي لا يحتاجُ إلى أحَد، الغنيِّ بذاتِه عن جميعِ مخلوقاتِه، فكلُّ مَنْ سواه مفتقرٌ إليه على الدَّوامَ، أحمده على نَعمِهِ الجِسام، وَأَشكُرُهُ وأسألُه حفظَ نعمةِ الإسلامِ، وأشْهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لاَ شريكَ لَهُ عَزَّ منْ اعتز به فلا يُضَام، وَذلَّ مَنْ تكبَّر عن طاعتِهِ ولَقِي الآثام، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الَّذِي بَيَّنَ الحلالَ والحرام، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، لَقَدْ نَزَل بكم عشرُ رمضانَ الأخيرةُ، فيها الخيراتُ والأجورُ الكثيرة، فيها الفضائلُ المشهورةُ والخصائصُ المذكورةُ.

فمنْ خصائِصها: أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يجتهدُ بالعملِ فيها أكثرَ مِن غيرها، ففي صحيح مسلم عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يجتهدُ في العَشْرِ الأواخِرِ ما لا يجتهدُ في غيره.

وفي الصحيحين عنها قالت: كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا دخلَ العَشرُ شَدَّ مِئزره وأحيا ليلَه وأيقظ أهلَه.

وفي المسند عنها قالت: كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَخْلِطُ العِشْرين بصلاةٍ ونومٍ فإذا كان العشرُ شمَّر وشدَّ المِئزرَ.

ففي هذه الأحاديث دليلٌ على فضيلةِ هذه العشرِ، لأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يجتهدُ فيها أكثر مما يجتهدُ في غيرِها وهذا شاملٌ للاجتهادِ في جميع أنواع العبادةِ من صلاةٍ وقرآنٍ وذكرٍ وصدقةٍ وغيرِها؛ ولأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يَشدُّ مئزرَه يعْني يعتزلُ نساءَه ليتفرَّغَ للصلاةِ والذكرِ، ولأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يُحْيِي لَيلَهُ بالقيامِ والقراءةِ والذكرِ بقلبه ولسانِه وجوارِحِه لِشَرفِ هذه الليالي وطلباً لليلةِ الْقَدْرِ التي مَنْ قامها إيمانَاً واحتساباً غَفَرَ اللهُ له ما تقدمَ من ذنبه.

وظاهِرُ هذا الحديثِ أنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُحْيِي الليلَ كلَّه في عبادةِ ربِّه مِنَ الذكرِ والقراءةِ

والصلاةِ والاستعدادِ لذلِكَ والسحورِ وغيرها، وبهذا يحْصُلُ الجمْعُ بَيْنَه وبينَ مَا في صحيح مسلمٍ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما أعْلَمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ ليلةً حتى الصباحِ، لأنَّ إحياءَ الليل الثَّابتَ في العشرِ يكونُ بالقيامِ وغيرِه مِنْ أنْواعِ العبادةِ والَّذِي نَفَتْه إحياءُ الليلِ بالقيامِ فَقَطْ. والله أَعلم.

وممَّا يدُلُّ على فَضيلةِ العشرِ من هذه الأحاديث أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُوقِظُ أهلَه فيها للصلاةِ والذكرِ حِرْصًا على اغتنام هذه الليالِي المباركةِ بِما هي جديرةٌ به من العبادةِ فإنَّها فرصةُ الْعُمرِ وغنيمةُ لمنْ وفَّقه الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا ينبغِي للمؤمن العاقلِ أنْ يُفَوِّت هذه الفرصةَ الثمينةَ على نفسِه وأهلِه فما هي إلاَّ ليَالٍ معدودةٌ ربَّمَا يدركُ الإنسانُ فيها نفحةً من نَفَحَاتِ المَوْلَى فتكونُ سعادةً له في الدنيا والآخرةِ.

وإنه لمِنَ الحرمانِ العظيمِ والخسارةِ الفادحةِ أنْ تَرى كثيراً مِنَ المسلمينَ يُمْضُونَ هذه الأوقاتَ الثمينة فيما لا ينفعُهم، يَسْهَرُونَ مُعْظَمَ الليلِ في اللَّهوِ الباطلِ، فإذا جاء وقتُ القيام نامُوا عنه وفوَّتُوا على أنفسهم خيراً كثيراً لعَلَّهُمْ لا يَدركونَه بعد عامِهم هَذَا أبَداً، وهذا من تلاعُبِ الشيطانِ بِهم ومَكْرِهِ بهم وصَدِّهِ إياهُم عن سبيلِ الله وإغْوائِهِ لهم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

والعاقلُ لا يتخذُ الشيطانَ وليًّا من دَونِ الله مع عِلْمِهِ بعَدَاوَتِهِ لَهُ فإنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ للعقل والإيمانِ.

قَالَ الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

ومن خصائص هذه العشر: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعْتَكِفُ فيهَا، والاعتكافُ: لُزُومُ المسجِد للتَّفَرُّغِ لطاعةِ الله عَزَّ وَجَلَّ وهو من السنن الثابتة بكتاب الله وسنةِ رسولِه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقد اعتكفَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتَكَفَ أصحابُه معه وبعْدَه، فَعَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتَكَفَ العشرَ الأوَّلَ من رمضانَ ثم اعتكف العشر الأوسْط ثم قال: **«إني اعتكِفُ العشرَ الأوَّل الْتَمِسُ هذه الليلةَ، ثم أُعْتكِفُ العشرَ الأوسطَ، ثم أُتِيْتُ فقيل لي: إنها في العشرِ الأواخرِ، فمن أحبَّ منكم أنْ يعتكِفَ فَلْيَعْتكفْ»** رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكفُ العشرَ الأواخرِ مِنْ رمضانَ حتى توفاه الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم اعتكف أزواجُه مِن بعدِه.

وفي صحيح البخاريِّ عنها أيضًا قالت: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكفُ في كلِّ رمضانَ عشرةَ أيامٍ، فلما كان العامُ الذي قُبِضَ فيه اعتكفَ عشرين يومًا.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكِف العشرَ الأواخرَ مِن رمضانَ، فلم يعتكفْ عامًا، فلما كان العامُ المقبلُ اعتكفَ عشرينَ. رواه أحمد والترمذي وصححه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرادَ أن يعتكفَ صلَّى الفجرَ ثم دخل مَعْتَكَفَهُ فاستأذنَته عائشةُ، فإذِنَ لها، فضربتْ لها خِبَاءً، وسألت حفصة عائشةَ أنْ تستأذن لها، ففعلتْ، فضربتْ خِبَاءً، فلما رأتْ ذلك زينبُ أمَرَتْ بخباءٍ فضُرِبَ لها، فلما رأى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأخْبِيَة قال: **«ما هَذا؟»** قالوا: بناءُ عائشةَ وحفصةَ وزينبَ. قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آلبِرَّ أردْنَ بِهذا؟ انْزعُوها فلا أراها»**.

فنزعَتْ وترَك الاعتكاف في رمضانَ حتى اعتكف في العشر الأول من شوَالٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا أعْلَمُ عن أحدٍ من العلماءِ خلافًا أنَّ الاعتكافَ مَسْنونٌ. ويأتي الكلام على أحكام الاعتكاف.

ومن خصائِص هذه العَشْر: أنَّ فيها ليلةَ الْقَدْرِ التي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ فاعْرفوا رحمكم الله لهذه العشر فَضْلَها ولا تضيِّعُوها، فوَقْتُها ثمينٌ وخيرُها ظاهِرٌ مبينٌ.

اللَّهُمَّ وفقْنَا لِمَا فيهِ صلاحُ دينِنا ودنيانَا، وأحْسِنْ عاقَبَتَنا وأكْرِمْ مثَوانا، واغفر لنَا ولوالِدِينَا ولجميع المسلمينَ برحمتِك يا أرحمَ الراحمينَ وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍّ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.

الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ: فِي الاجْتِهَادِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ وَ تَحَرِّي لَيْلَةِ القَدْرِ

الحمدُ لله عالمِ السِّر والجهر، وقاصِمِ الجبابرةِ بالعزِّ والقهر، مُحْصِي قطراتِ الماءِ وهو يَجْرِي في النَّهْر، موفِّر الثواب للعابدِينَ ومكملِّ الأجْر، العَالِمِ بخَائِنَةِ الأعينِ وخافية الصدر، أغنى وأفْقَرَ وبحِكْمَتِهِ وقوع الغِنَى والفَقر، وفَضَّل بعضَ المخلوقاتِ على بعض حتى أوقاتَ الدَّهر، لَيلةُ القدْر خيرٌ مِنْ ألفِ شهر، أحمدُه حمداً لا مُنتَهى لعَدَدِه، وأشكره شكرًا يسْتجلِبُ المزيدَ من مَددِه، وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريكَ له شهادةَ مخْلِص في مُعْتَقَده، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الَّذِي نَبع الماءُ منْ بينَ أصابع يدِه صلى الله عليه وعلى آله وسلّم. **أما بعد:**

إخــواني، في هذِه العشرِ المباركة ليلةُ القَدْرِ الَّتِي شرَّفها الله على غيرها، ومَنَّ على هذه الأمة بجزيل فضلها وخيرها، أشادَ الله بفضلها في كتابة المبين فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان: ٣ – ٨]. وصفَها الله سبحانَه بأنها مباركةٌ لكَثْرةِ خيرِها وبَركتِها وفضلها، فمِن بركتها أنَّ هذا القرآنَ المبارك أُنْزِلَ فيها ووصَفَها سبحانَه بأنه يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيم، يعني يفصَل من اللوح المحفوظِ إلى الْكَتَبةِ ما هو كائنٌ مِنْ أمرِ الله سبحانَه في تلك السنةِ من الأرزاقِ والآجالِ والخير والشرِّ وغير ذلك من كلِّ أمْرٍ حكيمٍ من أوامِر الله المُحْكَمَةِ المتْقَنَةِ التي ليس فيها خَلَلٌ ولا نقصٌ ولا سَفَهٌ ولا باطلٌ ذلك تقديرُ العزيز العليم.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر: ١ – ٥].

الْقَدرُ بمعنَى الشرفِ والتعظيم أوْ بمعنى التقديرِ والقضاءِ؛ لأنَّ ليلةَ القدر شريفةٌ عظيمةٌ، يُقَدِّرُ الله فيها ما يكون في السَّنَةِ وَيَقْضِيهِ مِن أُمُورِهِ الحكيمةِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ

﴿مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني في الفضل والشرفِ وكثرةِ الثواب والأجر ولذلك كانَ مَنْ قامَهَا إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ الملائكة عبادٌ من عباد الله قائمون بعبادته ليلًا ونهارًا ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة ﴿وَالرُّوحُ﴾ هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خصَّه بالذكر لشرفه وفضله.

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ يعني أن ليلة القدر ليلةُ سلامَ للمؤمنين من كل مخوف لكثرة من يعتقُ فيها من النار، ويَسْلمُ مِنْ عذابِها.

﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني أن ليلة القدرِ تنتهي بطلوعِ الفجرِ لانتهاءِ عملِ الليلِ به، وفي هذه السورةِ الكريمةِ فضائلُ متعددةٌ لليلةِ القدرِ:

الفضيلةُ الأولى: أن الله أنزلَ فيها القرآنَ الَّذِي بِهِ هدايةُ البشرِ وسعادتُهم في الدُّنيا والآخرة.

الفضيلةُ الثانيةُ: ما يدُل عليه الاستفهامُ من التفخيم والتعظيم في قولِه: ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

الفضيلةُ الثالثةُ: أنَّها خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ.

الفضيلةُ الرابعةُ: أنَّ الملائكةَ تتنزلُ فيها وهُمْ لا ينزلونَ إلاَّ بالخيرِ والبركةِ والرحمةِ.

الفضيلةُ الخامسةُ: أنها سَلامٌ لكثرةِ السلامةِ فيها من العقابِ والعذابِ بما يقوم به العبدُ من طاعةِ الله ﷻ.

الفضيلة السادسةُ: أنَّ الله أنزلَ في فضلِها سورةً كاملةً تُتْلَى إلى يومِ القيامةِ.

ومن فضائل ليلةِ القدرِ ما ثبتَ في الصحيحين من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: **«من قَامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه»**.

فقوله: «**إيمانًا واحتسابًا**» يعني إيمانًا بالله وبما أعدَّ اللهُ من الثوابِ للقائمينَ فيهَا واحتسابًا للأجرِ وطلب الثواب.

وهذا حاصلٌ لمنْ علِمْ بها ومَنْ لم يعلَمْ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَشْترطِ العلمَ بهَا في حصولِ هذا الأجر.

وليلةُ القدرِ في رمضانَ، لأنَّ الله أنزلَ القرآنَ فيهَا وقد أخْبَرَ أنَّ إنزالَه في شهرِ رمضانَ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]. وقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فبهذا تَعَيَّن أنْ تكونَ ليلةُ القدرِ في رمضانَ.

وليلةُ القَدْر في العشر الأواخر من رمضانَ لقول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَحَرَّوا ليلةَ القدرِ في العشرِ الأواخر من رمضانَ**» متفقٌ عليه.

وهي في الأوْتار أقْرب من الأشفاع لقولِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تحروا ليلةَ القدرِ في الْوِترِ من العشرِ الأواخر من رمضان**» رواه البخاري.

وهي في السَّبْعِ الأواخرِ أقْرَبُ، لحديث ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رجالًا من أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرُوا ليلةَ القدرِ في المنام في السبع الأواخر فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أرَى رُؤياكُمْ قد تواطأت ـ يعني اتفقت ـ في السبعِ الأواخرِ فمن كانَ مُتَحرِّيَها فَلْيتحَرَّها في السبعِ الأواخرِ**» متفق عليه. ولمسلم عنه: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**التمِسُوَها في العشر الأواخر ـ يعني ليلةَ القدْرِ ـ فإن ضعف أحدُكم أو عجز فلا يُغْلَبَنَّ على السبعِ البواقِي**».

وأقربُ أوْتارِ السبعِ الأواخرِ ليلةُ سبعٍ وعشرينَ لحديثِ أبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**والله لأعلم أيُّ ليلةٍ هي الليلةُ التي أمرنا رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بقيامِها هي ليلةُ سبعٍ وعشرينَ**» رواه مسلم.

ولا تَخْتَصُّ ليلةُ القدرِ بليلةٍ معينةٍ في جميعِ الأعوامِ بل تَنتَقِّلُ فتكونُ في عامٍ ليلةَ سبع وعشرينَ مثلًا وفي عام آخرَ ليلة خمسٍ وعشرينَ تبعًا لمشيئةِ الله وحكمتِه، ويدُلُّ على ذلك

قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْتَمِسُوها في تاسعةٍ تبقى في سابعةٍ تبقَى في خامسةٍ تبقَى»** رواه البخاري.

قال في فتح الباري: أرجح الأقوال أنها في وترٍ من العشرِ الأخيرِ وأنها تَنْتَقِلُ. اهـ

وقد أخفَى الله سبحَانه عِلْمَها على العبادِ رحمةً بهم ليَكْثُر عملُهم في طلبها في تلك الليالِي الفاضلةِ بالصلاةِ والذكرِ والدعاءِ فيزدادُوا قربةً من الله وثواباً، وأخفاها اختبارًا لهم أيضًا ليتبينَ بذلك مَنْ كانَ جادًّا في طلبها حريصًا عليها مِمَّنْ كانَ كسلانَ متهاونًا، فإنَّ مَنْ حرصَ على شيءٍ جدَّ في طلبِه وهانَ عليه التعبُ في سبيلِ الوصولِ إليهِ والظَفر به، وربَّما يظهرُ اللهُ عِلْمَهَا لبعضِ الْعبَادِ بأماراتٍ وعلاماتٍ يرَاهَا كما رأى النَبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامتَها أنه يسجُدُ في صبيحتِها في ماءٍ وطينٍ فنزل المطرُ في تلك الليلةِ فسجد في صلاةِ الصبحِ في ماءٍ وطينٍ.

إخـــواني، ليلةُ القدرِ يُفْتح فيها الْبَاب، ويقرَّبُ فيها الأحْبَابُ، ويُسْمَع الخطابُ، ويردُّ الجواب، ويُكْتَبُ للعاملينَ فيها عظيمُ الأجرِ، ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شَهْر، فاجتهدُوا رحمكم الله في طلبِها، فهذَا أوانُ الطَّلب، واحذَرُوا من الغفلةِ ففي الغفلة العَطَب.

تَـــــوَلَّى العُمُـــــر في ســـــهو ... وفي لَهْـــــوٍ وفي خُسْـــــر

فيـــا ضـــيعةَ مـــا أَنْفَقْـــ ... ـــتُ في الأيام مـــن عُمْـــري

ومـــا لِي في الَّـــذِي ضيَّعْـــ ... ـــتُ مـــن عمـــريَ مـــن عُـــذْرِ

فمـــا أغْفَلَنَـــا عـــن واجبـــ ... ـــاتِ الحمـــدِ والشـــكرِ

أَمَـــا قـــد خَصَّـــنا اللهُ ... بشـــهرٍ أيِّمـــا شـــهرِ

بشـــهرٍ أنْـــزَلَ الرحمـــ ... ـــنُ فيـــهِ أشـــرفَ الـــذِّكْرِ

وهـــل يُشـــبِهُه شـــهرٌ ... وفيـــه ليلـــةُ القـــدرِ

فكـــمْ مِـــنْ خَـــيرٍ صَـــحَّ ... بمـــا فِيهـــا مـــن الخـــيرِ

رَوَيْنَـــا عـــن ثقـــاتٍ أنَّهـــ ... ـــا تُطْلَـــبُ في الـــوِترِ

فطُـــوبى لامْـــرئٍ يطلُبهـــا ... في هِـــذِه العَشـــرِ

فَفِيْهَـــــا تنـــــزلُ الأمـــــلاكُ بالأنـــــــــوار والـــــــــبرِ
وقـــــد قَـــــالَ ســـــلامٌ هـــــيَ حـــــتى مَطْلـــــعِ الفجـــــرِ
ألاَ فادَّخِروهـــــــــا إنّـــــــــ ـــــــها مـــــن أنْفَـــــسِ الـــــذُّخرِ
فكـــــمْ مِـــــنْ مُعْتَـــــقٍ فيهـــــا مـــــن النـــــارِ ولا يَـــــدْرِي

اللَّهُمَّ اجْعلْنَا ممن صامَ الشهر، وأدركَ ليلةَ القدرِ، وفاز بالثوابِ الجزيلِ الأجرِ.

اللَّهُمَّ اجْعلْنَا من السابقينَ إلى الخيراتِ، المُتَجَنِّبِينَ للمنكَرات، الآمنينَ في الغرفات، مع الَّذِينَ أنعمتَ عليهم وَوَقَيْتَهُمْ السيئاتِ، اللَّهُمَّ أعِذْنا من مُضلاَّتِ الفتنِ، وجنبنا الفواحشَ ما ظهَرَ منها وما بطَن.

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا شكرَ نعمتِك وحسنَ عبادتكَ، واجْعلْنَا من أهل طاعتِك وولايتك، وآتنا في الدنيا حسنةً وفي الاخرة حسنةً وقنَا عذَابَ النار، واغفر لنَا ولوالِدِينا ولِجميع المسلمينَ برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنَا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ: الاعْتِكَافُ

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم للطاعات، وشرع لهم أنواعًا من العبادات، تجلب لهم الأجور والمثوبات، له الحمد على أنواع التفضلات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فإن من أجل العبادات التي شرعها الله لعباده في هذا الشهر المبارك عبادة الاعتكاف، ولقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص على هذه العبادة كل عام كما سيأتي وهي عبادة ليست بالأمر الهين.

قال ابن شعبان المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ في **«الزاهي»** (٢١٥): وللاعتكاف شرطٌ شديدٌ لا يقدر عليه إلا من له عزم من الناس. **قال مالك:** ما رأيت أحدًا اعتكف ببلدنا غير أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. اهـ

والاعتكاف عبادة عظيمة يخلو العبد فيها مع ربه، فيزكو قلبه بذلك.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَمِّ شَعَثِهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعَثَ الْقَلْبِ لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَفُضُولُ الْمَنَامِ، مِمَّا يَزِيدُهُ شَعَثًا، وَيُشَتِّتُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضْعِفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ، اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصَّوْمِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْمُعَوِّقَةِ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرْعِهِ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ، بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ.

وَشَرَعَ لَهُمُ الِاعْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْوَةُ بِهِ، وَالِانْقِطَاعُ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ الْقَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ بَدَلَهَا، وَيَصِيرُ الْهَمُّ كُلُّهُ بِهِ، وَالْخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أُنْسُهُ بِاللَّهِ

بَدَلًا عَنْ أُنْسِهِ بِالْخَلْقِ، فَيَعُدُّهُ بِذَلِكَ لِأُنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا أَنِيسَ لَهُ، وَلَا مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الِاعْتِكَافِ الْأَعْظَمِ... كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَرَكَهُ مَرَّةً، فَقَضَاهُ فِي شَوَّالٍ.

وَاعْتَكَفَ مَرَّةً فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ الْأَوْسَطِ، ثُمَّ الْعَشْرِ الْأَخِيرِ يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ، فَدَاوَمَ عَلَى اعْتِكَافِهِ حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكَانَ يَأْمُرُ بِخِبَاءٍ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَخْلُو فِيهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الِاعْتِكَافَ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ دَخَلَهُ، فَأَمَرَ بِهِ مَرَّةً، فَضُرِبَ فَأَمَرَ أَزْوَاجُهُ بِأَخْبِيَتِهِنَّ، فَضُرِبَتْ، فَلَمَّا صَلَّى الْفَجْرَ نَظَرَ فَرَأَى تِلْكَ الْأَخْبِيَةَ، فَأَمَرَ بِخِبَائِهِ فَقُوِّضَ، وَتَرَكَ الِاعْتِكَافَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ.

وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ سَنَةٍ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانَ يُعَارِضُهُ جِبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ عَارَضَهُ بِهِ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَيْضًا فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَعَرَضَ عَلَيْهِ تِلْكَ السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ.

وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ دَخَلَ قُبَّتَهُ وَحْدَهُ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ فِي حَالِ اعْتِكَافِهِ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ، وَكَانَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى بَيْتِ عائشة، فَتُرَجِّلُهُ، وَتَغْسِلُهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ حَائِضٌ، وَكَانَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ. فَإِذَا قَامَتْ تَذْهَبُ قَامَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا، وَلَمْ يُبَاشِرِ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ لَا بِقُبْلَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ، وَوُضِعَ لَهُ سَرِيرُهُ فِي مُعْتَكَفِهِ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ مَرَّ بِالْمَرِيضِ وَهُوَ عَلَى طَرِيقِهِ، فَلَا يَعْرُجُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ. وَاعْتَكَفَ مَرَّةً فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ، وَجَعَلَ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرًا، كُلُّ هَذَا تَحْصِيلًا لِمَقْصُودِ الِاعْتِكَافِ وَرُوحِهِ، عَكْسُ مَا يَفْعَلُهُ الْجُهَّالُ مِنِ اتِّخَاذِ الْمُعْتَكَفِ مَوْضِعَ عِشْرَةٍ وَمَجْلَبَةٍ لِلزَّائِرِينَ، وَأَخْذِهِمْ بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَهُمْ، فَهَذَا

لَوْنٌ، وَالِاعْتِكَافُ النَّبَوِيُّ لَوْنٌ. وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ [(١)]. اهـ

اللّٰهُمَّ وفقنا لما تحب وترضى وثبتنا على الحق حتى نلقاك، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

(١) «زاد المعاد» (٢/٨٢).

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ: آدَابُ الاعْتِكَافِ

الحمد لله الذي شرع الشرائع وأحكم الأحكام، وبيَّن الحلال والحرام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد:**

فهذه جملةٌ من الآداب يحسن بالمعتكفين مراعاتُها، والأخذُ بها؛ ليكون اعتكافُهم كاملًا مقبولًا بإذن الله[(١)]:

أولًا: استحضارُ النيَّةِ الصالحةِ، واحتسابُ الأجر على الله ﷻ.

ثانيًا: استشعارُ الحكمةِ من الاعتكاف، وهي الانقطاع للعبادة، وجَمْعِيَّةُ القلب على الله ﷻ.

ثالثًا: ألا يخرج المعتكفُ إلاَّ لحاجته التي لا بد منها، والخروج على ثلاثة أقسام:

الأوَّلُ: الخروجُ لأمرٍ لا بُدَّ منه طبعاً أوْ شرعاً كقضاءِ حاجةِ البولِ والغائِط والوضوءِ الواجبِ والغُسْلِ الواجِب لجنابَةٍ أوْ غيرها والأكلِ والشربِ فهذا جائزٌ إذا لم يُمْكنْ فعْلُهُ في المسجدِ فإنْ أمكنَ فِعْلُه في المسجدِ فلاَ.

مثلُ أنْ يوجد حَمَّامٌ تابع للمسجدِ يمكنُه أنْ يقضيَ حاجتَه فيه وأن يغتسلَ فيه، أوْ يَكونَ له من يأتِيْهِ بالأكِل والشربِ فلا يخرجُ حينئذٍ لعدمِ الحاجة إليه.

الثاني: الخروج لأمْر طاعةٍ لا تجبُ عليهِ كعيادةِ مريضٍ وشهودِ جنازةٍ ونحو ذلك فلا يفعله.

الثالث: الخروجُ لأمْرٍ ينافي الاعتكافَ كالخروج للبيع والشراءِ وجماعِ أهْلِهِ ومباشرتِهم ونحو ذلك. فهذا الخروج ينافي الاعتكاف ويبطله.

---

(١) «دروس رمضان» للحمد. بتصرف وزيادة.

رابعًا: المحافظةُ على أعمال اليوم والليلة من سنن وأذكار مطلقة ومقيَّدة، كالسنن الرواتب، وسنَّة الضحى، وصلاة القيام، وسنَّة الوضوء، وأذكار طرفي النهار، وأذكار أدبار الصلوات، وإجابة المؤذن، ونحو ذلك من الأمور التي يحسن بالمعتكف ألا يفوته شيء منها.

خامسًا: الحرصُ على الاستِيقاظ من النوم قبل الصلاة بوقتٍ كاف، سواء كانت فريضة، أو قيامًا؛ لأجل أن يتهيأ المعتكف للصلاة، ويأتِيَها بسكينة ووقار، وخشوع.

سادسًا: الإكثار من النوافل عمومًا، والانتقالُ من نوع إلى نوع آخر من العبادة؛ لأجل ألا يدبَّ الفتور والملل إلى المعتكف؛ فَيُمْضِيَ وقته بالصلاة تارة، وبقراءة القرآن تارة، وبالتسبيح تارة، وبالتهليل تارة، وبالتحميد تارة، وبالتكبير تارة، وبالدعاء تارة، وبالاستغفار تارة، وبالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تارة، وبـ: لا حول ولا قوة إلا بالله تارة، وبالتدبُّر تارة، وبالتفكُّر تارة، وهكذا...

سابعًا: اصطحاب بعض كتب أهل العلم، وخصوصًا التفسير؛ حتى يستعانَ به على تدبُّر القرآن.

ثامنًا: الإقلال من الطعام، والكلام، والمنام؛ فذلك أدعى لرقَّة القلب، وخشوع النفس، وحفظ الوقت، والبعد عن الإثم.

تاسعًا: الحرص على الطهارة طيلة وقت الاعتكاف.

عاشرًا: يحسن بالمعتكفين أن يتواصوا بالحق، وبالصبر، وبالنصيحة، والتذكير، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، والإيقاظ من النوم، وأن يَقْبَل بعضُهم من بعض.

وبالجملة فليحرص المعتكف على تطبيق السنَّة، والحرص على كل قربة، والبعد عن كل ما يفسد اعتكافه، أو ينقص ثوابه.

ملحوظات حول الاعتكاف:

أولًا: كثرةُ الزياراتِ وإطالتُها من قبل بعض الناس لبعض المعتكفين، وينتجُ عن ذلك كثرةُ حديثٍ، وإضاعةُ أوقات.

ثانيًا: كثرةُ الاتِّصالات والمراسلات عبرَ الجوال بلا حاجة، وهذه المراسلات عبر

الواتساب وغيره، مما تنافي مقصود الاعتكاف.

ثالثًا: المبالغةُ في إحضار الأطعمة؛ وذلك يفضي إلى ثِقَلِ العبادة، وإيذاءِ المصلين برائحة الطعام؛ فالأولى للمعتكف أن يقتصد في ذلك.

رابعًا: كثرةُ النومِ، والتثاقلُ عند الإيقاظ، والإساءةُ لمن يوقِظُ من قبل بعض المعتكفين، بدلًا من شكره، والدعاء له.

خامسًا: إضاعةُ الفرصِ؛ فبعضُ المعتكفين لا يبالي بما يفوته من الخير، فتراه لا يتحرى أوقات إجابة الدعَاء، ولا يحرص على اغتنام الأوقات، بل ربما فاته بسبب النوم أو التكاسل بعضُ الركعاتِ أو الصلوات.

سادسًا: أن بعض الناس يشجع أولاده الصغار على الاعتكاف، وهذا أمرٌ حسن، ولكنْ قد يكون الأولادُ غيرَ متأدبين بأدب الاعتكاف، فيحصل منهم أذية، وإزعاج، وجلبةٌ وكثرةُ مزاح وكلام، وخروج من المسجد، ونحو ذلك فإذا كان الأمر كذلك فبيوتهم أولى لهم.

نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن ينصر الحق وأهله ويخذل الباطل وأهله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ: فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ [١]

الحمدُ لله القويِّ المتين، القاهرِ الظاهرِ الملكِ الحقِّ المبين، لا يخفى على سمعِه خفيُّ الأنينِ، ولا يعزُب عن بصرِه حركاتُ الجنِين، ذلَّ لكبريائِه جبابرةُ السلاطين، وَقَضى القضاءَ بحكمتِه وهو أحْكَمُ الحاكمين، أحمده حمْدَ الشاكِرين، وأسْألُه مَعُونَةَ الصابِرين، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له إلهُ الأوَّلين والآخرين، وأشَهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المصطَفَى على جميع المرسلين، المنصورُ ببَدرٍ بالملائِكةِ المنزَلين، صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابه والتابِعين لهم بإحْسانٍ إلى يومِ الدين، وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، في هذا الشهرِ المُباركِ نصرَ الله المسلمينَ في غزوة بدرٍ الْكُبْرى على أعْدَائِهم المُشرِكينَ وسَمَّى ذلك اليومَ يومَ الفُرْقانِ؛ لأنَّه سبحانه فرَّقَ فيه بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ بنَصْر رسولِهِ والمؤمنين وخَذْلِ الكفارِ المشركِين.

كان ذلك في شهر رمضانَ من السَّنَةِ الثانية من الهِجْرةِ، وكان سببُ هذه الغزوة أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أنَّ أبا سفيانَ قد توجَّه من الشامِ إلى مكةَ بعيْرِ قريشٍ، فَدَعَا أصحابَه إلى الخروج إليه لأخْذِ العِيْرِ، لأنَّ قُريشًا حَربٌ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِه ليس بَيْنَه وبينَهم عهْدٌ، وقد أخْرَجوهم من ديارِهم وأموالِهم وقامُوا ضِدَّ دعوتِهم دعوةِ الحقِّ، فكانُوا مُسْتَحقِّين لما أرادَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه بِعِيْرِهم.

فخرجَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه في ثَلاثِمائةٍ وبضعةَ عَشَرَ رجُلًا على فَرسَين وسَبْعِين بَعِيرًا يتعقبونها منهم سَبْعون رجُلًا من المُهَاجرين، والباقُون مِن الأنصارِ، يَقْصُدونَ الْعِيْرَ لا يريدونَ الْحَرْبَ، ولَكنَّ الله جمَعَ بينهم وبينَ عَدُوِّهم على غيرِ ميْعاد لِيَقْضيَ الله أمرًا كان مفعولًا ويتمَّ ما أرَاد.

---

(١) «مجالس شهر رمضان» ص(١٢٥).

فإن أبا سفيانَ عَلِمَ بهم فبعثَ صارخًا إلى قُريشٍ يَستنجدُهم لِيحْمُوا عِيْرَهُمْ، وتَركَ الطريقَ المعتادةَ وسلكَ ساحلَ البحرِ فَنَجا.

أما قريشٌ فإنَّه لما جاءهم الصارخُ خَرجُوا بأشْرافِهِم عن بَكْرَةِ أبِيهم في نحو ألفِ رجلٍ معهم مئةُ فرسٍ وسبعُمائة بَعِيرٍ ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

ومَعهَم الْقِيَانُ يُغَنِّينَ بهجاءِ المسلمينَ، فلما عَلِمَ أبو سفيانَ بخروجِهم بعثَ إليهم يُخْبرهُم بِنَجَاتِه، ويُشير عليهِم بالرجوعِ وعدم الْحَربِ، فأبَوْا ذلك، وقال أبُو جهلٍ: والله لا نرجعُ حتى نبلُغَ بدرًا ونُقِيمُ فيه ثَلاثًا، نَنْحَرُ الجُزُورَ، ونُطْعِمُ الطعامَ، ونسقِي الْخَمْرَ، وتسمعُ بنا العَرَبُ فلا يَزالون يهابونَنَا أبدًا.

أمَّا رسولُ الله ﷺ فإنه لما عَلِمَ بخروجِ قريشٍ جمعَ من معه من الصحابةِ فاستشارَهم، وقال: **«إن الله قدْ وَعَدَني إحْدى الطائفتين إمَّا العيرَ أو الجيشَ»**، فقام المِقْدَادُ بنُ الأسْودِ وكَان من المُهاجِرينَ وقالَ: يا رسول الله امْض لما أمرَكَ الله ﷻ فوَ الله لا نقُولُ كما قالتْ بنو إسْرائيلَ لمُوسى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكِنْ نقاتلُ عن يمينِك وعن شمالِك ومن بَيْنَ يَدَيْكَ ومن خَلْفِك، وقام سعدُ بنُ مُعَاذٍ الأنْصاريُّ سيِّدُ الأوْس فقال: يا رسول الله لعلَّكَ تَخْشَى أنْ تكونَ الأنصارُ تَرَى حقًا عليها أن لا تَنصُرَكَ إلاَّ في ديارِهم، وإني أقُولُ عن الأنْصارِ وأجيبُ عنهم فامْضَ حيثُ شئتَ، وصِل حبل مَنْ شئتَ، واقطعْ حبْلَ مَنْ شئتَ، وخذْ من أموالِنا ما شئتَ، وأعطِنا منها ما شئتَ، ومَا أخَذْتَ منَّا كان أحَبَّ إلينا مما تركتَ، وما أمَرت فيه من أمْرٍ فأمْرُنا فيه تَبَعٌ لأمْرك، فو الله لَئِن سِرْتَ بنا حتى تبلُغَ الْبركَ من غَمْدانَ لنَسيرنَّ معك، ولئن اسْتعرضتَ بنا هذا البَحْرَ فخضْتَه لنخُوضَنَّه معك، وما نَكرَهُ أنْ تكونَ تَلَقَى العدوَّ بنا غدًا، إنَّنا لصبرٌ عند الْحَربِ، صِدْقٌ عند اللِّقاءِ، ولعلَّ الله يُريكَ منا ما تَقَرُّ به عَيْنُك.

فسُرَّ النبيُّ ﷺ لما سَمِعَ من كلامِ المهاجرينَ والأنصارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقال:

«سَيْرُوا، وأَبْشِرُوا، فَو الله لَكَأَنِّي أَنْظُرَ إلى مَصارِعِ القومِ»، فَسَارَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجنودِ الرحمنِ حتى نَزَلُوا أدنَى ماءٍ من مِيَاهِ بَدْرٍ، فقال له الْحبابُ بنُ المُنْذرِ بن عَمْرو بنِ الجموح: يا رسول الله أرأيت هذا المَنْزِلَ؟ أمَنْزلٌ أنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتقدمَ عنه أوْ نتأخر؟ أمْ هو الرَّأْيُ والْحَرْبُ والمَكيدةُ؟ فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بل هو الرأْيُ والحربُ والمكيدةُ»، فقال: يا رسولَ الله إنَّ هذا ليس بمَنزِلٍ، فَانْهَضْ بنا حتى نَأتِيَ أدْنَى ماءٍ من القومِ فننزله ونُغَوِّر ما وراءه من الْقُلبِ ثم نَبْنِيَ عليه حوضًا فَنَمْلأه فنشربَ ولا يشربُونَ، فاسْتَحْسَنَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الرَّأيَ ونهض، فنزلَ بالعُدْوَةِ الدُّنيا مما يلِي المدينةَ وقريشٌ بالْعُدْوةِ القُصْوى مما يلي مكةَ، وأنْزلَ الله تلك الليلة مطرًا كان على المشركين وَابلًا شديدًا وَوحَلًا زَلَقًا يمنعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلاًّ طهرَهم ووطَّأ لهم الأرض وشَدَّ الرَّمْلَ ومَهَّدَ المَنْزِلَ وثَبَّتَ الأقدام.

وبَنَى المسلمون لِرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيْشًا على تل مُشْرِفٍ على مَيْدَانِ الحرب ثم نَزَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الْعَرِيشِ فَسَوَّى صفوف أصْحابِه، ومشى في موضِعِ المَعْرَكةِ، وجعَل يُشيرُ بيدِهِ إلى مصارِعِ المشركينَ، ومحلاَّتِ قَتْلِهم يقولُ: هذا مصرعُ فلانٍ إنْ شاء الله، هذا مصرعُ فلانٍ، فما جاوزَ أحَدٌ مِنْهُمْ موضعَ إشارتِه، ثم نَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه وإلى قُرَيْشٍ فقال: «اللَّهُمَّ هذه قريشٌ جاءت بفَخْرِها وخُيَلائِها وخَيْلِها تُحادُّك وتكذّبُ رسولَك، اللَّهُمَّ نَصْرك الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ انْجِزْ لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ إني أَنْشُدُك عَهْدَك ووَعْدَك، اللَّهُمَّ إنْ شئتَ لم تُعْبَدْ، اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصَابَةُ اليومَ لا تُعْبَد»، واستَنْصَرَ المسلمون رَبَّهُمُ واستغاثوه فاستجابَ لهم: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١٢ – ١٤].

ثُمَّ تقابَلَ الجَمعانِ، وحَمِي الْوطِيسُ واستدارتْ رَحَى الحربِ، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في العَرِيشِ، ومعه أبو بكرٍ وسَعْدُ بنُ مُعاذٍ يحرسانه، فما زالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَاشِدُ ربَّه ويسْتَنْصِرُهُ ويَسْتَغِيْثُه، فأغْفَى إغْفَاةً ثم خرج يقول: «**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**» وحَرَّضَ أصحابَه على القتال وقال: «**والَّذِي نَفْسُ محمدٍ بيدِهِ لا يقاتلُهُمُ اليومَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صابرًا مُحْتَسِبًا مُقْبلًا غَيْرَ مُدْبر إلاَّ أدخله الله الجنّةَ**». فقام عُمَيرُ بنُ الحِمَام الأنصاريُّ وبِيَدِه تَمَرات يأكُلُهُنَّ فقال: يا رسولَ الله جنة عَرْضُها السمواتُ والأرْضُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**». قال: بَخٍ بَخٍ يا رسولَ الله ما بَيْنِي وبَيْنَ أنْ أدخُل الجنةَ إلاّ أنْ يقتُلَني هؤلاءِ، لَئِنْ حِييتُ حتى آكُلَ تمراتِي هذهِ إنها لحَيَاةٌ طويلةٌ، ثم ألْقَى التمراتِ وقاتلِ حتى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخذَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفًّا مِنْ تُرابٍ أو حصًا فرَمَى بها القومَ فأصابتْ أعْيُنَهم فما مِنْهم واحِدٌ إلاَّ مَلأتْ عيْنَه، وشُغلوُا بالتراب في أعْينهم آيةً من آياتِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَهُزِمَ جَمْعُ المشركين، ووَلَّوُا الأدْبارَ، واتَّبعهم المسلمون يقْتُلون ويأسرون، قَتَلُوا سَبْعينَ رجلًا وأسَروا سبعين.

أمَّا الْقَتْلى فألْقِي منهم أربعةٌ وعشرون رجلًا مِنْ صَنَاديدهِم في قليبٍ من قُلْبَانِ بَدْر، منهم أبو جهلٍ وشَيْبَةُ بنُ رَبيعةَ وأخوه عُتْبة وابنُه الوَليدُ بنُ عتبةَ.

وفي صحيح البخاريِّ: عن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استقْبَل الكعبةَ فدَعَا على هؤلاء الأربعةِ قال: فأشْهَدُ بالله لقد رأيتُهم صَرْعَى قد غيَّرتهم الشَّمسُ وكان يومًا حارًا.

وفيه أيضًا عن أبي طلحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ نَبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر يومَ بدرٍ بأربعةٍ وعشرينَ رَجُلًا من صناديدِ قريشٍ فَقُذِفُوا في طَويٍّ من أطْواءِ بدرٍ خبيثٍ مُخْبثٍ، وكان إذا ظَهَر على قوم أقَامَ بالعَرْصَةِ ثلاثَ لَيالٍ، فلما كان ببدرٍ اليومَ الثالثَ أمَرَ برَاحِلتِه فشُدَّ عليها ثم مشَى واتَّبعَهُ أصحابُه حَتَّى قامَ على شَفَةِ الرَّكِيِّ فجعل يُنَادِيْهم بأسمائِهِم وأسماءِ آبائِهِم يا فلانُ بنَ فلانٍ و يا فلانُ بنَ فلانٍ أيَسُرُّكُمْ أنَّكُمْ أطْعتُمُ الله ورسولَه، فإنا قد وَجَدْنَا ما وَعَدنَا ربُّنا حقًّا فهل وجَدْتُم ما وَعَدَكُمْ ربُّكم حقًّا؟ قال عُمَرُ: يا رسولَ الله مَا تُكلِّمُ مِنْ

أجْسَادٍ لا أرواحَ لها؟ قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«والَّذِي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِه ما أَنْتُم بأَسْمَعَ لما أقولُ منهم»**.

وأمَّا الأسْرَى فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشارَ الصحابةَ فيهم، وكان سعدُ ابن مُعاذٍ قد ساءَه أمْرُهُمْ وقال: كانتْ أوَّل وَقْعَةٍ أوْقعها الله في المشركينَ وكان الإثْخَانُ في الْحَربِ أحبَّ إليَّ من اسْتِبْقَاءِ الرِّجالِ.

وقال عُمَرُ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرَى أنْ تُمَكِّنَنا فنضربَ أعْنَاقَهم فتُمَكِّن عليًّا من عَقِيْل فيضربَ عنقَه، وتمكِّنَنِي من فلانٍ يعنِي قريباً له فأضْرِبَ عنقَه، فإنَّ هؤلاء أئِمَّةُ الْكُفْرِ وصناديدُها.

وقال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هم بَنُو الْعَمِّ والعَشيْرةُ، وأرَى أن تأخُذَ منهم فِدْيةً فتكونُ لنا قُوةً على الكفارِ، فعسى الله أنْ يهديَهُم للإسلامِ، فأخَذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفدية، فكان أكْثَرهم يفْتَدِي بالمَالِ مِنْ أربعةِ آلافِ درهمٍ إلى ألْفِ درهمٍ، ومنهم مَنْ افْتدى بتعليمِ صِبْيَانِ أهْلِ المدينةِ الكِتابَةَ والقِراءة، ومنهم مَنْ كان فِداؤُهُ إطْلاَقَ مأسورٍ عند قريشٍ من المسلمينَ، ومنهم منَ قَتَله النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صبرًا لِشدَّةِ أذيَّتِه، ومنهم مَنْ مَنَّ عليه بدونِ فداءٍ لِلْمَصْلَحَةِ.

هذه غزوةُ بدرٍ انتصَرَتْ فيها فِئَةٌ قليلةٌ على فئةٍ كثيرةٍ ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣].

انتصرت الفئةُ القليلةُ لأنها قائمةٌ بدِينِ الله تُقَاتِلُ لإعْلاءِ كَلِمَتِهِ والدِّفاع عن دِيْنِه، فنصَرَها الله عَزَّوَجَلَّ.

فقومُوا بدِيْنِكَم ـ أيُّها المسلمونَ ـ لتُنْصَروا على أعدائِكم، واصْبِرُوا وصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتقوا الله لعلَّكُمْ تفلِحُون.

اللَّهُمَّ انْصُرْنا بالإسلامِ واجعلنا من أنصارِهِ والدعاةِ إليه وثبِّتنا عليه إلى أن نلْقَاكَ.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنَا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ: غَزْوَةُ فتح مَكَّةَ [١]

الحمدُ لله الَّذِي خلق كلَّ شَيْء فَقَدَّرَه، وعلِمَ مَوْردَ كلِّ مخلوقٍ ومصْدَرَه، وأثْبَتَ في أمِّ الكتاب ما أرَادَه وسَطَّره، فلا مُؤخرَ لِمَا قدَّمَه، ولا مُقَدِّم لما أخَّرَه، ولا ناصرَ لمَنْ خَذلَهُ ولا خاذِلَ لِمَنْ نَصَره، تفرَّد بالمُلْكِ والبقاءِ، والعزَّةِ والكبرياء، فمَنْ نازَعه ذلك أحْقَرَه، الواحدُ الأحَدُ الربُّ الصَّمَد، فلا شريكَ له فيْمَا أبْدَعَه وفَطَرَه، الحيُّ القَيُّومُ فما أقْومَهَ بشُؤُونِ خلْقِه وأبْصَرَه، العليمُ الخبيرُ فلا يخْفَى عليه ما أسَرَّه العبدُ وأضْمَرَه، أحْمَدُه على ما أوْلَى مِنْ فضلِهِ ويَسَّرَه.

وأشْهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَهُ، قَبِلَ تَوْبةَ العاصِي فعفَا عن ذَنْبِه وغَفَرَه، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الَّذِي أوْضَح به سبيلَ الهدايةِ ونَوَّرَه، وأزال به ظلماتِ الشِّرْكِ وقَتَرَه، وفَتحَ عليه مَكَّةَ فأزَال الأصنامَ مِن الْبَيْتِ وَطَهَّرَه، صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه الكرامِ الْبَرَرَة، وعلى التابعينَ لهم بإحْسَانٍ ما بَلَغَ القَمَرُ بدرَه وسَرَرَه، وسلَّم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، كما كان في هذا الشهرِ المباركِ غزوةُ بدْرٍ الَّتِي انتصر فيها الإسْلامُ وعلا منارُه، كان فيه أيضًا غزوةُ فتْحِ مكةِ البلدِ الأمينِ في السَّنَةِ الثامِنَةِ من الْهِجرَةِ فأنقَذَه الله بهذا الفتحِ العظيمِ مِنَ الشركِ الأثِيم، وصار بلدًا إسلاميًا حَلَّ فيه التوحيدُ عن الشِّرْكِ، والإيْمَانُ عن الكُفْرِ، والإسلامُ عن الاسْتِكْبَار، أعلِنَتْ فيه عبادةُ الواحدِ الْقَهَّار، وكُسِرَتْ فيه أوْثانُ الشركِ فمَالها بعْدَ ذَلِكَ انْجِبَار، وسَبَبُ هذا الفتحِ العظيمِ أنَّه لما تَمَّ الصلْحُ بَيْنَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبَيْنَ قريشٍ في الحُديْبيّةِ في السَّنَةِ السَّادسةِ كان مَنْ أحَبَّ أنْ يدْخُلَ في عهْدِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلَ، ومَن أحبَّ أنْ يدخُلَ في عهدِ قريشٍ فَعَلَ، فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ في عهْدِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان بَيْنَ القبيلتَين دماءٌ في

---

(١) «مجالس شهر رمضان» ص(١٣٧).

الجاهليَّة فانْتَهَزَتْ بنو بكرٍ هذه الهُدنَةَ فأغَارتْ على خزاعةَ وهم آمِنُون، وأعَانَتْ قريشٌ حُلَفَاءها بَنِي بكرٍ بالرجالِ والسِّلاحِ سِرًّا على خزاعةَ حلفاءِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقدِم جماعةٌ منهم إلى النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبروهُ بما صنعت بنو بكر وإعانة قريش لها.

أما قريش فسُقِط في أيدِيْهم ورَأوْا أنّهُمْ بِفِعْلِهم هذا نَقَضوا عَهْدهم، فأرسَلُوا زعيمهم أبَا سُفْيَانَ إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيْدَ في المُدَّة، فَكَلَّمَ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك، فلم يَرُدَّ عليه ثم كَلَّمَ أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ لِيَشْفَعَا له إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلم يُفْلِحْ، ثم كَلَّمَ عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ فلم يُفلحْ أيْضًا، فقال له: ما تَرَى يَا أبا الحَسَنِ، قال: ما أرَى شَيْئًا يُغْنِي عنك ولَكنَّك سَيِّدَ بنِي كِنَانَةَ فَقُمْ فأجِرْ بَيْنَ الناس، قال: أتَرَى ذلك مُغْنِياً عني شيئًا، قال: لا والله ولَكِنْ ما أجِدُ لك غَيْرَه، فَفَعَل أبو سفيانَ، ثم رَجَعَ إلى مكة فقالتْ له قريشُ: ما وَرَاءَكَ؟ قال: أتَيْت محمداً فكَلَّمْتُه فوَ الله ما رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، ثم أتَيْتُ ابن أبي قُحافةَ وابنَ الخطاب فلم أجدُ خيرًا، ثم أتيتُ علِيًّا فأشارَ عَلَيَّ بشيء صنَعْتُه أجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ، قالوا: فهل أجاز ذلك مُحمدٌ؟ قال: لا. قالوا: وَيْحَكَ، ما زادَ الرَّجُلُ ـ يعْنُون عليًا ـ أنْ لَعِبَ بك.

وأمّا النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقد أمر أصحابَه بالتَّجَهُّزِ لِلْقتالِ، وأخْبرهم بما يُريد واستَنْفَرَ مَنْ حولَه من القبائلِ وقال: اللَّهُمَّ خُذِ الأخبارِ والْعُيونَ عَنْ قريشٍ حتى نَبْغَتَها في بلادِها، ثم خرَجَ من المدينةِ بنحو عَشَرةِ آلاف مُقَاتِلٍ، وَوَلَّى على المدينةِ عَبْدَالله بنَ أمِّ مَكْتُومٍ ولما كانَ في أثْنَاءِ الطريق لَقِيَهُ في الْجُحْفَةِ عَمُّهُ العَبَّاسُ بأهْلِهِ وعيالِه مهاجرًا مُسْلمًا، وفي مَكَانٍ يُسَمَّى الأبْواءَ لقيه ابن عَمّه أبو سفيانَ بنُ الحارثِ ابنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ وابنُ عَمَّتِهِ عبدُالله بنُ أبي أمَيَّةَ، وكانا من أشَدِّ أعْدائِه فأسْلَمَا فَقَبِل منهما، وقال في أبي سفيانَ: أرجو أنْ يكونَ خَلَفاً مِنْ حَمْزَةَ.

ولمَّا بلغ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكانًا يُسَمَّى مَرَّ الظَّهْرَانِ قريبًا مِنْ مكةَ أمَرَ الْجَيْشَ فأوْقَدُوا عَشَرَةَ آلاف نارٍ، وجَعل على الْحرس عُمَرَ بنَ الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَرَكِبَ العباسُ بَغْلَةَ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِيلْتَمِسَ أحَداً يُبَلِّغ قريشاً لِيَخْرُجوا إلى النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيطلبوا الأمانَ

منه ولا يحصُل القتالُ في مكةَ البلدِ الأمينِ، فَبَيْنَمَا هو يَسِيرُ سَمِع كلامَ أبي سفيانَ بن حرب يقول لِبُدَيلِ بن وَرْقَاءَ: ما رأيتُ كاللَيلةِ نِيرانًا قطُّ فقال بُديْلٌ: هذه خزاعَةُ، فقال أبو سفيان: خزاعةُ أقل من ذلك وأذلُّ فعرف العباسُ صوت أبي سفيانَ فنَادَاه فقال: مالك أبَا الْفَضْلِ؟ قالَ: هذا رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الناسِ قال: فما الحيلَةُ؟ قالَ العباسُ: ارْكَبْ حَتَّى آتِيَ بك رسولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأسْتأمِنَه لك، فأتى به النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: وَيْحَكَ يا أبا سفيانَ أمَا آنَ لكَ أنْ تَعْلَمَ أن لا إله إلاّ الله؟ فقال: بأبِي أنتَ وأمِّي ما أحْلَمَكَ وأكرَمَك وأوْصَلَكَ لَقَدْ علمْتُ أنْ لَوْ كانَ مع الله غَيْرُهُ لأغْنَى عنِّي، قال: أمَا آنَ لك أنْ تَعْلَم أنِّي رسولُ الله؟ فَتَلَكَّأ أبوُ سفيانَ، فقالَ له العباسُ: وَيْحك أسْلِمْ فأسْلَمَ وشَهدَ شهادةَ الحَقِّ.

ثم أمَرَ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ العباسَ أن يُوْقِفَ أبا سفيانَ بِمَضَيقِ الْوَادي عِنْد خَطْم الْجَبَل حَتَّى يمُرَّ به المسلمون، فَمَرَّتْ به الْقَبَائِلُ على رَايَاتِها ما تَمُرُّ به قَبيلةٌ إلاَّ سَأل عنها العَبَّاسَ فيُخْبِرُهُ فيقولُ: ما لي وَلَهَا حَتَّى أقْبَلَتْ كَتِيبةٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا فقال: مَنْ هَذِهِ؟ قال العباسُ: هؤلاءِ الأنْصارُ عليهم سَعدُ بنُ عُبَادَةَ معه الرَّايةُ فلما حاذَاه سُعدٌ قال: أبا سفيان اليومُ يومُ الملحمةِ اليومَ تستحلُّ الكعبة، ثم جاءت كتِيْبَةٌ وهي أقلُّ الكتائبِ وأجَلُّها فيهم رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصْحَابُه ورَايَتُه مع الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ، فَلَّما مَرَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأبي سفيان أخْبَرَه بِمَا قال سعْدٌ فقالَ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«كَذَبَ سَعْدٌ ولكِنْ هذا يومٌ يُعَظِّمُ الله فيه الْكَعْبَةَ ويومٌ تكْسَى فيه الْكَعْبَةَ»**.

ثمَّ أمَرَ رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنْ تُؤْخَذَ الرَّايةُ من سَعْدٍ وتُدفَعَ إلى ابْنِهِ قَيْسٍ ورأى أنَّها لم تَخْرُج عن سعْدٍ خروجًا كاملًا إذ صارت إلى ابنِه، ثم مضَى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمَرَ أن تُرْكَزَ رايتُه بالْحَجُونِ ثُمَّ دَخَلَ مكةَ فاتحًا مُؤَزَّرًا منصوراً قد طأطأ رأسَه تَواضُعًا لله ﷻ حَتَّى إنَّ جبْهَتَه تَكَادُ تَمسُّ رَحْلَه وهو يَقْرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ويُرَجِّعُهَا وبعثَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على إحدى المَجْنَبَتين خالدَ بنَ الْوَلِيدِ وعلى الأخْرَى الزُّبيرَ بنَ العَوَّامِ وقال: مَنْ دَخَلَ المسجد فهو آمِنٌ، ومَنْ دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومن دخلَ بيْتَه وأغْلَقَ بابَه فهو آمِنٌ، ثم مضى رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى أتى المَسْجِدَ الْحَرَامَ فطافَ به على

راحِلَتِهِ وكان حوْلَ البيتِ ستون وثَلاثُمائَةِ صَنَم، فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطْعُنُها بقَوْس معه ويُقول: ﴿جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَآءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنامُ تَتساقَطُ على وجوهِها، ثم دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكعبة فإذَا فيها صورٌ فأمَرَ بها فَمُحِيَتْ ثم صلَّى فيها فلَّما فرغَ دَارَ فيها وكبَّرَ في نَواحِيْها وَوَحَّدَ الله ﷻ، ثُمَّ وَقَفَ على باب الكعبةِ وقُريشٌ تَحْتَه ينْتَظِرُون ما يَفْعَلُ، فأخذَ بعِضَادَتِي الباب وقال: **«لا إله إلاَّ الله وحدَّه لا شريكَ له، لَهُ المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ، صَدَقَ وَعْدَه ونَصرَ عَبْدَه وهَزمَ الأحزابَ وحْدَه، يا مَعْشَر قُريش إنَّ الله قد أذهَبَ عَنكم نَخْوَةَ الجاهِليَّةِ وتَعَظُّمَها بالآباءِ، الناسُ مِنْ آدمَ وآدمُ من تُرابٍ»** ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

«يا مَعْشرَ قريشٍ، ما تَظُنُّونَ أني فاعِلٌ بكُمْ؟» قالوا: خيراً أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريم، قال: **«فإنِّي أقُول لكم كما قال يوسفُ لإخوَتِه: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] اذْهَبُوا فَأنْتم الطُّلَقَاء»**.

ولما كان اليومُ الثاني من الفتح قام النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيبًا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«إن الله حرم مكة ولم يحرمْها الناس فلا يحلُّ لأمرئ يؤمنُ بالله واليوم الآخر أن يسفكَ بها دمًا ولا يعضدَ بها شجرةً»**، فإنْ أحدٌ ترخص بقتال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقولوا: إن الله أذنَ لرسولِه ولم يأذنْ لكم وإنما أذنَ لي فيها ساعةً من نهارٍ، وقد عادت حرمتُها اليوم كحرمتِها بالأمس، فَلْيُبَلِّغ الشاهدُ الغائب.

وكانت الساعةُ التي أُحلَّتْ فيها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طلوعِ الشمس إلى صلاةِ العصرِ يومَ الفتح، ثم أقامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسعةَ عشرَ يومًا بمكةَ يقصرُ الصلاةَ ولم يصمْ بقيةَ الشهرِ لأنه لم ينوِ قطعَ السفرِ.

أقامَ كذلك لتوطيدِ التوحيدِ ودعائمِ الإسلام وتثبيتِ الإيمان ومبايعةِ الناسِ.

وفي الصحيح عن مجاشع قال: أتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخي بعد الفتح ليبايعَه على

الهجرةِ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذهبَ أهلُ الهجرةِ بما فيها ولكنْ أبايعَه على الإسلامِ والإيمانِ والجهادِ.

وبهذا الْفَتحِ المُبِين تمَّ نصرُ الله ودخل الناس في دينِ الله أفواجًا، وعادَ بلدُ الله بلدًا إسلاميًّا أعْلِنَ فيه بتَوْحِيْدِ الله وتصديق رسولِه وتحكيم كتابِه، وصارتِ الدولَةُ فيه لِلْمُسْلمينِ، وانْدَحَرَ الشركُ وتَبَدَّدَ ظلامُه، واللهُ أكبرُ ولله الْحَمْدُ وَذَلِكَ مِنْ فضلِ الله على عبادِه إلى يوم القيامةِ.

اللَّهُمَّ أرزُقْنا شُكْرَ هذه النعمةِ العظيمةِ، وحقِّق النِّصر للأمَّةِ الإسلاميةِ كلَّ وقتٍ في كلِّ مكانٍ، واغفِرْ لنا ولوالِدِينا ولجميع المسلمين برحمتِك يا أرحَمَ الراحمينَ، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين.

الدَّرْسُ الخَمْسُونَ: فِي آثَارِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي

الْحَمْدُ للَّهِ الْمُتَفَرِّدِ بِالْعِزِّ وَالْجَلالِ، الْمُتَفَضِّلِ بِالْعَطَاءِ وَالإِفْضَالِ، مُسَخِّرِ السَّحَابِ الثِّقَالِ، مُرَبِّي الزَّرْعَ تَرْبِيَةَ الأَطْفَالِ، جَلَّ عَنْ مَثَلٍ وَمِثَالٍ، وَتَعَالَى عَنْ حُكْمِ الْفِكْرِ وَالْخَيَالِ، قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ، يَتَفَضَّلُ بِالإِنْعَامِ فَإِنْ شُكِرَ زَادَ وَإِنْ لَمْ يُشْكَرْ أَزَالَ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يمين وشمال﴾.

أحمده على كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أشرف من نطق وقال، صلى الله عليه وعلى الصحب والآل، وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن للذنوب والمعاصي أضرارًا عظيمة وعواقب وخيمة على الأفراد والمجتمعات فما من بلاء ولا شر يقع في هذا العالم إلا وسببه الذنوب والمعاصي، وما وقع بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وللمعاصي من الآثار المُضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها: أنها مدد من الإنسان يمد به عدوه عليه، وجيش يقويه به على حربه، ومن عقوباتها أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه.

ومنها: أنها تجريء العبد على ما لم يكن يجترئ عليه.

ومنها: الطبع على القلب إذا تكاثرت حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٢].

هو الذنب بعد الذنب وقال: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير رانًا ثم يغلب حتى يصير طبعًا

وقفلًا وختمًا فيصير القلب في غشاوة وغلاف.

ومنها: إفساد العقل فإن العقل نور والمعصية تُطفئ نور العقل.

ومنها: أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه.

ومنها: أن ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة.

ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضًا.

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه يحس بها كما يحس بظلمة الليل.

ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن.

أما وهنها للقلب: فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية، وأما وهنها للبدن: فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه.

ومنها: أن المعاصي تمحق العمر إذ أن المعاصي كلها شرور.

ومنها: شماتة الأعداء فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا وهذا ما يفرح العدو ويُسيء الصديق.

ومنها: تعسير أموره فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه أو متعسرًا عليه.

ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير.

ومنها: حرمان دعوة الرسول ودعوة الملائكة للذين تابوا.

ومنها: أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة الله.

ومنها: أنها تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن.

ومنها: أنها تُطفئ من القلب نار الغيرة.

ومنها: ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب.

ومنها: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب وتُضعف وقاره في قلب العبد.

ومنها: أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه.

ومنها: أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين.

ومنها: أنها تُضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة.

ومنها: أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته.

ومنها: أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم.

ومنها: أنها تصغر النفس وتحقرها وتقمعها.

ومنها: أن العاصي في أسر شيطانه وسجن شهواته.

ومنها: سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه.

ومنها: أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه.

ومنها: أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف.

ومنها: أنها تجعل صاحبها من السفلة[(١)]. اهـ مختصرا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: فمما ينبغي أن يعلم، أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا بد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنة نارًا تلظى، وبالإيمان كفرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان،

---

(١) «الجواب الكافي» ص(٥٢) وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص(٤٢).

وسقط من عينه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قوادًا لكل فاسق ومجرم، رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذًا بك اللّٰهُمَّ من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رأس الجبال؟ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مر عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميرًا؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرًا؟

وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ

رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

روى الإمام أحمد: عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، فقال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

معشر المسلمين، إن ما يعيشه الناس الآن من واقع مرير كله بسبب الذنوب والمعاصي ولا يرفع هذا البلاء إلا صدق التوبة واللجوء إلى الله والرجوع إليه فالتوبة سبب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للتوبة ويرزقنا الإنابة وأن يغفر ذنوبنا ويصلح قلوبنا وأحوالنا والله المستعان وعليه التكلان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ: مِن أَحْكَامِ البَيْعِ

الحمد لله مدبر الليالي والأيام، ومصرف الشهور والأعوام، المنفرد بالكمال والتمام، الملك القدوس السلام، تنزه جلاله عن درك الأفهام، وتعالى كماله عن إحاطة الأوهام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقد دلت على أن الأصل في البيوع والمعاملات والتجارات كلها الحل والإطلاق، كما هو صريح هذه الآيات، لا فرق بين تجارة الإدارة التي يديرها التجار بينهم، هذا يأخذ العوض، وهذا يعطي المعوض، ولا بين التجارة في الديون الحال ثمنها، المؤجل مثمنها كالسلم، وبيع السلع بأثمان مؤجلة لعموم قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ولا بين تجارة التربص والانتظار، بأن يشتري السلع في أوقات رخصها، وينتظر بها الفرص من مواسم وغيرها، ولا بين التجارة بالتصدير والتوريد من محل إلى آخر، ولا بين التجارة والتكسب أفرادا ومشتركين.

فكل هذه الأنواع وما يتبعها قد أباحها الشارع وأطلقها لعباده؛ رحمة بهم، وقيامًا لمصالحهم، ودفعًا للأضرار عنهم، وكلها جائزة بما يقترن بها ويتبعها من شروط ووثائق ونحوها إذا سلمت من المحاذير الشرعية التي نبه الله عليها ورسوله، يدخل في هذا العموم جميع أجناس المبيعات وأنواعها وأفرادها من عقارات وحيوانات وأمتعة وأطعمة وأوان وأشربة وأكسية وفرش وغيرها، وكلها لا بد أن تقترن بهذا الشرط الذي ذكره الله، وهو التراضي بين المتعاوضين، الرضا الصادر عن معرفة، وأما السفيه والمجنون ومن لا يعتبر

كلامه فوليه يقوم مقامه في معاملاته.

وأعظم المحاذير المانعة من صحة المعاملات: الربا والغرر والظلم.

فالربا الذي حرمه الله ورسوله يدخل فيه ربا الفضل، وهو بيع المكيل بالمكيل من جنسه متفاضلًا، وبيع الموزون بالموزون من جنسه متفاضلًا، ويشترط في هذا النوع في حله ما شرط الشارع، وهو التماثل بين المبيعين بمعياره الشرعي، مكيلًا كان أو موزونًا، والقبض للعوضين قبل التفرق، وربا النسيئة: وهو بيع المكيل بالمكيل إلى أجل، أو غير مقبوض - ولو من غير جنسه - وبيع الموزون بالموزون إلى أجل أو بلا قبض، ويستثنى من هذا السلم.

وأشد أنواع هذا النوع قلب الديون في الذمم، وهو الذي ذكره بقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وذلك إذا حل ما في ذمة المدين، قال له الغريم: «**إما أن تقضيني ديني، وإما أن تزيد في ذمتك**»، فيتضاعف ما في ذمة المعسر أضعافًا مضاعفة بلا نفع ولا انتفاع، وذلك أن المعسر قد أوجب الله على غريمه إنظاره كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وسواء كان قلب الدين المذكور صريحًا أو يتحيل عليه بحيلة ليست مقصودة، وإنما يراد بها التوصل إلى مضاعفة ما في ذمة الغريم.

فهذا الذي قد توعده الله بهذا الوعيد الشديد، وأن الذين يأكلون الربا لا يقومون من قبورهم إلى بعثهم ونشورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، أي: من الجنون، فيقومون مرعوبين منزعجين قد اختلت حركاتهم لما يعلمون ما أمامهم من القلاقل والأهوال المزعجة والعقوبات لأكلة الربا، وقد آذنهم الله بمحاربته ومحاربة رسوله إذا لم يتوبوا، ومن كان محاربًا لله ورسوله فإنه مخذول، وإن عواقبه وخيمة، وإن استدرج في وقت فآخر أمره المحق والبوار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

فالمرابي يأخذه الأمن والغرور الحاضر، ولا يدري ما خبئ له في مستقبل أمره، وأن الله سيجمع له بين عقوبات الدنيا والآخرة، إلا إن تاب وأناب، فإذا تاب فله ما سلف، وأما العقود الحاضرة فالزيادة لا تحل، وعليه أن ينزل على رأس ماله، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. بأخذ الزيادة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بأخذ بعض رؤوس أموالكم.

ومن أنواع الربا: القرض الذي يجر نفعًا؛ فإن القرض من الإحسان والمرافق بين العباد، فإذا دخلته المعاوضة وشرط المقرض على المقترض رد خير منه بالصفة أو المقدار، أو شرط نفعًا أو محاباة في معاوضة أخرى، فهو من الربا؛ لأنه في الحقيقة دراهم بدراهم مؤخرة، والربح ذلك النفع المشروط، فالله تعالى وعظ المؤمنين عن تعاطي الربا كله والمعاملة به، وأن يكتفوا بالمكاسب الطيبة التي فيها البركة وصلاح الدين والدنيا، وفيها تزكو الأخلاق، ويحصل الاعتبار وحسن المعاملة والصدق والعدل وأداء الحقوق والسلامة من جميع التبعات.

ومن المحاذير في المعاملات محذور الميسر والغرر، فإن الله حرم في كتابه الميسر، وقرنه بالخمر، وذكر مضار ذلك ومفاسده، والميسر يدخل في المعاملات كما يدخل في المغالبات، فكما أن المراهنات والمقامرات وتوابعها من الميسر، فالبيوع التي فيها غرر ومخاطرات وجهالات داخلة في الميسر، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة جامعة **«نهى عن بيع الغرر»**، فيدخل في ذلك بيع الحمل في البطن، وبيع الآبق والشارد، والشيء الذي لم ير ولم يوصف، ودخل فيه بيع الملامسة والمنابذة، وجميع العقود التي فيها جهالة بينة؛ وذلك لأن أحد المتعاملين إما أن يغنم، وإما أن يغرم، وهذا مخالف لمقاصد المعاوضات التي يقصد أن يكون العوض في مقابلة المعوض على وجه يستوي فيه علم المتعاوضين، فإذا جهل الثمن أو المثمن، أو كان الأجل في الديون غير مسمى ولا معلوم دخل هذا في بيع الغرر والميسر الذي زجر الله عنه.

ومن المحاذير المنهي عنها في المعاملات: الظلم والغش والتدليس وبخس المكاييل والموازين وبخس الحقوق أخذًا وإعطاء، بأن يأخذ أكثر مما له، أو يعطي أقل مما عليه، فهذا من أعظم المحرمات، وقد توعد الله عليه بالعقوبات في الدنيا والآخرة، وأهلك أمة عظيمة بسبب هذه المعاملة الخبيثة، وهذه المعاملات المحرمة تدخل في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ كما يدخل فيه الغضب والسرقة ونحوهما[1].

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا، وأن يتولى أمورنا، وأن يكفينا بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه. والحمد لله رب العالمين.

(١) «تيسير اللطيف المنان» ص(١١٦) بتصرف.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ: مِن شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْلَاقِهِ

الحمد لله قاهر المتجبر ومذله، ورافع المتواضع ومجله، القريب من عبده وهو عند المنكسر لأجله حال ذله، لا يعزب عن سمعه وقع القطر في أضعف طَلِّهِ، ولا يغيب عن بصره في الدجى دبيب نمله، رفع من شاء بإعزازه كما حط من شاء بذله، اختار محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخلق فكأن الكل خلقوا من أجله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣، والصف: ٩].

أحمده على أجل الإنعام وأقله، وأشهد بوحدانيته شهادة مصدق قوله بفعله، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله لنقض الكفر وحله، فقام معجزه ينادي: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣]. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فلقد نال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى المنازل، وحظي عند ربه بأكبر المقامات، فهو صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، أُسري به إلى السموات العلى حتى بلغ سدرة المنتهى، وبلغ مقاما لم يبلغه مخلوق قبله ولا بعده، وأنعم الله عليه بالمعجزات، وأيده بالآيات، فما ذكر شيئًا من ذلك على وجه الفخر، بل كان التواضع صفته، فكان إذا أخبر عن منزلته تلك يقرن إخباره بها بنفي الفخر.

وإن الحديث عن شمائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تتسع له المجلدات ولا خطب في سنوات، ولكن الله جل في علاه لخصه أخلاقه في كلمات فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

ولما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: **«كان خلقه القرآن»** فكل خلق محمود يليق بالإنسان فله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه القسط الأكبر، والحظ الأوفر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه.

قال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبرني عن صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن **«يا أَيُّهَا**

النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا» رواه البخاري.

وقد كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجمل الناس خَلْقًا وخُلُقًا فعن أنس بن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **«كان رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولا شممت مسكًا، ولا عنبرًا أطيب من رائحة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»**.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خَلقًا، ليس بالطويل البائن ولا القصير، عريض ما بين المنكبين كث اللحية، تعلوه حمره، جمته إلى شحمة أذنيه، ضخم الرأس واليدين والقدمين، أبيض الوجه مستديرًا، إذا سُرّ استنار وجهه، حتى كأن وجهه قطعة قمر، لا يضحك إلا تبسمًا، وإذا نظرت إليه قلت أكحل العينيين وليس بأكحل.

وكما كان أحسن الناس خَلْقًا فقد كان أحسنهم خُلُقًا فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: **«كان خلق رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **القرآن»** رواه مسلم.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **«كان النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحسن الناس خُلقًا»** رواه الشيخان.

وكان من دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«اللَّهُمَّ اهدني لأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيء الأعمال وسيء الأخلاق، لا يقي سيئها إلا أنت»**.

وكان أحلم الناس فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال كنت أمشي مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

وما انتقم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه وما غضب لها فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قالت **«... وما انتقم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم»**.

وكان متواضعًا رحيمًا فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت**» رواه البخاري.

ولما دخل مكة يوم الفتح الأكبر حين دخل منصورًا مؤزرًا، دخلها وقد طأطأ رأسه تواضعًا لله تعالى، حتى إن رأسه ليمس رحله من شدة تواضعه لربه.

وكان رحيمًا رقيقًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وكان أحسن الناس معاملة مع أهله قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» رواه الترمذي عن عائشة.

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها، وذلك بعد مماتها. رواه البخاري.

وكان رفيقًا ميسرًا فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابيًا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعوه، وأهرقوا على بوله ذنوبًا من ماء، أوسجلًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» رواه البخاري.

وكان أشد الناس حياء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه**» رواه الشيخان.

وكان زاهدًا في الدنيا راغبًا فيما عند الله قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كان لي مثل أحد ذهبًا؛ لسرني أن لا تمر عليّ ثلاث ليالي، وعندي منه شيء إلاّ شيئًا أرصده لدين**».

وكان أشجع الناس قال البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كنا والله إذا احمرّ البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» متفق عليه.

ولقد كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جمّ التواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، وينصرف بكله إلى محدثه، صغيرًا كان أو كبيرًا، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته، أو حاجة صاحب، أو جار، كان يذهب إلى السوق، وكان يجيب دعوة الحرّ، والعبد والمسكين، ويقبل عذر المعتذر، وكان يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه، وكان في مَهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم ويقضي حاجة الضعيف والبائس، لا ينطق من غير حاجة ، إذا تكلم تكلم بجوامع الكلم، كان يؤلِّف ولا يُفرق ويُقرب ولا يُنفر، كان دائم البشر، سهل الخُلق، لين الجانب.

وهو صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أوفر الناس عقلًا، وأسداهم رأيًا، وأجودهم نفسًا، أجود بالخير من الريح المرسلة، يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وما عُرِض عليه أمران إلا اختار أيسرهما، مالم يكن إثما أو قطيعة رحم، وهو مع هذا أحزمهم عند الواجب وأشدهم مع الحق، لا يغضب لنفسه، بل كان غضبه إذا انتُهِكت حرمات الله، أشجع الناس وأقواهم، أعف الناس لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأعدلهم وأعظمهم إنصافًا، أرحب الناس صدرًا، وأوسعهم حلمًا، يصبر على من آذاه، ويحلم على من جهل عليه، ولا يزيده جهل الجاهلين إلا أخذًا بالعفو، ويبتسم في وجه محدثه ويقبل عليه، أرحم الناس وخيرهم لأهله وأمته، كان أكثر الناس تواضعًا، وأخفضهم جناحًا، وألينهم جانبًا.

ذلك قبس من نور النبوة، فما أحوجنا إلى أن نتعرف على كل صغيرة وكبيرة في حياة نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذلك للقيام بحقه علينا، من محبة وأدب، وتوقير ونصرة، واتباع واقتداء، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يحشر في زمرة نبيك صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وارزقنا اتباع سنة نبيك، والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ: وَصْفُ الجَنَّةِ

الحمد لله الذي فتح أبواب الجنان وأودعها الحبرة والسرور، وأعدها لأهل الإيمان بما فيها من الحور والقصور، وأجرى فيها الأنهار، وشكل فيها أنواع الفواكه والثمار وملأها من النعيم، وهيأها لكل موحد شكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحيم الغفور شهادة أدخرها ليوم الفزع والنشور، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالهدى والنور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم للاهتداء نجوم وبدور، وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الله تعالى أعد لأوليائه في جناته النعيم المقيم وجمع لهم فيها بين الأمن والخلود والنعيم وأصناف اللذة والسرور ودعا عباده إليها ورغبهم فيها، عزت الدار وَجَلَّ المَرَامُ، وَنَالَ سَاكِنُهَا فَوقَ المَرَامِ، فَيَا مَشغُولًا عنها بأضغاث أحلام، وصل كتاب الملك العلام، ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥].

دار الإعزاز والإكرام، بنيت لقوم كرام، لا غرم فيها ولا غرام، ما يسكنها من يضام، ثمنها يا مشتري بَيِّنٌ: صلاة وصيام، نعيمها في دوام لذاتها في تمام، والحور في القصور والخيام، شهواتها لم تخطر على الأوهام، انتبهوا لطلبها يا نيام، قد جمعت كل مشتهى وزادت على كل الغرض المنتهى، عجبا لمن غفل عنها وسها، انهض لها يا غلام ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾.

ولقد وصف الله تعالى الجنة في كتابه لتشتاق النفوس إليها وتعمل لها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكراماته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجِدُّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلًا من تلك الخيام.

وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد

تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وأن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي الحجال مزرورة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبي البشر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء يسير بهم حيث شاءوا من الجنان.

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان.

وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود وللرمان ما تضمنته النهود وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمنَ مَنْ على ظهرها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا

وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالًا مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس لا يفنى شبابها ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها ولا يمل طيب وصالها قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه و قصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملات قلبه سرورًا وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب.

وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر.

وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حَوَر.

وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان.

وإن سألت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان.

وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان.

وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس قرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة.

وحـديثها السـحر الحـلال لـو أنـه ... لم يجـن قتـل المسـلم المتحـرز

إن طـال لم يملـل وإن هـي أوجـزت ... ود المحـدث أنهـا لم تـوجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبَّلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون سمعًا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحدًا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء على كثبان المسك، وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟

ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار ﷻ وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم.

وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللَّهُمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى، أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد، فاسألوني

فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف لهم الرب ﷻ الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو لا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟!

فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥]

فحـــي علـــى جنـــات عـــدن فإنهـــا منازلـــــك الأولى وفيهـــــا المخـــــيم
ولكننـــا ســـبي العـــدو فهـــل تـــرى نعـــــود إلى أوطاننـــــا ونســـــلم

اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ: وَصْفُ النَّار

الحمدُ لله الحيِّ القيومِ، الباقِي وغيْرُه لا يدوم، رَفَعَ السماءَ وزيَّنَها بالنجوم، وأمْسَك الأرض بجبالٍ في التُّخوم، صوَّر بقدرتِه هذه الجُسوم، ثمَّ أماتها ومحا الرُّسوم، ثم ينفخُ في الصُّورِ فإذا الميْتُ يقُوم، ففريقٌ إلى دار النعيمِ وفريقٌ إلى نارِ السَّمومِ، تفْتَحُ أبوابُها في وجوهِهِم لكلِّ بابٍ منهم جزْءٌ مقسوم، وتُوْصَدُ عليهم في عَمَدٍ ممَدَّدَةٍ فيها للهمُوم والغُموم، يوم يغْشاهُمُ العذاب مِنْ فوقِهِم ومن تحتِ أرجُلِهِمْ فما منهم مرْحُوم، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له شهادةَ مَنْ للنَجاةِ يَرُوم، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، الَّذِي فَتحَ الله بدينِه الْفُرْسَ والرُّوم، صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ ما هطَلَتْ الغُيوم، وسلَّم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، لقد حذَّرنا اللهُ تعالى في كتابه من النارِ وأخبرَنا عن أنواعِ عذابِها بما تَتَفَطَّرُ منه الأكبادُ وتتفجرُ منه القلوب، حَذَّرنَا منها وأخْبَرَنا عن أنواع عذابِها رحمةً بنا لنزدَادَ حَذرًا وخوْفًا، فاسمَعوا ما جاء في كتاب الله تعالى وسنةِ رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنْواع عذابِها لعلكم تذَكَّرُون.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١]. ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان: ٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى مُخاطبًا إبليسَ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٢ – ٤٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾ [الملك: ٦ – ٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١ – ٤٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۚ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٧ – ٤٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٧ – ٢٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٢ – ٣٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٩ – ٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١ – ٧٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ١٩ – ٢٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ٥٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الدخان: ٤٣ – ٤٦].

وقال في تلكَ الشجرةِ: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٤ – ٦٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ [محمد: ١٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴾ [إبراهيم: ١٦ – ١٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٤ – ٧٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَۭ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة: ٥ – ٩].

والآياتُ في وصفِ النارِ وأنواعِ عذابِها الأليمِ الدائمِ كثيرةٌ.

أما الأحاديثُ فعنْ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُؤتى بالنارِ يومَ القيامةِ لها سبعون ألفَ زمامٍ مع كلِّ زمامٍ سبعون ألفَ ملَكٍ يجرُّونَها**» رواه

مسلم.

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**نَارُكم هذِه ما يُوقدُ بنُو آدمَ جُزْءٌ واحدٌ من سبعين جزءًا من نار جهنَّم**»، قالوا: يا رسولَ الله إنَّها لَكَافيةٌ، قال: «**إنها فُضِّلَتْ عليهَا بِتِسْعَةٍ وستينَ جزءًا كُلُّهن مثلُ حرِّها**».

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنَّا عندَ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فسَمِعنَا وَجبَةً، فقال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ ما هَذَا؟**» قلْنَا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: «**هذا حجرٌ أُرْسِلَه الله في جهنَّمَ مُنْذُ سبعينَ خَريفًا ـ يَعْنِي سبعينَ سنةً ـ فالآن حينَ انتَهَى إلى قعْرها**» رواه مسلم.

وقال عُتْبَة بنُ غَزوانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يَخْطب: «**لَقَدْ ذُكِرَ لنَا أنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِير جَهَنَّمَ فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدركُ لها قَعْرًا والله لتُمْلأنّ أفعَجِبْتُم؟**» رواه مسلم.

وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أنَّ قطْرةً من الزَّقُّومِ قَطَرَتْ في دار الدُّنْيَا لأفْسَدَتْ على أهلِ الدنيا مَعَايِشَهُمْ**» رواه النسائيُّ والترمذيُّ وابنُ ماجه.

وعن النعمانِ بن بَشِيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ أهْوَنَ أهل النارِ عذابًا مَنْ لَهُ نَعْلانِ وشِرَاكانِ من نارٍ يَغلي منهما دماغُه كما يغلي المِرْجَل ما يَرَى أنَّ أحداً أشدُّ منهُ عَذَابًا وإنَّهُ لأهْونُهمْ عذابًا**» رواه مسلم وللبخاريِّ نحوه.

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**يُؤتَى بأنْعَم أهل الدنيا مِنْ أهل النار فيُصْبَغُ في النارِ صَبْغَةً ثم يُقَال: يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ خيراً قطُّ هل مَرَّ بكَ نعيمٌ قط؟ فيقولُ: لا والله يا ربِّ، ويؤْتَى بأشَدِّ الناسِ بؤسًا في الدنيا مِنْ أهل الجنة فيصبغُ صبغةً في الجنة فيقال: يا ابن آدمَ هل رأيتَ بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك من شدة قط؟ فيقولُ: لا والله يا ربِّ ما رأيتُ بؤسًا ولا مرّ بِي مِنْ شدةٍ قَطُّ**» رواه مسلم.

يعني أنَّ أهل النارِ ينسُون كلَّ نعيمٍ مَرَّ بِهِم في الدُّنيا، وأهْلَ الجنة ينسون كلَّ بؤْسٍ مرّ بهم في الدنيا.

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يُقَالُ للرجلِ من أهل النارِ يومَ القيامةِ: أرأيْتَ لو كانَ لكَ ما على الأرض من شيء أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم، قال: فيقول: قد**

أردتُ منكَ ما هُو أهْونُ من ذلكَ، قد أخذتُ عَلَيْك في ظهرِ آدم أن لا تُشْرِكَ بي شيئًا فأبيتَ إلاَّ أنْ تشركَ بي» رواه أحمدُ ورواه البخاريُّ ومسلمٌ بنحوه.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: **«عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ»** أَوْ **«عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»**. وفي الصحيحين عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«يُقَال لليهودِ والنصارى ماذا تَبْغُون؟ فيقولونَ: عطِشْنَا ربَّنَا فاسقنا فيُشارُ إليهم: ألا تَرِدُوْنَ؟ فيُحْشَرونَ إلى جهنَم كأنها سرابٌ يحطِم بعضُها بعضاً، فيتَساقطونَ في النار»**.

قال الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ظَنُّك بقومٍ قاموا على أقدامهم خمسينَ ألْفَ سنةٍ لم يأكلوا فيها أكلةً ولم يشربوا فيها شربةً حتى انقطعت أعناقُهم عطشًا واحترَقَتْ أجوافُهم جوعًا، ثم انْصُرِفَ بهم إلى النارِ فيُسْقَون من عينٍ آنِيَةٍ قد آنَ حَرُّها واشتد نُضْجُها.

وقال ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفِ النار: دارٌ قَدْ خُصَّ أهلُها بالبِعادِ، وحرمُوا لذةَ المُنَى والإسْعاد، بُدِّلَتْ وضاءةُ وجوهِهِم بالسَّواد، وضُرِبُوا بمقَامِعَ أقْوى من الأطواد، عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شداد، لو رأيتَهم في الحميمِ يسرحون، وعلى الزمهرير يُطْرَحون، فحزنُهم دائمٌ فما يفْرَحون، مُقَامهُم محتومٌ فما يبْرَحون، أبَدَ الآباد، عليها ملائِكةٌ غلاظ شداد، يبكُون على تضييع أوقات الشباب، وكلَّما جَادَ البكاءُ زاد، عليها ملائكة غلاظٌ شِداد، يا حسرتهم لِغَضَبِ الخالق، يا محنَتهُمْ لِعظَمِ البَوَائِق، يا فضيحتَهم بين الخلائق، على رؤوس الأشْهاد، أينَ كسْبُهُم للْحُطام، أينَ سعيُهم في الآثام، كأنَّه كان أضغَاثَ أحْلام، ثم أُحْرِقَتْ تلك الأجسام، وكلما أحْرِقَتْ تُعَاد، عليها ملائكةٌ غلاظٌ شِداد.

اللَّهُمَّ نَجِّنا من النار، وأعِذْنَا من دارِ الخزْيِ والْبَوَار، وأسكنَّا برحمتِك دارَ المتقينَ الأبرار، واغفرْ لنا ولوالِدِينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدًا وعلى آله وصحبه أجمعين[(١)].

(١) «مجالس شهر رمضان» ص(١٨٣) بتصرف.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ: مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ

الحَمدُ للهِ الَّذِي لَم يَزَلْ بِصِفَاتِ الكَمَالِ مُتَّصِفًا، وبآثار ربوبيته وآلائه إلى عباده متعرفًا، وأحاط علمًا بجميع الكائنات ما ظهر منها وما اختفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، شهادة أدخرها ليوم لا تنفع فيه الأعذار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، المهاجرين منهم والأنصار، وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الله ﷻ يبتلي عباده ويختبرهم ليتبين الصادق من الكاذب وجبل النفوس على محبة الشهوات والتعلق بها وقد حرم الله على عباده ما حرم من الشهوات ووعد من كف منهم عنها بخلف خير مما ترك.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي قتادة، وأبي الدهماء، قالا: كانا يكثران السفر نحو هذا البيت، قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل يعلمني مما علمه الله وقال: **«إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ»**.

وإن عبادة الصيام ليتجلى فيها هذا الأمر بوضوح فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**.

فأخبر تعالى أن جزاء الصوم عليه وسيجازي صاحبه بأحسن الجزاء لأنه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله.

وفي الصحيحين عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ، أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»**.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الحديث: الرَّيَّان بفتح الراء، وتشديد التحتانية وزن

فعلان من الرِّي: اسمُ علمٍ على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه.

وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه؛ لأنه مشتق من الرِّي، وهو مناسب لحال الصائمين، وسيأتي أن من دخله لا يظمأ.

قال القرطبي: اكتُفي بذكر الري عن الشبع؛ لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه.

قلت: أو لكونه أشقَّ على الصائم من الجوع اهـ.

وهذه قاعدة شرعية مطردة **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: عنوان هذا الباب وقاعدته أن من ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه كما ترك يوسف الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ امرأة العزيز لله واختار السجن على الفاحشة فعوضه الله أن مكنه في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء وأتته المرأة صاغرة سائلة راغبة في الوصل الحلال فتزوجها فلما دخل بها قال هذا خير مما كنت تريدين فتأمل كيف جزاه الله ﷻ على ضيق السجن أن مكنه في الأرض ينزل منها حيث يشاء وأذل له العزيز امرأته وأقرت المرأة والنسوة ببراءته وهذه سنته تعالى في عباده قديما وحديثا إلى يوم القيامة ولما عقر سليمان بن داود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ الخيل التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريح يسير على متنها حيث أراد ولما ترك المهاجرون ديارهم لله وأوطانهم التي هي أحب شيء إليهم أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا وملكهم شرق الأرض وغربها ولو اتقى الله السارق وترك سرقة المال المعصوم لله لآتاه الله مثله حلالًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فأخبر الله ﷻ أنه إذا اتقاه بترك أخذ ما لا يحل له رزقه الله من حيث لا يحتسب وكذلك الزاني لو ترك ركوب ذلك الفرج حرامًا لله لأثابه الله بركوبه أو ركوب ما هو خير منه

حلالًا ...[١]. اهـ بتصرف.

والمقصود أن كل من ترك شيئا لله فليبشر بخلف وعوض خير مما ترك في الدنيا والآخرة:

فمن[٢] ترك مسألَة الناس، ورجاءَهم، وإراقةَ ماءِ الوجه أمامهم، وعلَّق رجاءه بالله دون سواه -عَوّضَه خيرًا مما ترك، فرزقه حريةَ القلب، وعزةَ النفس، والاستغناء عن الخلق **«ومن يتصبرْ يصبرْه الله، ومن يستعففْ يُعِفَّهُ الله»**.

ومن ترك الاعتراض على قدر الله، فسلم لربه في جميع أمره رزقه الله الرضا واليقين، وأراه من حسن العاقبة ما لا يخطر له ببال.

ومن ترك الذهابَ إلى العرافين والسحرة رزقه الله الصبرَ، وصِدْقَ التوكل، وتَحَقُّقَ التوحيد.

ومن ترك التكالبَ على الدنيا جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبه، وأَتَتْهُ الدنيا وهي راغمةٌ.

ومن ترك الخوفَ من غير الله، وأفرد اللهَ وحده بالخوف سَلِمَ من الأوهام، وأمَّنه الله من كل شيء، فصارت مخاوفُه أمنًا وبردًا وسلامًا.

ومن ترك الكذبَ، ولزم الصدقَ فيما يأتي وما يذر هُدي إلى البر، وكان عند الله صديقًا، ورزق لسانَ صدقٍ بين الناس، فسوَّدوه، وأكرموه، وأصاخوا السمع لقوله.

ومن ترك المراءَ وإن كان مُحِقًّا ضُمن له بيتٌ في ربض الجنة، وسلم من شر اللجاج والخصومةِ، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من كشف عيوبه.

ومن ترك الغشَّ في البيع والشراء زادت ثقةُ الناس به، وكثر إقبالُهم على سلعته.

---

(١) «روضة المحبين» ص(٤٤٥).

(٢) «دروس رمضان» للحمد.

ومن ترك الربا، وكَسْبَ الخبيثِ بارك الله في رزقه، وفتح له أبوابَ الخيرات والبركات.

ومن ترك النظرَ إلى المحرم عوَّضه الله فِراسةً صادقةً، ونورًا وجلاءً، ولذةً يجدها في قلبه.

ومن ترك البخلَ، وآثر التكرمَ والسخاءَ أحبه الناس، واقترب من الله ومن الجنة، وسلم من الهم والغم وضيق الصدر، وترقى في مدارج الكمال ومراتب الفضيلة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن ترك الكبر، ولَزِمَ التواضع كمل سؤدده، وعلا قدره، وتناهى فضله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم في الصحيح: **«وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ»**.

ومن ترك المنام ودفأه ولذته، وقام يصلي لله ﷻ عوَّضه الله فرحًا، ونشاطًا، وأنسًا.

ومن ترك التدخينَ، وكافةَ المسكراتِ والمخدراتِ أعانه الله، وأمده بألطاف من عنده، وعوَّضه صحةً وسعادةً حقيقية، لا تلك السعادة الوهمية العابرة.

ومن ترك الانتقامَ والتشفِّيَ مع قدرته على ذلك عوَّضه الله انشراحًا في الصدر، وفرحًا في القلب؛ ففي العفو مِنَ الطمأنينة والسكينةِ، والحلاوةِ، وشرفِ النفس، وعزها، وترفُّعها ما ليس شيءٌ منه في المقابلة والانتقام.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم: **«وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»**.

ومن ترك صحبة السوء التي يظن أن بها منتهى أنسه، وغايةَ سروره عوَّضه الله أصحابًا أبرارًا، يجد عندهم المتعة والفائدة، وينال من جرّاء مصاحبتهم ومعاشرتهم خيري الدنيا والآخرة.

ومن ترك كثرة الطعام سلم من البطنة، وسائر الأمراض؛ لأن من أكل كثيرًا شرب كثيرًا، فنام كثيرًا، فخسر كثيرًا.

ومن ترك المماطلةَ في الدَّين أعانه الله، وسدد عنه بل كان حقًّا على الله عونُه.

ومن تركَ الغضبَ حفظ على نفسه عزتَها وكرامتَها، ونأى بها عن ذل الاعتذار، ومَغَبَّةِ الندم، ودخل في زمرة المتقين ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، أوصني، قال: **«لَا تَغْضَبْ»** رواه

البخاري.

اللَّهُمَّ حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وأصلح لنا ديننا ودنيانا، وانصر الإسلام والمسلمين، واخذل أعداء الدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ: الفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ

الحمد لله الذي لا ناقض لما بناه، ولا حافظ لما أفناه، ولا مانع لما أعطاه، ولا راد لما قضاه، ولا مظهر لما أخفاه، ولا ساتر لما أبداه، ولا مضل لمن هداه، ولا هادي لمن أعماه، أنشأ الكون بقدرته وما حواه، ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي دلنا بنبيه عليه وعرفناه، وأجلنا بالقرآن العظيم وعلمناه، وهدانا إلى بابه بتوفيق أودعناه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه ما تحركت الألسن والشفاه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الله تعالى جعل هذه الحياة دار ابتلاء وامتحان يبتلي عباده بالسراء كما يبتليهم بالضراء ويبتليهم بالخير والشر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

فلا يدوم العبد على حال واحد بل يتقلب في الخير والشر والغنى والفقر والعسر واليسر والصحة والسقم والسرور والحزن والاجتماع والافتراق وغير ذلك.

ولا شك أنه ما من أحد إلا ويبتلى بالشدة والعسر ولكن المؤمن يكون على يقين أن العسر يتبعه اليسر والشدة يتبعها الرخاء قال جل وعلا: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [بالشرح: ٥ – ٦].

قال سعيد بن مسلم:

إنما الدنيا هباتٌ ... وعوارٍ مستردةْ

شدةٌ بعد رخاءٍ ... ورخاءٌ بعد شدةْ

ولكن مهما اشتد الكرب فإن الفرج يعقبه كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ**

النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا».

قَالَ الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: قوله: **«وأن الفرج مع الكرب»** وهذا يشهد له قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره»** خرجه الإمام أحمد.

والمعنى أنه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس القطر عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة، وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده، بإنزال الغيث عليهم، وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [الروم: ٤٨ – ٤٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف: ١١٠].

وقال: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال حاكيًا عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٧]، ثم قص قصة اجتماعهم عقب ذلك.

وكم قص سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكرب كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليم، وإغراق عدوهم، وقصة أيوب ويونس، وقصص محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أعدائه، وإنجائه منهم، كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وغير ذلك.

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فإن مع العسر يسرًا﴾ هو منتزع من قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣].

وأيضًا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة فرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله[(١)]. اهـ

قال معمر: لما حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير بمكة جعلت الحجارة تضرب الحائط، فقيل له: لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر، **فقال ابن الزبير:**

هـــون عليـــك فـــإن الأمـــور ... بكـــف الإلـــه مقاديرهـــا

فلـــيس بآتيـــك منهيهـــا ... ولا قاصـــر عنـــك مأمورهـــا

وقال مسعر: إن رجلًا ركب البحر فكسر به فوقع في جزيرة من جزائر البحر فمكث فيها ثلاثًا لا يرى أحدًا ولا يأكل طعامًا ولا يشرب شرابًا فأيس من الحياة **فتمثل:**

إذا شـــاب الغـــراب أتيـــت أهلـــي ... وصـــار القـــار كـــاللبن الحليـــب

فأجابه مجيب يقول:

عســى الكــرب الــذي أمســيت فيــه ... يكـــون وراءه فـــرج قريـــب

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/٤٩٠) بتصرف.

فنظر فإذا سفينة في البحر فلوح لهم فأتوه فحملوه وأصاب معهم خيرًا ورجع إلى أهله سالمًا.

وقال المنتصر بْن بلال الأنصاري:

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خليقته أمرُ
عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى ... له فرجًا مما ألح به العسرُ
إذا اشتد عسرٌ فارج يسرًا فإنه ... قضى الله أن العسر يتبعه اليسرُ

وقال آخر:

إن الأمور إذا سدت مطالبُها ... فالصبر يفتق منها كل ما رُتجا
لا تيأسَنَّ وإن طالت مطالبةٌ ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجًا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمنُ القرعِ للأبواب أن يلجا

ولتسهيل المصائب[1] وتخفيف الشدائد أسباب إذا قارنت حزمًا، وصادفت عزمًا، هان وقعها، وقل تأثيرها وضررها.

فمنها: إشعار النفس بما تعلمه من نزول الفناء وتقضي المسرة، وأن لها آجالًا منصرمة ومددًا منقضية، إذ ليس للدنيا حال تدوم ولا لمخلوق فيها بقاء.

وروى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما مثلي ومثل الدنيا إلا كمثل راكب مال إلى ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها**».

وسئل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الدنيا؟ فقال: تغر، وتضر، وتمر.

ومنها: أن يتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم، وأنها تقدر بأوقات لا تنصرم قبلها، ولا تستديم بعدها، فلا تقصر بجزع ولا تطول بصبر، وأن كل يوم يمر بها يذهب منها

---

(١) «أدب الدنيا والدين» ص(٢٩١) بتصرف.

بشطر ويأخذ منها بنصيب، حتى تنجلي وهو عنها غافل.

وحُكي أن بعض الأمراء حبس رجلًا ثم سأل عنه بعد زمان، فقال للموكل به: قل له كل يوم يمضي من نعمه يمضي من بؤسي مثله، والأمر قريب والحكم لله تعالى.

ومنها: أن يعلم أن في ما وُقِي من الرزايا، وكُفِي من الحوادث، ما هو أعظم من رزيته وأشد من حادثته؛ ليعلم أنه ممنوح بحسن الدفاع. ولذلك قيل: **«إن لله تعالى في أثناء كل محنة منحة»**.

وقيل للشعبي في نائبة كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين: خير منشور وشر مستور.

وقال بعض الشعراء:

لا تكـــره المكـــروه عنـــد حولـــه ... إن العواقـــب لم تـــزل متباينـــة

كـــم نعمـــة لا تســـتقل بشـــكرها ... لله في طـــي المكـــاره كامنـــة

ومنها: أن يتأسى بذوي الغِيَر، ويتسلى بأولي العبر، ويعلم أنهم الأكثرون عددًا والأسرعون مددًا، فيستجد من سلوة الأسى وحسن العزى ما يخفف شجوه، ويُقل هلعه.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألصقوا بذوي الغير تتسع قلوبكم.

قال أبو نواس:

المـــرء بـــين مصـــائب لا تنقضـــي ... حتـــى يـــوارى جســـمه في رمســـهِ

فمؤجـــل يلقـــى الـــردى في أهلـــه ... ومعجـــل يلقـــى الـــردى في نفســـهِ

ومنها: أن يعلم أن النعم زائرة، وأنها لا محالة زائلة، وأن السرور بها إذا أقبلت مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت، وأنها لا تفرح بإقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا، فعلى قدر السرور يكون الحزن.

ومنها: أن يعلم أن سروره مقرون بمساءة غيره، وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره.

إذ كانت الدنيا تنقل من صاحب إلى صاحب، وتصل صاحبًا بفراق صاحب، فتكون سرورًا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته.

وقد قيل: **«ما قرعت عصا على عصا إلا فرح لها قوم وحزن آخرون»**.

وقال البحتري:

مـــتى أرت الـــدنيا نباهـــة خامـــل ... فـــلا ترتقـــب إلا خمـــول نبيـــه

وقال المتنبي:

بـــذا قضـــت الأيام مـــا بـــين أهلهـــا ... مصـــائب قـــوم عنـــد قـــوم فوائـــد

ومنها: أن يعلم أن طوارق الإنسان من دلائل فضله، ومحنه من شواهد نبله. وغير ذلك من الأسباب التي يتسلى بها المصاب.

واعلم أنه قل من صبر على حادثة وتماسك في نكبة إلا كان انكشافها وشيكًا، وكان الفرج منه قريبًا.

قال الماوردي: أخبرني بعض أهل الأدب أن أبا أيوب الكاتب حبس في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقل صبره، فكتب إلى بعض إخوانه يشكو له طول حبسه، **فرد عليه جواب رقعته بهذا:**

صـــبرًا أبا أيـــوب صـــبر مـــبرح ... فـإذا عجـزت عـن الخطـوب فمـن لهـا

إن الـذي عقـد الـذي انعقـدت لـه ... عقـد المكـاره فيـك يملـك حلهـا

صـبرًا فـإن الصـبر يعقـب راحـة ... ولعلهـــا أن تنجلـــي ولعلهـــا

فأجابه أبو أيوب يقول:

صـــبرتني ووعظتـــني وأنا لهـــا ... وســتنجلي بـــل لا أقـــول لعلهـــا

ويحلهـا مـن كـان صـاحب عقـدها ... كرمًـا بـه إذ كـان يملـك حلهـا

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلا أيامًا حتى أطلق مكرمًا.

وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم:

إذا اشـتملت علـى اليـأس القلـوب ... وضـاق لمـا بـه الصـدر الرحيـبُ

وأوطنـــت المكـــاره واطمأنـــت ... وأرســـت في مكانتهـــا الخطـــوبُ

ولم تـرَ لانكشـاف الضـر وجهًـا ... ولا أغـــنى بحيلتـــه الأريـــبُ

أتاك علـى قنـوط منـك غـوث ... يمـــن بـــه اللطيـــف المســـتجيبُ

وكـــــل الحـــــادثات إذا تناهـــــت فموصـــــول بهـــا الفـــرج القريـــبُ

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين في كل مكان وأن يكشف عنا الضر والبلوى وأن يتولى جميع أمورنا ما ظهر منها وما بطن، وأن يغفر لنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ: فِي زَكَاةِ الفِطْرِ

الحمدُ لله العليم الحكيم، العليِّ العظيم، خلقَ كلَّ شَيْءٍ فقدَّره تقديرًا، وأحْكَمَ شرائعَه ببالغِ حكمتِهِ بيانًا للْخَلق وتَبْصيرًا، أحمدُه على ص٢فاتِه الكامِلة، وأشكرُه على آلائِه السابغة، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وحده لا شريكَ له لَهُ الملكُ وله الحمدُ وهوَ على كلِّ شَيْء قدير، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير، صلَّى الله عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ المآبِ والمصِير، وسلَّم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، إن شهرَكُمُ الكريمَ قد عزَم على الرحيل، ولم يبقَ منه إلاَّ الزمنُ القليلُ، فمَنْ كان منكم محسِنًا فليحمدِ اللهَ على ذلك ولْيَسْألْه القَبولَ، ومَنْ كان منكم مهملًا فلْيتبْ إلى اللهِ ولْيَعْتَذِرْ من تقصيرِه فالعذرُ قبْلَ الموتِ مَقْبولٌ.

إخـواني، إن الله شرعَ لكم في ختامِ شهرِكم هذا أنْ تؤَدُّوا زكاةَ الفطر قبْلَ صلاةِ العيدِ، وسنتكلم في هذا المجلسِ عن حُكْمِها وحكمتِها وجنسِها ومقدارِها ووقتِ وجوبِها ودفعِها ومكانِها.

فأما حكمُها فإنها فريضةٌ فرضَها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المسلمينَ، وما فرضَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوْ أمَرَ به فلَهُ حكمُ ما فرضَه الله تعالى أو أمَرَ به.

قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء: ٨٠].

وهيَ فريضةٌ على الكبيرِ والصغيرِ والذكرِ والأُنثى والحرِّ والعَبْدِ من المسلمينَ.

قال عبدُ الله بنُ عَمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فرض رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاة الفطر من رمضانَ صاعًا من تَمْرٍ أو صاعًا من شعيرٍ على العبدِ والحرِّ والذكر والأنثى والصغيرِ والكبيرِ من المسلمين. متفق عليه.

ولا تجبُ عن الحمل الذي في البطن إلاَّ أنْ يتطوعَ بها فلا بأسَ، فقدْ كانَ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرجُها عن الحمل.

ويجبُ إخراجُها عن نفسِه وكذلك عمن تَلْزَمُه مَؤُونَتُه من زوجةٍ أو قريبٍ إذا لم

يستطيعوا إخراجَها عن أنفسِهم، فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجُوهَا عن أنفسِهم لأنَّهُم المخاطَبُون بها أصْلًا، ولا تَجِبُ إلاَّ على مَنْ وَجَدَها فاضلةً زائدةً عما يحتاجُه من نفقةِ يومِ العيدِ وليلتِه.

فإنْ لم يجد إلاَّ أقلَّ من صاعٍ أخْرَجَه لقولِه تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقولِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتُوا منه ما استطعتم»** متفق عليه.

وأما حِكمتُها فظاهرةٌ جدًّا ففيها:

إحسانٌ إلى الفقراءِ وكفٌّ لهم عن السؤالِ في أيام العيدِ ليُشَاركوا الأغنياءَ في فرحِهم وسرورِهم بِه ويكونَ عيداً للجميع.

وفيها الاتصافُ بخلق الكرمِ وحبِّ المواساة وفيها تطهيرُ الصائمِ مما يحصلُ في صيامِه من نقصٍ ولَغْوٍ وإثْمٍ، وفيها إظهارُ شكرِ نعمةِ الله بإتْمامِ صيامِ شهرِ رمضانَ وقيامِه وفعلِ ما تَيَسَّرَ من الأعمالِ الصالحةِ فيه.

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فرضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاةَ الفطرِ طُهرةً للصائمِ من اللغوِ والرفثِ وطعمةً للمساكين، فمن أدَّاها قبل الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ من الصدقاتِ. رواه أبو داودَ وابنُ ماجه.

وأمَّا جنسُ الواجبِ في الفطرةِ فهو طعامُ الادميين من تمرٍ أوْ بُرٍّ أوْ رزٍّ أو زبيبٍ أوْ أقِطٍ أو غيرها من طعامِ بَنِي آدمَ، ففي الصحيحين من حديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فرضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاةَ الفطر من رمضانَ صاعًا من تمرٍ أوْ صاعًا من شعيرٍ، وكانَ الشَّعيرُ يومَذَاك مِنْ طعامِهم كما قال أبو سعيدٍ الخدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا نُخْرِجُ يومَ الفطرِ في عهدِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاعًا من طعامٍ وكان طعامُنَا الشعيرَ والزبيبَ والأقِطَ والتمرَ. رواه البخاري.

فلا يُجزِئُ إخراجُ طعامِ البهائمِ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضَها طعمةً للمساكين لا للبهائم.

ولا يجزئُ إخراجُها من الثياب والفُرُش والأواني والأمتعةِ وغيرِهَا مما سوى طعام

الآدميين لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضَها من الطعامِ فلا يُتَعَدَّى ما عيَّنَه الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يُجزِئُ إخراجُ قيمةِ الطعامِ لأنَّ ذلك خلافُ ما أَمَرَ به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ثبتَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: **«مَنْ عَمِلَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»**، وفي روايةٍ: **«من أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ»**، رواه مسلم، وأصلُه في الصحيحين، ومعنى رَدٌّ مردودٌ.

ولأنَّ إخراجَ القيمةِ مخالف لعمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث كانوا يخرجونَها صاعًا من طعامٍ، وقد قال النَبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عليكم بسُنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ من بعْدِي»**.

ولأن زكاةَ الفطرِ عبادةٌ مفروضةٌ مِن جنسٍ مُعيَّن فلا يجزئُ إخراجها من غير الجنسِ المعيَّن كما لا يُجْزئُ إخراجها في غير الوقتِ المعيَّنِ.

ولأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيَّنَها من أجناسٍ مختلفةٍ وأقْيامُها مختلَفةٌ غالبًا.

فلو كانت القيمةُ معتبرةً لكان الواجبُ صاعًا من جنسٍ وما يقابلُ قيمتَه من الأجناس الأخْرَى.

ولأنَّ إخراج القيمةِ يُخْرِجُ الفطرةَ عن كَوْنِها شعيرةً ظاهرةً إلى كونها صدقةً خفيةً فإن إخراجَها صاعًا من طعامٍ يجعلُها ظاهرَةً بين المسلمينَ معلومةً للصغير والكبير يشاهدون كَيْلها وتوزِيعَها ويتعارفونها بينهم بخلاف ما لو كانت دراهم يُخْرِجها الإنسانُ خفية بينه وبين الآخذ.

وأما مقدارُ الفطرةِ فهو صاعٌ بصاعِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يبلغُ وَزْنُه بالمثاقيلِ أربعَمائةٍ وثمانينَ مِثقالًا مِن الْبُرِّ الْجيِّد وبالغرامات كِيْلوَين اثنين وخُمُسَيْ عُشْر كِيْلو من البرِّ الجيِّد، وذلك لأنَّ زنَةَ المثقالِ أربعةُ غراماتٍ ورُبُعٌ فيكون مبلغُ أربعمائةٍ وثمانين مثقالًا ألْفَيْ غرام وأربعين غرامًا.

فإذا أراد أن يعرفَ الصاع النبويَّ فلْيزن كيلوينِ وأربعين غِرامًا من البُرِّ الجيِّد ويضعها

في إناءٍ بقدرِها بحيثُ تَملَّؤُه ثم يَكيلُ به، وقيل كيلوين ونصف، وهو الأحوط والأبرأ للذمة.

وأما وقتُ وجوبِ الفطرةِ فهو غروبُ الشمسِ ليلةَ العيدِ، فمن كان مِنْ أهلِ الوجوبِ حينذَاك وجبتْ عليه وإلاَّ فلا.

وعلى هذا فإذا مات قبلَ الغروب ولو بدقائقَ لم تجب الفطرةُ.

وإن ماتَ بعدَه ولو بدقائقَ وجبَ إخراجُ فطرتِه، ولَوْ وُلِدَ شخصٌ بعدَ الغروب ولو بدقائقَ لم تجبْ فطرتُه، لكنْ يسن إخراجُها كما سبقَ وإن وُلِدَ قبل الغروبِ ولو بدقائقَ وجب إخراج الفطرةِ عنه.

وإنما كان وقتُ وجوبها غروبَ الشمس من ليلةِ العيدِ لأنَّه الوقت الذي يكونُ به الفطرُ من رمضان وهي مضافَةٌ إلى ذلك فإنه يقالُ: زكاةُ الفطرِ من رمضانَ فكانَ مناط الحكم ذلك الوقتُ.

وأمَّا زمنُ دفعِها فله وقتانِ: وقتُ فضيلةٍ ووقتُ جوازٍ.

فأمَّا وقتُ الفضيلةِ: فهو صباحُ العيدِ قبلَ الصلاةِ لما في صحيح البخاريِّ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنَّا نُخْرِجُ في عهدِ النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يومَ الفطرِ صاعاً من طعامٍ**»، وفيه أيضًا من حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أنَّ النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أمَرَ بزكاةِ الفطر أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاةِ**» ورواه مسلم وغيره.

ولذلك كان من الأفضل تأخيرُ صلاةِ العيد يومَ الفطرِ ليتسعَ الوقتُ لإخراج الفطرةِ.

وأمَّا وقتُ الجوازِ فهو قبْل العيدِ بيوم أو يومين.

ففي صحيح البخارَيِّ عن نافع قال: كانَ ابنُ عمرَ يعْطِي عن الصغير والكبير حتى وإنْ كانَ يعطِي عن بَنِيَّ، وكان يُعْطِيها الَّذِين يَقْبلونَها، وكانُوا يُعْطَون قبْلَ الفطرِ بيومٍ أو يومين.

ولا يجوزُ تأخيرُها عن صلاةِ العيدِ فإنْ أخَّرها عن صلاةِ العيدِ بلا عُذرٍ لم تُقْبَلْ منه لأنه خلافُ ما أمَرَ به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد سبق من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ مَنْ أدَّاها قبْلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ ومن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقةٌ مِنَ الصدقاتِ أمَّا إن أخَّرها لعذرٍ فلا بأسَ، مثلُ أن

يصادفَه العيدُ في الْبَرِّ ليس عنده ما يدفعُ منه أو ليسَ عنده مَنْ يدفُع إليه، أو يأتي خبرُ ثبوتِ العيدِ مفاجِئاً بحيثُ لا يَتَمَكَّنُ مِن إخراجها قبْلَ الصلاةِ أو يكون معتمداً على شخصٍ في إخراجها فينسى أنْ يُخْرِجَهَا فلا بأسَ أن يخرجها ولو بعدَ العيدِ لأنَّه معذورٌ في ذلك.

والواجبُ أنْ تصلَ إلى مستحقِّها أو وكيْلِهِ في وقتِها قبلَ الصلاةِ، فلو نَوَاها لشخصٍ ولم يصادفْه ولا وكِيْلَه وقتَ الإخراجِ فإنه يدفعها إلى مستحق آخرَ ولا يؤخِّرُها عن وقتِهَا.

وأما مكانُ دفِعها فتدفعُ إلى فقراءِ المكانِ الَّذِي هو فيه وقت الإخراج سواءٌ كانَ محل إقامتِهِ أو غَيرَه من بلادِ المسلمينَ لا سيَّما إن كانَ مكاناً فاضلاً كَمكَّة، والمدينةِ، أو كانَ فقراؤه أشدَّ حاجةً.

فإن كان في بلدٍ ليس فيه مَنْ يدفعُ إليه أو كانَ لا يعرفُ المستحِقينَ فيه وكَّلَ من يدفعها عنه في مكانٍ فيه مستَحِقٌّ.

والمستحِقُّون لزكاةِ الفطرِ هُمْ الفقراءُ ومَنْ عليهم ديونٌ لا يستطيعونَ وفاءَها فيُعْطَون منها بقدر حاجتِهم.

ويجوزُ توزيعُ الفطرةِ على أكثرَ من فقيرٍ.

ويجوزُ دفعُ عددٍ من الْفِطَر إلى مسكينٍ واحدٍ، لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَّر الواجبَ ولم يقدِّر مَنْ يدفعُ إليهِ، وعلى هذا لو جَمَعَ جماعةٌ فطرَهم في وعاءٍ واحدٍ بعدَ كيلها وصارُوا يدفُعون منه بلا كيلٍ ثانٍ أجْزَأهم ذلك، لكنْ ينبَغِي إخبار الفقِير بأنَّهم لا يعلمُون مقدارَ ما يدفعون إليه لئَلاَّ يَغْتَرَّ به فيدفعه عن نفسه وهو لا يدري عن كيلِه.

ويجوز للفقير إذا أخَذَ الفطرةَ من شخصٍ أن يدفَعَهَا عن نفسِه أو أحدٍ من عائلتِهِ إذا كالَهَا أو أخبرَه دافعها أنَّها كاملةٌ ووَثِقَ بِقَوْلِه.

اللَّهُمَّ وفِّقْنا للقيام بطاعتِك على الوجهِ الَّذِي يرضيكَ عنَّا، وَزَكِّ نفوسَنا وأقوالَنا وأفعالَنَا وطهِّرنَا من سوءِ العقيدةِ والقولِ والعملِ إنك جوادٌ كريمٌ.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين[١].

(١) «مجالس شهر رمضان» ص(٢٠٧) بتصرف يسير.

الدرس السابع والخمسون: التوبة

الحمدُ لله الَّذِي نَصب من كلِّ كائنٍ على وَحْدانيتِه بُرهانًا، وتصرَّفَ في خليقَتِه كما شاءَ عزًّا وسُلطانًا، واختارَ المتقينَ فوَهبَ لهم أمنًا وإيمانًا، وعمَّ المذنبينَ بحلْمِه ورحمتِه عفْوًا وغُفرانًا، ولم يَقطعْ أرزاقَ أهلِ معصيتِه جودًا وامتنانًا، روَّح أهلَ الإخلاصِ بنسيم قربه، وحذَّر يومَ الحساب بجسيمِ كربِه، وحفظ السالكَ نحوَ رضاه في سِرْبه، وأكرَمَ المؤمنَ إذْ كتب الإيمانَ في قلبِه.

أحمدُه حمدَ عابدٍ لربه، معتذرٍ إليه من تقصيرِهِ وذنبِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مُخلِصٍ من قلبِه، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه المصطفى من حِزبه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبِه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، اختمُوا شهرَ رمضانَ بالتوبةِ إلى الله من معاصِيْه، والإنابةِ ثم قالَ من شدَّةِ الفرح: **«اللَّهُمَّ أنتَ عبدي وأنا ربُّك أخطأ من شدَّةِ الفرح»** رواه مسلم.

وإنما يفرحُ سبحانَه بتوبةِ عبدِه لمحبَّتِه للتوبةِ والعفْوِ ورجوعِ عبدِه إليه بعد هَربِه منه، وعن أنس وابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أنَ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«لو أن لابن آدم واديًا من ذهبٍ أحبَّ أن يكونَ له وادِيَانِ ولن يملأ فَاه إلاَّ الترابُ ويتوبُ الله على مَن تابَ»** متفق عليه.

فالتوبةُ هي الرجوعُ من معصية الله إلى طاعتِه لأنَّه سبحانه هو المعبودُ حقًا، وحقيقةُ العُبوديةِ هي التذللُ والخضوعُ للمعبودِ محبةً وتعظيمًا، فإذا حصلَ مِنَ العبدِ شرودٌ عن طاعةِ ربِّه فتوبتُه أن يرْجعَ إليه ويقفَ ببابِه موقفَ الفقيرِ الذليلِ الخائف المنكسرِ بينَ يديه.

والتوبةُ واجبةٌ على الفَوْرِ لا يجوزُ تأخيرُها ولا التسويفُ بها، لأنَّ الله أمَرَ بها ورسولُه، وأوَامِرُ الله ورسولِهِ كلُّها على الفورِ والمبادرةِ لأنَّ العبدَ لا يدري ماذا يحصلُ له بالتأخيرِ، فلعلَّهُ أن يفجأه الموتُ فلا يستطيعُ التوبةَ، ولأنَّ الإصرارَ على المعصيةِ يوجبُ قَسْوةَ القلب وبُعْدَه عن الله عَزَّوَجَلَّ وضعفَ إيمانه، فإنَّ الإيمانَ يزيْد بالطاعاتِ وينقصُ بالعصيانِ، ولأنَّ الإصرارَ على المعصيةِ يوجبُ إلْفَهَا والتَّشبُّثَ بها، فإنَّ النفسَ إذا اعتادتْ على شيء صعُب

عليها فِراقُه وحينئذٍ يعسرُ عليه التخلصُ من معصيتِه ويفتحُ عليه الشيطانُ بابَ معاصٍ أخرى أكبرَ وأعظمَ مما كانَ عليه.

ولِذَلِكَ قال أهلُ العلم وأربابُ السلوكِ: إن المعاصيَ بَرِيدُ الكفر ينتقلُ الإنسانُ فيها مرحلةً مرحلةً حتى يزيغَ عن دينِه كلِّه نسأل الله العافيةَ والسلامةَ.

والتوبةُ التي أمر الله بها هي التوبةُ النصوحُ التي تشتمِلُ على شرَائطِ التوبةِ وهي خمسةٌ:

الأولُ: أن تكونَ خالِصةً لله ﷻ بأن يكونَ الباعِثُ لها حبَّ الله وتعظيمَه ورجاءَ ثوابِه والخوفَ من عقابِه، فلا يريدُ بها شيئًا من الدَنيا ولا تزَلُّفًا عند مخلوقٍ، فإن أراد هذَا لم تقبلْ توبتُه لأنَّه لم يَتُبْ إلى الله وإنما تابَ إلى الغرضَ الَّذِي قصدَه.

الثاني: أن يكونَ نادماً حزِناً على ما سلفَ من ذنبه يتمنَّى أنه لم يحصلْ منه لأجلِ أن يُحدثَ له ذلكَ الندمُ إنابةً إلى الله وانكسارًا بينَ يديه ومَقْتًا لنفسه التي أمَرَتْه بالسوءِ فتكونُ توبتُه عن عقيدةٍ وبصيرةٍ.

الثالثُ: أنْ يُقْلِعَ عن المعصيةِ فورًا، فإن كانتِ المعصيةُ بفعلِ محرمٍ تَرَكَهُ في الحالِ، وإن كانتْ المعصيةُ بتركِ واجبٍ فَعَله في الحالِ إنْ كان مما يمكن قضاؤه كالزكاةِ والحجِّ، فلا تصحُّ التوبةُ مع الإصرارِ على المعصيةِ فلو قال: إنه تابَ من الرِّبا مثلًا وهو مستمرٌ على التعامُل به لم تصحَّ توبتُه ولم تكنْ هذه إلاَّ نَوْعَ استهزاءٍ بالله وآياتِه لا تزيدُه مِنَ الله إلاَّ بُعدًا.

ولو تابَ من تركِ الصلاةِ مع الجماعةِ وهو مستمرٌ على تركِها لم تصح توبتُه.

وإذا كانتِ المعصيةُ فيما يتعلقُ بحقوقِ الخلقِ لم تصحَّ التوبةُ منها حتى يتخلَّصَ من تلك الحقوقِ، فإذا كانتْ معصيتُه بأخذِ مالٍ للغيرِ أو جحدِه لم تصح توبتُه حتى يؤدِّيَ المالَ إلى صاحبِه إن كان حيًّا أو إلى ورثتِه إن كان ميتًا، فإن لم يكنْ له ورثةٌ أدَّاهُ إلى بيت المالِ، وإن كانَ لا يدري مَنْ صاحبُ المالِ تصدَّقَ به له والله سبحانَه يعلمُ بِه، وإن كانتْ معصيتُه بغِيْبَةِ مسلم وجبَ أن يَسْتحلَّهُ من ذلك إن كانَ قد علمَ بِغيبتِه إيَّاه أو خافَ أن يَعلَمَ بِها وإلاَّ استغفَرَ له وأثْنَى عليهِ بصفاتِه المحمودةِ في المجلسِ الَّذِي اغتابَه فيه فإن الحسناتِ يُذْهِبْن السيئاتِ.

الرابعُ: أن يعزمَ على أن لا يعودَ في المستقبل إلى المعصيةِ؛ لأنَّ هذه ثمرةُ التوبةِ ودليلُ صِدْقِ صاحبِها.

فإن قالَ: إنه تائبٌ وهو عازمٌ أو متردِّدٌ في فعلِ المعصيةِ يومًا مَّا لم تصح توبتُه لأنَّ هذه توبةٌ مُؤقَّتةٌ يتحَّينُ فيها صاحبُها الْفُرَصَ المناسبةَ ولا تدل على كراهيتِهِ للمعصيةِ وفرارِه منها إلى طاعةِ الله ﷻ.

الخامسُ: أن لا تكونَ بَعْدَ انتهاءِ وقتِ قبولِ التوبةِ، فإن كانتْ بعد انتهاءِ وقتِ القبولِ لم تُقْبَلْ.

وانتهاءُ وقتِ القبولِ نوعانِ: عامٌّ لكلِّ أحدٍ وخاصٌّ لكلِّ شخصٍ بنفسِه.

فأما العامُّ: فهو طلوعُ الشمسِ من مغربها، فإذا طلعتْ الشمسُ من مغربها لم تنفع التوبةُ.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والمرادُ ببعضِ الآياتِ طلوعُ الشمس من مغربها، فسَّرَها بذلك النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تزال التَّوبَةُ تُقْبَلُ حَتَّى تطلعَ الشَّمسُ من مغربها، فإذا طلعتْ طُبعَ على كُلِّ قلبٍ بِما فيهِ وكفَى الناسَ العملُ»**.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : حسنُ الإسنادِ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ تابَ قبلَ أن تطلُعَ الشمس مِنْ مغربِها تاب الله عليه»** رواه مسلم.

وأما الخاصُّ: فهو عندَ حضورِ الأجلِ فمتَى حضر أجلُ الإنسانِ وعاينَ الموتَ لم تنفعْه التوبةُ ولم تُقْبلْ منه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨].

وعن عبدِ الله بن عمرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله يَقْبَلُ تَوبةَ العبدِ ما لَمْ يُغرغِرْ**» يعني بِرُوحِه، رواه أحمدُ والترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وَمَتَى صحَّتِ التوبةُ باجتماع شروطِها وقُبِلتْ محا الله بها ذَلِكَ الذَّنْبَ الَّذِي تابَ منه وإنْ عَظُمَ.

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذه الآيةُ في التائبينَ المنيبينَ إلى ربِّهم المسلِمين لَهُ.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٠].

فبادِرُوا رَحِمَكم الله أعماركم بالتوبةِ النصوحِ إلى ربِّكم قبل أن يفجأكم الموتُ فلا تستطِيعون الخلاص.

اللَّهُمَّ وفقْنَا للتوبةِ النصوحِ التي تمْحُو بها ما سلَفَ من ذنوبنا ويسِّرْنَا لليُسْرى، وجنِّبْنَا العسرى، واغفرْ لنا ولوالِدِينا ولجميع المسلمينَ في الآخِرةِ والأولى، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ.

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه أجمعين[(١)].

(١) «مجالس شهر رمضان» ص(٢١٥) بتصرف.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ: فِي وَدَاعِ رَمَضَانَ

الحمدُ للهِ الواسعِ العظيم، الجوادِ البَرِّ الرَّحِيم، خلقَ كُلَّ شَيْءٍ فقدَّره، وأنزلَ الشرعَ فَيَسَّره وهو الحكيمُ العليم، بدأ الخلقَ وأنهاه، وسيَّر الفَلَكَ وأجراه، ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٨ – ٤٠].

أحمدُهُ على ما أوْلى وهدَى، وأشكرهُ على ما وهبَ وأعطَى، وأشهدُ أنه لا إله إلاَّ هو الملك العليُّ الأعلى، الأولُ الَّذِي ليس قَبْلَه شَيْء، والآخِرُ الَّذِي ليس بَعْدَه شيء، والظاهرُ الَّذِي ليس فوقَه شيء، والباطِنُ الَّذِي ليس دونَه شيء، وهو بكلِّ شيء عليم، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه المصطفى على المرسلين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا.

أما بعد:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

والتكفير بصيامه قد ورد مشروطًا بالتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ منه والجمهور على أن ذلك إنما يكفر الصغائر.

ويدل عليه ما خرجه مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصلوات الخمس الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**».

وفي تأويله قولان:

أحدهما: أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناب الكبائر فمن لم يجتنب الكبائر لم

تكفر له الأعمال كبيرة ولا صغيرة.

والثاني: أن المراد أن هذه الفرائض تكفر الصغائر خاصة بكل حال وسواء اجتنبت الكبائر أو لم تجتنب وأنها لا تكفر الكبائر بحال.

وقد قال ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قيام ليلة القدر: إنه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها.

وقال غيره مثل ذلك في الصوم أيضًا.

والجمهور على: أن الكبائر لا بد لها من توبة نصوح فدل حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على: أن هذه الأسباب الثلاثة كل واحد منها مكفر لما سلف من الذنوب وهي: صيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر.

فقيام ليلة القدر بمجرده يكفر الذنوب لمن وقعت له وسواء كانت أول العشر أو أوسطه أو آخره وسواء شعر بها أو لم يشعر ولا يتأخر تكفير الذنوب بها إلى انقضاء الشهر، وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر فإذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه فيترتب له على ذلك مغفرة ما تقدم من ذنبه بتمام السببين وهما صيامه وقيامه.

ومن نقص من العمل الذي عليه نقص من الأجر بحسب نقصه فلا يلم إلا نفسه.

قال سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قيل في المطففين.

فالصيام وسائر الأعمال على هذا المنوال من وفاها فهو من خيار عباد الله الموفين ومن طفف فيها فويل للمطففين.

أما يستحي من يستوفي مكيال شهواته ويطفف في مكيال صيامه وصلاته ألا بَعُدَ لمدين.

وفي الحديث: **«أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته»** إذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا فكيف حال من طفف مكيال الدين: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ

سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

غـــدًا تـــوفى النفـــوس مـــا كســـبت ... ويحصـــد الزارعـــون مـــا زرعـــوا

إن أحســـــنوا أحســـــنوا لأنفســـــهم ... وإن أســـاءوا فبـــئس مـــا صـــنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وعن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال ابن دينار: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل.

وقال عطاء السلمي: الحذر الاتقاء على العمل أن لا يكون لله.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا.

قال بعض السلف: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم.

وعن ابن مسعود أنه كان يقول: من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه أيها المقبول هنيئا لك أيها المردود جبر الله مصيبتك.

شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران فمن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر فيه كما سبق.

ومنها: تفطير الصوام.

ومنها: الذكر.

ومنها: الاستغفار والاستغفار طلب المغفرة.

ودعاء الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره.

فلما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي تفوته المغفرة فيه محروما غاية الحرمان، وفي صحيح ابن حبان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: **«آمِينَ آمِينَ آمِينَ»** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»**.

وقال سعيد عن قتادة: كان يقال: من لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له فيما سواه.

ترحل الشهر والهفاه وانصرما ... واختص بالفوز في الجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرًا ... مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرما
من فاته الزرع في وقت البدار فما ... تراه يحصد إلا الهمَّ والندما

لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبًا على صيام رمضان وقيامه أمر الله ﷻ عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام وإعانتهم عليه ومغفرته لهم وعتقهم من النار أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته.

وقد فسر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقواه حق تقواه **«بأن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر»**.

فيا أرباب الذنوب العظيمة الغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة فما منها عوض ولا يستطاع لها قيمة فكم يعتق فيها من النار من ذي جريرة وجريمة فمن أعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة.

يا من أعتقه مولاه من النار إياك أن تعود بعد أن صرت حرًا إلى رق الأوزار أيبعدك

مولاك من النار وتتقرب منها وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها.

وإن امرأ ينجو من النار بعد ما ... تزود من أعمالها لسعيد

والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل ويختم به المجالس فإن كانت ذكرًا كان كالطابع عليها وإن كانت لغوًا كان كفارة لها فكذلك ينبغي أن تختم صيام رمضان بالاستغفار.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث.

وعن ابن المنكدر معنى ذلك: الصيام جنة من النار ما لم يخرقها والكلام السيء يخرق هذه الجنة والاستغفار يرقع ما تخرق منها فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع وعمل صالح له شافع كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع كم نرقع خروقه بمخيط الحسنات ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه إذا كان هذا حال المحسنين في عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا في عباداتهم ارحموا من حسناته كلها سيئات وطاعاته كلها غفلات.

عباد الله، إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل ولم يبق منه إلا القليل فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام فاغتنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام واستودعوه عملًا صالحًا يشهد لكم به عند الملك العلام وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

سلامٌ مِن الرَّحْمَنِ كُلَّ أَوَانِ ... عَلَى خَيرِ شَهْرٍ قَد مَضَى وَزَمَانِ
سَلَامٌ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ ... أَمَانٌ مِن الرَّحْمَنِ كُلَّ أَمَانِ
لَئِنْ فَنِيَتْ أَيَّامُكَ الغُرُّ بَغْتَةً ... فَمَا الحُزْنُ مِن قَلْبِي عَلَيْكَ بِفَانِ

لقد ذهبت أيامه وما أطعتم، وكتبت عليكم فيه آثامه وما أضعتم، وكأنكم بالمشمرين

فيه وقد وصلوا وانقطعتم أترى ما هذا التوبيخ لكم أو ما سمعتم[١].

اللّٰهُمَّ اغفر لنا وتجاوز عنا واختم لنا بالحسنى وتقبل صيامنا وقيامنا واجعلنا من عتقائك من النار يا عزيز يا غفار.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ملخص من كلام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «لطائف المعارف».

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ: الاسْتِمْرَارُ عَلَى الطَّاعَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ وَصِيَامُ سِتٍّ مِن شَوَّالٍ

الحمد لله رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنزل الكتاب، حفظ الأرض بالجبال من الاضطراب، وقهر الجبارين وأذل الصعاب، وسمع خفي النطق ومهموس الخطاب، وأبصر فلم يستر نظره حجاب، أنزل القرآن يحث فيه على اكتساب الثواب، وزجر عن أسباب العقاب ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها يوم الحساب وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى الآل والأصحاب وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

إخــواني، إنه وإن انْقَضَى شهرُ رمضانَ فإن عمل المؤمنِ لا ينقضِي قبْلَ الموت.

قال الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا مات العبدُ انقطعَ عملُه»**، فلم يَجْعلْ لانقطاع العملِ غايةً إلاّ الموتَ، فلئِن انقضى صيامُ شهرِ رمضانَ فإن المؤمنَ لن ينقطعَ من عبادةِ الصيام بذلك، فالصيام لا يزالُ مشروعاً ولله الحمد في العام كلِّه.

فقد أخرج مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»**.

وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة كما ورد ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجوه متعددة وأكثر الناس في

صيامه للفرض نقص وخلل فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها فمن عمل حسنة ثم اتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب.

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: **«أفلا أكون عبدا شكورًا»**.

وقد أمر الله ﷻ عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فمن جملة شكر العبد لربه على توقيفه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرًا عقب ذلك.

ومنها: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيًا.

وقيل لبشر: إن قومًا يتعبدون ويجتهدون في رمضان فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقًا إلا في شهر رمضان إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها.

سئل الشبلي: أيما أفضل رجب أم شعبان؟ فقال: كن ربانيًا ولا تكن شعبانيًا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمله ديمة وسئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هل كان يخص يوما من الأيام؟ فقالت: **«لا كان عمله ديمة»**.

وعمل المؤمن لا ينقضي حتى يأتيه أجله.

قال الحسن: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلًا دون الموت ثم قرأ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

هذه الشهور والأعوام، والليالي والأيام كلها مقادير الآجال، ومواقيت الأعمال، ثم تنقضي سريعًا، وتمضي جميعًا، والذي أوجدها وابتدعها، وخصها بالفضائل وأودعها، باق لا يزول، ودائم لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيب مشاهد، فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم، يسبغ عليهم فيها فواضل النعم ويعاملهم بنهاية الجود والكرم.

كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة تِرة، فوَ أسفاه على زمان ضاع في غير طاعته، وواحسرتاه على قلب بات في غير خدمته.

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية.

ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها وأحسن منها بعد الحسنة تتلوها وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها والنكسة أصعب من الضعفة وربما أهلكت سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات وتعوذوا به من تقلب لقلوب ومن الحور بعد الكور وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل وغني قوم بالذنوب افتقر.

يا شبان التوبة لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال ولكن لا بد من الصبر على مرارة الفطام فإن صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب من ترك شيئًا لله لم يجد فقده عوضه الله خيرًا منه: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وهذا الخطاب للشباب فأما الشيخ إذا عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح

لأن الشباب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره وهو مخاطر فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة.

وأما الشيخ فقد شارف مركبه على ساحل بحر المنون فماذا يؤمل.

نعى لك ظل الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوبُ

فكن مستعدًا لداعي الفناء ... فكل الذي هو آت قريبُ

ألسنا نرى شهوات النفو ... س تفنى وتبقى علينا الذنوبُ

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكون الذي لا يتوبُ[1]

اللَّهُمَّ ارزقنا الخُلْدَ في جنانِك، وأحِلَّ علينا فيها رضوانَك، وارزقْنا لَذَّة النظرِ إلى وجهك والشوقَ إلى لقائك من غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّة ولا فتنةٍ مُضلةٍ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «لطائف المعارف» ص(٢١٨) وما بعدها ملخصًا.

الدرس الستون: العيد أحكام وآداب

الحمد لله الملك الأعلى الكبير، الواحد الأحد السميع البصير، الخافض الرافع المعطي المانع العليم القدير، أحاط علمًا بالجليل والحقير، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، أحمده وأشكره على ما أنعم به من الخير الكثير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وله ند ولا ظهير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أهل الجد والتشمير، وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فإن الله تعالى شرع لعباده بعد أدائهم لفريضة الصيام يوما يفرحون فيه بإكمال العبادة وتمام النعمة عليهم.

وفي الحديث **«للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه»**.

فشرع الله تعالى للعباد يوم عيد الفطر يفرحون فيه أن أنعم الله تعالى عليهم بإكمال عبادة الصيام التي هي أحد أركان الإسلام.

وقد كان لأهل الجاهلية عيدان يلهون فيهما ويلعبون فأبدل الله أمة الإسلام بعيدين خير منها فروى أحمد وأبو داود عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما فقال: **«قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما فإن الله قد أبدلكم يومين خيرا منهما يوم الفطر ويوم النحر»**، وذلك لأنّ يومي الفطرِ والنحرِ بتشريع الله تعالى، واختياره لخلقه، ولأنهما يعقبان أداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام، وهما: الحج والصيام، وفيهما يغفر الله للحجاج والصائمين، وينشر رحمته على جميع خلقه الطائعين، أما النيروز والمهرجان، فإنهما باختيار حُكماء ذاك الزمان، لما فيهما من اعتدال الزمن والهواء ونحو ذلك من المزايا الزائلة، فالفرق بين المَزِيّتَيْنِ ظاهر لمن تأمل

ذلك[(١)].

فالعيد شعيرة من شعائر الإسلام تهاون به كثير من الناس وقدموا الأعياد المحدثة عليه فترى بعضهم يستعد لأعياد الميلاد وعيد الأم وغيرها ويصرف الأموال لإحيائها وفي المقابل لا قيمة لأعياد الإسلام عنده، بل ربما تمر وهو معرض عنها ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين[(٢)].

إن يوم العيد يوم سرور وفرح وحبور لمن طابت سريرته وخلصت لله نيته وتقبل الله منه العمل وغفر له الزلل.

معشر المسلمين، صلاة العيد من شعائر الدين الظاهرة، ومعالمه الظاهرة، وهي مشروعة باتفاق أهل العلم.

واختلفوا في وجوبها فذهب الجمهور إلى عدم الوجوب، وذهب أبو حنيفة إلى الوجوب العيني، ورجح القول بالوجوب شيخ الإسلام وابن القيم والسعدي وابن باز وابن عثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

ومما يدل على ذلك ويؤكده أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر النساء بالخروج إلى العيد حتى الحُيّض اللواتي لا تلزمهنَ الصلاة بل تحرم عليهنّ حال الحيض.

ففي الصحيحين من حديث أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: أمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نخرجهنّ في الفطر والأضحى العواتق والحُيّض وذوات الخدور، فأما الحُيّض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب،

---

(١) «الفتح الرباني» (١١٩/٦).

(٢) «فتح الباري» (٥٧١/٢).

قال: «**لِتُلبسها أختها من جلبابها**» وهذا لفظ مسلم، وفي لفظ له: كنا نُؤمر بالخروج في العيدين والمخبّأة والبكر، قالت: الحُيّض يخرجن فيكُنّ خلف الناس يكبّرن مع الناس.

وخروجهنّ للعيدين مشروط بعدم وقوع المفسدة وأمن الفتنة، ويخرجنَ متحجبّات وبلا طيب وزينة ومزاحمة للرجال.

مِن آدَابِ العِيدِ:

من الآداب التي يفعلها المسلم يوم العيد ما يلي:

١- **الاغتسال قبل الخروج إلى الصلاة:** فقد صح في الموطأ وغيره أن عبد الله بن عمر، كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. أخرجه مالك في الموطأ.

وذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاق العلماء على استحباب الاغتسال لصلاة العيد، والمعنى الذي يستحبُّ بسببه الاغتسال للجمعة وغيرها من الاجتماعات العامة موجود في العيد، بل لعله في العيد أبرز.

٢- **الأكل قبل الخروج في الفطر وبعد الصلاة في الأضحى**، لما رواه البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا.

وإنما استُحب الأكل قبل الخروج مبالغةً في النهي عن الصوم في ذلك اليوم، وإيذانًا بالإفطار وانتهاء الصيام.

وأما في عيد الأضحى فإن المستحب ألا يأكل حتى يرجع من الصلاة فيأكل من أضحيته - إن كان له أضحية - فإن لم يكن له من أضحية فلا حرَج أن يأكل قبل الصلاة.

٣- **التكبير يوم العيد:** وهو من السنن العظيمة في يوم العيد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي ومالك بن أنس عن إظهار التكبير في العيدَين، قالا: نعم؛ كان عبد الله بن عمر يُظهره في يوم الفطر حتى يخرج الإمام.

وصحَّ عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كانوا في الفطر أشدَّ منهم في الأضحى"؛ قال وكيع يعني التكبير.

وروى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن الزهري قال: كان الناس يكبِّرون في العيد حين يخرجون من منازلهم حتى يأتوا المصلى، وحتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام سكتوا فإذا كبَّر كبَّروا.

ووقت التكبير في عيد الفطر يَبتدئ من ليلة العيد إلى أن يدخل الإمام لصلاة العيد، وأما في الأضحى فالتكبير يبدأ من أول يوم من ذي الحجَّة إلى غروب شمْس آخِر أيام التشريق.

وقد ورد في صفة التكبير آثار عن الصحابة فأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان يكبر أيام التشريق: **«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد»**. ورواه ابن أبي شيبة مرةً أخرى بالسند نفسه بتثليث التكبير.

وروى المحامليُّ بسند صحيح أيضًا عن ابن مسعود: **«الله أكبر كبيرًا الله أكبر كبيرًا الله أكبر وأجلُّ، الله أكبر ولله الحمد»**. [انظر: الإرواء ١٢٦/٣].

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: **«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر وأجل، الله أكبر على ما هدانا»**.

وكان سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: **«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا»**.

وقد ذكر العلماء أنه يصح التكبير بأي لفظ فالأمر فيه سعة. والله أعلم.

٤- التهنئة: ومن آداب العيد التهنئة الطيبة التي يتبادلها الناس فيما بينهم أيًّا كان لفظها؛ مثل قول بعضهم لبعض: تقبَّل الله منَّا ومنكم، أو عيد مبارك، وما أشبه ذلك من عبارات التهنئة المباحة، وعن جبير بن نفير، قال: كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا التقوا يوم

العيد يقول بعضهم لبعض: تقبَّل منا ومنك؛ قال ابن حجر: إسناده حسن[(١)].

فالتهنئة كانت معروفةً عند الصحابة ورخَّص فيها أهل العلم كالإمام أحمد وغيره.

٥- التجمُّل للعيدَين: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ عمر جبةً من إستبرق تُباع في السوق فأخذها، فأتى بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ابتع هذه تجمَّل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنما هذه لباس من لا خلاق له»** رواه البخاري.

فأقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر على التجمُّل للعيد لكنه أنكر عليه شراء هذه الجبَّة لأنها من حرير.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبَّة يلبسها للعيدَين ويوم الجمعة. رواه ابن خزيمة، وروى البيهقي بسند صحيح أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يلبس للعيد أجمل ثيابه؛ فينبغي للرجل أن يلبس أجمل ما عنده من الثياب عند الخروج للعيد.

أما النساء فيبتعدْن عن الزينة إذا خرجْن؛ لأنهنَّ منهيات عن إظهار الزينة للرجال الأجانب، وكذلك يحرم على من أرادت الخروج أن تمسَّ الطيب أو تتعرَّض للرجال بالفتنة؛ فإنها ما خرجت إلا لعبادة وطاعة.

٦- الذهاب إلى الصلاة من طريق والعودة مِن آخَر: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان يوم عيد خالف الطريق. رواه البخاري.

قيل: الحكمة من ذلك ليشهد له الطريقان عند الله يوم القيامة، والأرض تحدِّث يوم القيامة بما عُمل عليها من الخير والشر، وقيل: لإظهار شعائر الإسلام في الطريقَين، وقيل: لإظهار ذكر الله، وقيل: لإغاظة المنافقين واليهود، وليُرهِبهم بكثرة من معه، وقيل: ليقضي حوائج الناس من الاستفتاء والتعليم والاقتداء أو الصدقة على المحاويج أو ليَزور أقاربه،

---

(١) «الفتح» (٢/٤٤٦).

وليَصل رحمه وقيل غير ذلك.

أخطاء تقع في العيد:

إن مما ينبَّه عليه مع إقبال العيد وبهجته بعض الأمور التي يَفعلها البعض جهلًا بشريعة الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ذلك:

١ـ **اعتقاد البعض مشروعية إحياء ليلة العيد:** يعتقد بعض الناس مشروعية إحياء ليلة العيد بالعبادة، وهذا من البِدَع المُحدَثة التي لم تثبتْ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنَّما رُوي في ذلك حديث ضعيف: **«مَن أحيا ليلة العيد لم يمتْ قلبه يوم تموت القلوب»**، وهو حديث لا يصحّ فلا يُشرع تخصيص ليلة العيد بالقيام من بين سائر الليالي، بخلاف من كان عادته القيام في غيرها فلا حرج أن يقوم ليلة العيد.

٢- تضييع الجماعة والنوم عن الصلوات فترى بعض المسلمين يترك الصلاة يوم العيد أو ينام عنه، أو يترك الجماعة وهذه بلية ومصيبة يجب التوبة منها.

٣- **اختلاط النساء بالرجال في المصلى والشوارع وغيرها، ومزاحمتهن الرجال فيها:** وفي ذلك فتنة عظيمة وخطر كبير، والواجب تحذير النساء والرجال من ذلك، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع ذلك ما أمكن، كما ينبغي على الرجال والشباب عدم الانصراف من المصلى أو المسجد إلا بعد تمام انصرافهنَّ.

٤- **خروج بعض النساء مُتعطِّرات متجمِّلات سافرات:** وهذا مما عمَّتْ به البلوى، وتهاون به الناس، والله المستعان، حتى إن بعض النساء هداهنَّ الله إذا خرجن للمساجد للتروايح أو صلاة العيد أو غير ذلك فإنها تتجمل بأبهى الثياب، وأجمل الأطياب، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«أيما امرأة استعطَرتْ فمرَّت على قوم ليَجدوا من ريحها فهي زانية»** رواه النسائي.

فعلى أولياء النساء أن يتقوا الله فيمن تحت أيديهم، وأن يقوموا بما أوجب الله عليهم من القوامة؛ لأن ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ [النساء: ٣٤].

فعليهم أن يوجِّهوهنَّ ويأخذوا بأيديهنَّ إلى ما فيه نجاتهنَّ، وسلامتهنَّ في الدنيا والآخِرة بالابتعاد عما حرَّم الله، والترغيب فيما يقرِّب إلى الله.

٥- **الاستماع إلى الغناء المحرَّم:** إن من المنكرات التي عمَّت وطمَّت في هذا الزمن الموسيقا والطرب، وقد انتشرت انتشارًا كبيرًا، وتهاون الناس في أمرها، فهي في التلفاز والإذاعة والسيارة والبيت والأسواق، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل إن الجوالات لم تسلم من هذا الشرِّ والمُنكر، فها هي الشركات تتنافس في وضع أحدث النغمات الموسيقية في الجوال، فوصل الغناء عن طريقها إلى المساجد والعياذ بالله، وهذا من البلاء العظيم والشرِّ الجسيم أن تسمع الموسيقى في بيوت الله، وهذا مِصداق قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليكونَّن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف**»، والحِرَ هو: الفرج الحرام، يعني: الزنا، والمعازف هي: الأغاني وآلات الطرب.

فعلى المسلم أن يتقي الله، وأن يعلم بأن نعمة الله عليه تستلزم شكرها، وليس من الشكر أن يعصي المسلم ربه، وهو الذي أمدَّه بالنعم.

مرَّ أحد الصالحين بقوم يلهون ويلغون يوم العيد فقال لهم: إن كنتم أحسنتم في رمضان فليس هذا شكر الإحسان، وإن كنتم أسأتم فما هكذا يفعل من أساء مع الرحمن.

٦ـ **التجمُّل بحلق اللحى** وقد ورد عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهي عن حلق اللحى وبيان أن ذلك من فعل المجوس فلا يجوز التشبه بهم ولا يجوز حلق اللحية مطلقًا لا في العيد ولا في غيره.

ويُؤَدي الصلاةَ بخشوعٍ وحضورِ قلبٍ، ويكثرُ من ذكرِ الله ودعائِه ويرجو رحمتَه، ويخافُ عذابَه، ويتذكرُ باجتماع الناس في الصلاةِ على صعيد المسجدِ اجتماعَ الناسِ في المَقَام الأعظمِ بينَ يدي الله عَزَّوَجَلَّ في صعيدِ يومِ القيامةِ، ويَرى إلى تفَاضِلِهم في هذا المجتمع فيتذكر به التفاضلَ الأكبرَ في الآخرةِ، قال الله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].

ولْيكُنْ فَرحًا بنعمةِ الله عليه بإدراكِ رمضانَ وعمل ما تَيَسَّرَ فيه من الصلاةِ والصيام والقراءةِ والصدقةِ وغير ذلك من الطاعاتِ فإنَّ ذلك خيرٌ من الدنيا وما فيها ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

فإنَّ صيامَ رمضانَ وقيامَه إيمانًا واحتسابًا من أسباب مغفرةِ الذنوبِ والتخلصِ من الآثام.

فالمؤمِنُ يفرحُ بإكمالِه الصومَ والقيام، لتَخلُّصِه به من الآثام، وضعيفُ الإيمانِ يفرحُ بإكمالِه لتَخلُّصِه من الصيامِ الَّذِي كان ثقيلاً عليه ضائقاً به صدرُه، والْفَرقَ بين الفرحين عظيم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال اللَّهُمَّ ثبِّتنا على الإيمانِ والعملِ الصالحِ، وأحينَا حياةً طيبةً، وألْحِقْنَا بالصَّالحين.

والحمد لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين.

تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه.

تم التنقيح ٦/ شعبان ١٤٤٠

ثم أعدت النظر فيه في ١٠ رجب ١٤٤٢

فهرس الموضوعات

مقدمة شيخنا العلامة عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله ٥
المقدمة ٦
الدرس الأول: استقبال رمضان ٧
الدَّرْسُ الثَّانِي: فَضَائِلُ شَهْرِ رَمَضَانَ ١١
الدرس الثالث: فضائل الصيام ١٤
الدرس الرابع: من أحكام الصيام ١٨
الدرس الخامس: مبطلات الصيام ٢١
الدرس السادس: أقسام الناس في الصيام ٢٥
الدرس السابع: ذكر بقية أقسام الناس في الصيام ٣٠
الدرس الثامن: في أحكام القضاء ٣٣
الدرس التاسع: أمور لا تفسد الصيام ٣٦
الدَّرْسُ العَاشِرُ: اغْتِنَامُ الأَوْقَاتِ فِي شَهْرِ الطَّاعَاتِ ٤٠
الدرس الحادي عشر: من حكم الصيام ٤٤
الدَرْسُ الثَّانِي عَشَر: فِي آدَابِ الصِّيَامِ ٤٧
الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَر: فِي مُسْتَحَبَّاتِ الصِّيَامِ ٥١
الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ: مِن أَخْطَاءِ الصَّائِمِينَ ٥٤
الدَّرْسُ الخَامِسَ عَشَر: آفَاتُ السَّهَرِ فِي رَمَضَانَ وَالاشْتِغَالُ بِمُشَاهَدَةِ التِّلْفَازِ ٥٨
الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَر: أَهَمِّيَّةُ التَّوْحِيدِ ٦٢
الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ: فَضْلُ الصَّلَاةِ وَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا مَعَ الجَمَاعَةِ ٦٦
الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ: فِي حُكْمِ تَرْكِ الصَّلَاةِ أَو التَّهَاوُنِ بِهَا ٧٠

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ: الحَثُّ عَلَى قِيَامِ رَمَضَانَ ٧٤
الدرس العشرون: الجود والسخاء ٧٨
الدَّرْسُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ تَفْطِيرِ الصَّائِمِ وإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَسَقْيِ المَاءِ ٨٣
الدَّرْسُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ: فِي الزَّكَاةِ وَأَحْكَامِهَا ٨٨
الدرس الثاث والعشرون: في بيان أهل الزكاة ٩٣
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: فِي فَضْلِ الحَجِّ وَحُكْمِهِ ٩٧
الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِاللهِ ١٠١
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ ١٠٤
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالكُتُبِ ١١٠
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ: خَصَائِصُ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ١١٥
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَتِلَاوَتِهِ ١٢٠
الدَّرْسُ الثَّلَاثُونَ: الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ ١٢٦
الدَّرْسُ الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: المِنَّةُ بِبِعْثَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرُ بَعْضِ حُقُوقِهِ عَلَى أُمَّتِهِ ... ١٣٢
الدَّرْسُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: الإِيمَانُ بِاليَومِ الآخِرِ ١٣٨
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: المَوْتُ وَعَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمُهُ ١٤٣
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ١٥١
الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الذِّكْرُ ١٥٥
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونِ: الدُّعَاءُ ١٦٠
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: بِرُ الوَالِدَينِ ١٦٤
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: صِلَةُ الأَرْحَامِ ١٦٨
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: حُقُوقُ الجَارِ ١٧٢

الدَّرْسُ الأَرْبَعُونَ: حُقُوقُ اليَتَامَى..... ١٧٦
الدَّرْسُ الحادِي وَالأَرْبَعُونَ: تَرْبِيَةُ الأَبْنَاءِ..... ١٧٩
الدَّرْسُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ: مِن الأَخْطَاءِ فِي تَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ..... ١٨٣
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ: فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَبَيَانِ عُلُوِّ مَكَانَتِهِم..... ١٨٧
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ: فَضْلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ..... ١٩٣
الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ: فِي الاجْتِهَادِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ وَ تَحَرِّي لَيْلَةِ القَدْرِ..... ١٩٧
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ: الاعْتِكَافُ..... ٢٠٢
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ: آدَابُ الاعْتِكَافِ..... ٢٠٥
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ: فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ..... ٢٠٨
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ: غَزْوَةُ فَتْحِ مَكَّةَ..... ٢١٣
الدَّرْسُ الخَمْسُونُ: فِي آثَارِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي..... ٢١٨
الدَّرْسُ الحادِي وَالخَمْسُونَ: مِن أَحْكَامِ البَيْعِ..... ٢٢٣
الدَّرْسُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ: مِن شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْلَاقِهِ..... ٢٢٧
الدَّرْسُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ: وَصْفُ الجَنَّةِ..... ٢٣١
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ: وَصْفُ النَّارِ..... ٢٣٧
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ: مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ..... ٢٤٣
الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ: الفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ..... ٢٤٨
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ: فِي زَكَاةِ الفِطْرِ..... ٢٥٥
الدرس السابع والخمسون: التوبة..... ٢٦١
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ: فِي وَدَاعِ رَمَضَانَ..... ٢٦٥
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ: الاسْتِمْرَارُ عَلَى الطَّاعَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ وَصِيَامُ سِتٍّ مِن شَوَّالٍ..... ٢٧١

الدرس الستون: العيد أحكام وآداب..... ٢٧٥
فهرس الموضوعات..... ٢٨٣